القراخانيون

دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية

القراخانيون

دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية

تأليف الأستاذ الدكتورة

سعاد هادي حسن إرحيم الطائي

الإصدار الأول 2016 م

عدد النسخ: 1000

عدد الصفحات: 192 / القياس: 17 × 24

ISBN: 978-9933-495-00-0

لدار صفحات

سـوريـــة - دمـشـــق - ص.ب 3397

هـاتـف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

موبايل: 818 411 991 00963

info@darsafahat.com

الإمارات العربية المتحدة - دبي

ص.ب: 231422

جوال 942 442 528 00971

Darsafahat.pages@gmail.com

الإشراف العام: يزن يعقوب

www.darsafahat.com

facebook.com/darsafahatyazan

تأليف
الأستـــاذ الدكتـورة
سعاد هادي حسن إرحيم الطائي
جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية ابن رشد /قسم التاريخ

القراخانيون

دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهـم فـي الحيـاة العلميـة

(315 – 607هـ/ 927 – 1210م)

صفحات
2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

صدق الله العظيم

(سورة الحجرات – آية 13)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع:

* إلى من علمنا معنى السلام والمحبة.. إلى سيد الكائنات الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم)
* إلى من علمتني أصالة الحياة وصدق الكلمة.. إلى من رافقتني مسيرة دربي حباً وحناناً.. إلى الروح الطاهرة، إلى العزيزة الغالية... والدتي (رحمها الله)
* إلى من تحلو بوجوده حياتي أخي الحبيب حسن الطائي.
* إلى من أناروا لي دربي علماً، خلقاً، نبلاً.. الأساتذة الأفاضل:

أ.د. عبد الله سلوم السامرائي و أ.د.حسين علي الداقوقي (رحمهما الله)

المحتويات

الإهداء 5

المقدمة 9

الفصل الأول

الأصول التاريخية للقراخانيين 15

أولاً: أصول القراخانيين التاريخية ومناطق استقرارهم: 17

ثانياً: ألقاب أمراء الإمارة القراخانية: 29

ثالثاً: لغة القراخانيون 32

رابعاً: اعتناق القراخانيين الدين الإسلامي ودورهم في نشره في تركستان وبلاد ما وراء النهر. 33

خامساً: اهتمام القراخانيين بالبناء والعمران: 42

سادساً: علاقة القراخانيون مع الخلافة العباسية 45

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارة السامانية والقراخانية

(226 - 389هـ/ 840 - 998م) 49

أولاً: الموقف السياسي والعسكري للسامانيين من ظهور القراخانيين (226 - 383هـ)/(840 - 993م): 51

ثانياً: سيطرة القراخانيين على بلاد ما وراء النهر ونهاية الإمارة السامانية سنة 389هـ/998م 62

الفصل الثالث

الصراع السياسي والعسكري بين الغزنويين والقراخانيين (387 - 431هـ /997 - 1039م)..... 69

أولاً: العلاقات السلمية والعسكرية

بين السلطان محمود الغزنوي والقراخانيين (387 - 417هـ)/(997 - 1026م):..... 71

ثانياً: مواجهة السلطان مسعود الغزنوي لخطر الأمراء القراحنيين (425 - 431هـ)/1030 - 1039م) 86

الفصل الرابع

نهاية القراخانيين وصراعهم السياسي والعسكري مع السلاجقة والخطا والخوارزميين

(389 - 607هـ/998 - 1210م) 101

أولاً: الموقف السياسي والعسكري للسلاجقة من القراخانيين (394 - 507هـ)/(1003 - 1113م):..... 103

ثانياً: التدهور السياسي للإمارة القراخانية

وسيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر وتركستان سنة 536هـ/1141م..... 113

ثالثاً: الخوارزميون ودورهم في القضاء على الإمارة القراخانية سنة 607هـ/1210م: 116

الفصل الخامس

الحياة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية

(350-607هـ/ 961-1210م) 121

أولاً: اهتمام الأمراء القراخانيين بالعلم والعلماء: 123

ثانياً: تطور العلوم الإنسانية والعقلية في عهد الإمارة القراخانية (350 - 607هـ/961 - 1210م):..... 128

ثالثاً: التواصل الثقافي بين مدينة بغداد وبلاد ما وراء النهر

في عهد الإمارة القراخانية (350 - 607هـ/961 - 1210م) 144

الخاتمة..... 149

الملاحق..... 155

قائمة المصادر والمراجع..... 171

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين الصادق محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين.

بعد نفاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب التي صدرت سنة 2006 وجدت من الضروري إصدار طبعة ثانية، وذلك لأهمية الموضوع وحداثته، فضلاً عن الطلب المتزايد عليه في داخل العراق وخارجه؛ إذ طلب مني في القاهرة والجزائر والأردن وسورية ولبنان.

وعلى الرغم من تأليفي لكتب عدة خلال السنوات المنصرمة، بقي موضوع هذا الكتاب محتفظاً بأهميته، بل كان باباً للخوض في دراسات عدة، لعدد كبير من الباحثين والدارسين.

وكان موضوع هذا الكتاب مفتاحاً لي للغوص في مصادر فارسية وتركية وإنكليزية، للبحث عن أمم وأقوام أخرى تستحق الدراسة، والاطلاع على مأثرهم وأخبارهم.

قليلة هي الدراسات التي تناولت الأصول التاريخية لعدد من القبائل التركية التي يصعب البحث عن مصادرها لندرتها.

وتعد قبيلة القراخانيين إحدى هذه القبائل التركية التي لم تحظ بدراسات تاريخية شاملة، نظراً لندرة المصادر التي تحدثت عنها، وهي إن وُجدت، فهي معلومات متناثرة بين طياتها، وهذا ماجعل عدداً من الباحثين يعزفون عن البحث في مثل هذه الدراسات.

وكان للأستاذ الدكتور الفاضل المرحوم حسين الداقوقي فضل كبير في تشجيعي على البحث في مثل هذهِ الدراسات، وفي إعداد هذا الكتاب قبل وفاته (رحمه الله).

يُعدّ الخوض في مثل هذهِ الدراسات خطوة مهمة؛ لتكون عوناً لعدد من الباحثين والمؤرخين للخوض والبحث في دراسات مشابهة؛ لتغني المكتبات العربية وغير العربية، بدراساتٍ تاريخية، افتقدتها لسنواتٍ طوال.

تناولت في دراستي هذهِ الأصول التاريخية للقراخانيين، ومناطق استقرارهم، وأهم المدن التي استقروا فيها.

وأشرت إلى لغتهم وألقاب أمرائهم ومدلولاتها السياسية، وتناولت – بشكل مفصل – أهم الديانات التي اعتنقوها، وكان آخرها الدين الإسلامي، وأشرت إلى دورهم في نشره بين القبائل التركية وكفاحهم الطويل في محاربة الكفار من القبائل التركية.

وتناولت – أيضاً – اهتمام الأمراء القراخانيين بالبناء والعمران، وعلاقتهم مع الخلافة العباسية وتطورها، إذ تميزت باستقرارها مع تبادل الرسل والوفود، ومنحهم الألقاب الفخمة.

وعرجت على أهم ما حققه الأمراء القراخانيين من إنجازات سياسية وعسكرية عبر المراحل التاريخية لإمارتهم، من خلال الإشارة إلى علاقاتهم السياسية مع الإمارات الإسلامية المجاورة والمعاصرة لها في تلك المرحلة

التاريخيـة، وأهـم مـا تمخّـض عن هـذه العلاقات مـن نتائج سياسـية وعسـكرية، مع الإشارة إلى أهم السفارات المتبادلة بينهم.

وتناولـت – أيضـاً – أهـم الملامح الرئيسـة لتطـور الحياة العلمية فـي عهدهم، ولاسـيما فـي بلاد مـا وراء النهر، التـي تضمنت تطور علـوم مختلفة، الإنسـانية منها، والعقليـة؛ مثـل علـوم اللغـة العربية وعلوم القـرآن الكريم وتفسـيره وعلـوم الحديث النبـوي الشـريف والتاريخ والرياضيـات والفلك والهندسـة والطب وعلوم السياسـة والأخـلاق وغيرهـا، وقـد توضـح هـذا التطـور العلمـي مـن خـلال اهتمام عـدد من أمراء الإمارة القراخانية بالعلم والعلماء.

إذ اهتـم عـدد كبيـر مـن أمرائهـم بالنواحـي العلميـة والعمـل علـى تنميـة المؤسسـات العلميـة، واسـتقبال العلماء الوافديـن إلى المناطق الخاضعة لسـلطتهم، والتشجيع على الرحلة من أجل طلب العلم.

وقـد تنوعـت المصـادر التاريخيـة التـي اعتمدتهـا في إعـداد هذا الكتـاب بين كتـب التاريـخ العام وكتـب الفِـرَق والكتـب الجغرافية، لاسـيما الأطالـس التاريخية الإسـلامية، فضـلاً عـن المراجع الثانويـة التي كان لها أثـر كبير في إغنـاء موضوعات عدة من هذا الكتاب.

فضـلاً عن اسـتخدامي لعدد مـن المصادر الفارسـية غير المعربـة، والتي أفدت منها في إغناء فصول الكتاب، بمعلومات مهمة.

وعـززت إعـدادي لهـذا الكتـاب بعـدة مخططـات، توضـح أسـماء عـدد مـن أمراء الإمارات الإسلامية المعاصرة للإمارة القراخانية وخرائط جغرافية.

ولابـد أن أتوجـه بالشـكر الجزيـل لـكل مـن أعانني فـي إعـداد هـذا الكتاب، وأخـص بالذكـر منهـم جميـع موظفـي وموظفـات مكتبـة المجمـع العلمـي العراقي والمكتبة المركزية لجامعة بغداد، ومكتبة كلية التربية / ابن رشد / جامعة بغداد.

أدعـو مـن اللـه تعالـى أن أكـون قد وُفقـت في إعـداد هـذا الكتاب. وعـذراً إن كنـت قـد قصـرت في ذلـك، ومـن اللـه تعالـى كل التوفيـق، وهو الهـادي إلى سـواء السـبيل، والحمـد للـه فـي البـدء والختـام، وصلى اللـه على رسـولنا الكريـم محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين.

المؤلفة

أ.د.سعاد هادي الطائي

بغداد 1/ 2/ 2015

الفصل الأول

الأصول التاريخية للقراخانيين

* أولاً: أصول القراخانيين التاريخية ومناطق استقرارهم.
* ثانياً: ألقاب أمراء الإمارة القراخانية.
* ثالثاً: لغة القراخانيين.
* رابعاً:اعتناق القراخانيين الدين الإسلامي ودورهم في نشره في تركستان وبلاد ما وراء النهر.
* خامساً: اهتمام القراخانيين بالبناء والعمران.
* سادساً: علاقة القراخانيين مع الخلافة العباسية.

الفصل الأول
الأصول التاريخية للقراخانيين

أولاً: أصول القراخانيين التاريخية ومناطق استقرارهم:

تعد الإمارة القراخانية أو (القره خانية) نموذجاً حياً من نماذج إمارات الاستيلاء[1]، والتي أشار إليها الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية، شأنها في ذلك شأن بقية إمارات الاستيلاء التي ظهرت في العصور التاريخية الإسلامية مثل الإمارة الطاهرية[2] (205-259 هـ) / (820-872م)،

1- إمارة الاستيلاء: هي الإمارة التي تعقد عن اضطرار، فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلد، يقلّده الخليفة إمارتها، ويفوّض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلائه مُستبداً بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذاً لأحكام الدين؛ ليخرج من الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحة. ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا. ت، ص39.

2- الإمارة الطاهرية (205 - 259هـ)/ (820 - 872م): مؤسسها طاهر بن الحسين.لمزيد من التفاصيل، ينظر: ابن طيفور، أحمد بن طاهر، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المثنى، بغداد، مكتبة المعارف، بيروت، 1388هـ/ 1968م، ص14 - ص18 وص29 وص71 - ص73 وص94 - ص96؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، قدم له، وعلق عليه: محمد الصادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، ومطبعتها، النجف، 1384هـ/ 1964م، ج3، ص190؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1389هـ/ 1969م، ط2، ج6، ص577 -ص580 وص593 وص595 ؛ أبن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م، ج5، ص196 - ص197؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تتمة تاريخ المختصر في أخبار البشر، مطبعة الحرية، النجف، ط2، 1389هـ/ 1969م، ج1، ص295.

والصفارية[3] (254-298هـ) / (867-901م)، والسامانية[4] (261-389هـ)/ (874-999م)، والغزنوية[5] (351-582هـ) / (962-1186م) وغيرها.

القراخانيون هم قبائل تركية، كانوا مستقرين في تركستان[6].نجحوا في

3- الإمارة الصفارية (254 - 298هـ)/ (867 - 901م) مؤسسها يعقوب بن الليث الصفار.لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص235 ؛ الطبري، تاريخ، ج9، ص386 وص476 وص-507 ص508 وص516 وص544 وج10، ص13 وص30 وص44 وص76 وص121 ؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط3، 1377هـ/ 1964م، ج4، ص200 ؛ أبن الأثير، الكامل، ج5، ص291 وص338 وص340 وص341 وص363 وج6، ص21 وص58 وص95 وص101 ؛ بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتتش، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1041هـ/ 1981م، ص340 - ص353.

4- الإمارة السامانية (261 - 389هـ)/ (874-999م) مؤسسها نصر بن أحمد بن أسد بن سامان.لمزيد من التفاصيل ينظر: النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، ترجمه، وقدّم له، وحقّقه، وعلّق عليه: د. أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، مصر، بلا.ت، ص86 - ص87 ؛ أبو شجاع، محمد بن الحسين، ذيل تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، 1334هـ/ 1916م، ج3، ص332 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص3 - 4 وص74 وص113 وص114 و ج7، ص169 وص184 وص197، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا. ت، ج1، ص438 ؛ الدوري، د. عبد العزيز، دراسات في العصورالعباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، 1365هـ/ 1945م، ص122 - ص123 ؛ بارتولد، تركستان، ص332 - ص334.

5- الإمارة الغزنوية (351 - 582هـ)/ (962-1186م) مؤسسها البتكين الغزنوي.لمزيد من التفاصيل ينظر: أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ج3، ص332 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص85 - ص86 وص164 وص184 - ص185 وص196 ؛ أبو الفدا، المختصر، ج1، ص438 ؛ بارتولد، تركستان، ص398 - ص449.

6- تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك، وهو إقليم فسيح المدى، وأكثر أهل هذا الإقليم أهل خيام، ومنهم أهل قرى، صفات سكانها عراض الوجوه فطس الأنوف، يفضلون من الطعام لحوم الحيوانات، ويُكثر في أرضهم معادن عدة، من أكثرها اللازورد، ويُكثر عندهم المسك، وأكثر الحيوانات انتشاراً في بلادهم السنجاب والسمور والثعالب السود والأرانب البيض. لمزيد من التفاصيل، ينظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بلا.ت، ج2، ص23 ؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بلا.ت، ص514 - ص518 وص589 - ص590 ؛ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسةالمصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، بلا.ت، ج4، ص451 - ص487.

فـرض سـيطرتهم علـى معظـم مدنهـا، وعلـى بـلاد مـا وراء النهـر[7]، وأسسـوا لهـم إمـارة، عاصـرت الإمـارات السـامانية والغزنويـة والخوارزميـة[8].[9] وهـذا يعني أن

7- بـلاد مـا وراء النهـر: يُعـدّ هـذا الإقليم مـن أخصـب أقاليـم الأرض منزلـة، وأنزههـا، وأكثرها خيـراً، وأهله يرجعـون إلـى رغبـةٍ فـي الخير واسـتجابة لمـن دعاهم إليه، مع شـدةٍ وشـوكةٍ ومنعـةٍ وبأس ونجـدة، وليس بمـا وراء النهـر مـكانٍ، يخلـو من مدن وقـرى تسـقى، أو مباخس، أو مـراعٍ لدوابهـم، أما مياههـم؛ فهي من أعـذب الميـاه، وأبردهـا، وهواؤهـا صحـي، يُكثـر فيهـا معـدن الذهـب والفضـة وغيرهـا، من أهـم كورها بخارى وسـمرقند واشـرو سـنة والشـاش وفرغانـة وكش ونسـف والصغانيـان وأعمالها والختـل، وما يمتد علـى نهـر جيحون من ترمـذ والقواذيان وأخسيسـك وخـوارزم، افتُتحت بلاد مـا وراء النهر علـى يد الوالي عبـد اللـه بن عامـر صلحـاً. لمزيد مـن التفاصيـل، ينظر: البـلاذري، أبو الحسـن أحمـد بن يحيى بـن جابر، فتـوح البلـدان، بإشـراف لجنـة تحقيـق التـراث، دار ومكتبـة الهـلال، بيـروت، ط1، 1403م/ 1983م، ص394 – ص395 وص405 وص406 – ص407 وص411 – ص413 ؛ ابـن أعثـم الكوفـي، أبو محمد أحمـد، الفتـوح، مطبعـة مجلـس دائـرة المعـارف العثمانيـة، الهنـد، دار النـدوة الجديـدة. بيـروت، ط1، بـلا.ت، ج4، ص191 – ص192 وص195 وص196 و ج7، ص224 ؛ ابـن حوقل، أبو القاسـم النصيبي، صـورة الأرض، بريـل، ليـدن، دار صـادر، بيـروت، ط2، 1938م، ج2، ص463 – ص525 ؛ ياقـوت الحمـوي، معجم البلـدان، ج2، ص351 ؛ القزوينـي، آثار البلاد، ص557 – ص558 ؛ القلقشـندي، صبح الأعشـى، ج4، ص431 – ص439 ؛ بارتولـد، تركسـتان، ص145 – ص146 ؛ لسـترنج، كـي، بلـدان الخلافـة الشـرقية، نقلـه إلـى العربيـة، وأضـاف إليـه تعليقـات بلدانيـة وتاريخيـة وأثريـة، ووضع فهارسـه، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/ 1954م، ص476 – ص488.

8- الإمارة الخوارزمية (490 – 628هـ)/ (1096 – 1230م): مؤسسـها محمد خوارزمشـاه بن أنوشـتكين أو (أنـوش تكيـن). لمزيـد مـن التفاصيـل، ينظر: أبـن الأثيـر، الكامـل، طبعـة مـن تحقيـق: د. محمـد يوسـف الدقـاق، دار الكتـب العلمية، بيروت، بـلا.ت، ج9، ص10 وص11 و ج10، ص406 وص407 وص486 وص488 ؛ النسـوي، محمـد بـن أحمـد، سـيرة السـلطان جـلال الديـن منكبرتـي، نشـر وتحقيـق: حافـظ أحمـد حمـدي، دار الفكـر العربـي، مطبعـة الاعتمـاد، مصـر، 1953م، ص14 – ص15 ؛ الجوينـي، علاء الديـن عطـا ملك بـن بهاء الديـن محمد بن محمـد، تاريخ جهانكشـاي، بسـعي واهتمام وتصحيـح: محمد بـن عبـد الوهـاب قزوينـي، بانضمـام حواشـي وفهـارس، در مطبعـة بريـل در ليـدن، ازبـلا ندهلانـد بطبع رسـيد، 1334هـ/ 1916م، ج2، ص1 – ص4 ؛ أبـو الفدا، المختصر، طبعة علق عليها، ووضع حواشـيها: محمـود ديّـوب، منشـورات، محمد علـي بيضـون، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج2، ص25 – ص26 وص222 وص223 وص247 ؛ ابـن كثيـر، عمـاد الديـن أبو الفـدا إسـماعيل بـن عمر، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت، بلا.ت، ج13، ص132.

9- النظامـي العروضـي السـمرقندي، أحمد بـن عمر بن علي، جهـار مقالة " المقـالات الأربع " فـي الكتابة والشـعر والنجـوم والطـب، وعليـه حواشـي محمد بـن عبد الوهـاب القزوينـي، ترجمة: عبـد الوهاب◄

الموطن الأصلي للقراخانيين كان في بلاد تركستان، ومنها انطلقوا لفرض سيطرتهم على البلاد المجاورة لهم.

وتعدّ الإمارة القراخانية من أول الإمارات التركية الإسلامية التي ظهرت في تركستان[10] وامتد حكم إمارتهم زهاء 230 سنة؛ أي ما بين السنوات (380-609هـ) / (990-1212م)[11].

بينما ذكر زامباور أن حكم إمارتهم امتد أكثر من230 سنة؛ أي ما بين السنوات (315-609هـ)/ (927-1212م)، وذلك نسبة إلى حكم أول أمرائهم، وأول من اعتنق الدين الإسلامي منهم، وهو الأمير ستوق أو (سبق) بغراخان عبد الكريم المتوفى سنة344هـ/ 955م[12].

وأنا أتفق مع رأي زامباور في السنة التي عُدّت بداية لإمارتهم، وهي سنة 315 هـ/ 927م، إلا أني ومن خلال دراستي لتاريخ القراخانيين وجدتُ أن إمارتهم انتهت سنة 607هـ/ 1210م، وليس سنة 609هـ/ 1212م، وهذا ما سوف أوضحه بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

◄عزام ويحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1368هـ/ 1949م، ص113 - ص114.

10- عوفي، سديد الدين محمد، لباب الألباب، تصحيحات جديدة وحواشي وتعليقات، كامل بكوتش: سعيد نفيسي، بسرمايه كتابفروشى ابن سينا - كتابخانه حاج علي علمي، اسفند، 1333هـ، ص570 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، بلا. ت، ص178 ؛ الداقوقي، د. حسين، الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات، تصدر عن عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، 1413هـ/ 1993م، ع2، م20، ص140.

11- عوفي، محمد، لباب الألباب، ص570 ؛ إدريس محمد محمود، تاريخ العراق، ص160 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، بلا. ت، ص178.

12- زامباور، إدورد فون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: د. زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، واشترك في ترجمة بعض فصوله: د. سيدة إسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م، ص312.

اتخذ القراخانيون من مدينة كاشغر[13] عاصمة لهم، واتخذوا في مراحل تاريخية أخرى من مدينة أوزكند[14] الواقعة إلى الشرق من فرغانة[15] مركزاً لهم، وكانوا يعدّونها مكانا أمناً لهم، وأقل خطراً من المدن الداخلية الأخرى[16].

لقد نجح القراخانيون في فرض سيطرتهم على مدن عدة؛ منها بلاساغون[17]، وختن[18]، وطراز[19]، هذا بالإضافة إلى ما يجاورها من البلاد[20].

13- كاشغر: هي مدينة وقرى ورساتيق، تقع في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص430.

14- أوزكند: هي مدينة تقع ما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال أوزجند، وكند بلغة أهل تلك البلاد تعني القرية، وأوزكند لها سور وقهندز، وعدة أبواب، وإليها متجر الأتراك، ولها بساتين ومياه خارجة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص280.

15- فرغانة: هي مدينة وكورة واسعة، تقع على ضفاف نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرساتيق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص253 ؛ الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة السراج، بيروت، 1980، ص440.

16- عوفي، محمد، لباب الألباب، ص570 ؛ بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد سعيد سليمان، راجعه: إبراهيم صبري، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، بلا. ت، ص83 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص160 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص178 ؛

Sankrityayana, mahapandita Rahula , History of Central Asia- Bronze Age (2000 B.c.) to Chengiz knan (1227 A.D.) , New Age publishers private Ltd , Calcutta: NEW Delhi , p.172.

17- بلاساغون: هو بلد عظيم في ثغور الترك، يقع وراء نهر سيحون قرب مدينة كاشغر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص476.

18- ختن: هي ولاية تقع دون كاشغر ووراء مدينة يوزكند أو (أوزكند)، وهي معدودة من بلاد تركستان، وتقع في واد بين جبال في وسط بلاد الترك. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص347.

19- طراز: هي مدينة تقع بالقرب من مدينة اسبيجاب من ثغور الترك، مدينة حصينة كثيرة البساتين مشتبكة العمارة، لها خندق، وأربعة أبواب، ولها ربض، وهو ما حول المدينة.ينظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بلا. ت، ص28 وص31 وص205 ؛ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن، 1906، ج2، ص274 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص25 وج4، ص27.

20- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1407هـ / 1986م، ج4، ص521.

وحكمت هذه الأسرة شمال جبال تيان شان وجنوبها في الصين من القرن4هـ/ 10م إلى القرن 7هـ/ 13م، ومن الصين، انطلق القراخانيون نحو بلاد ما رواء النهر[21]. وهذا يعني أن جزءاً من بلاد الصين كانت خاضعة – أيضاً – للقراخانيين.

كانت الإمارة القراخانية تنعم بالاستقلال في حكم الأقاليم التابعة لسلطتها، إلا أنها وعبر المراحل التاريخية المتعاقبة خضعت لسيادة السلاجقة تارة، وللخطا، أو القراخطائيين تارة[22]، وللخوارزميين تارة أخرى[23].

وقد اختلفت آراء الباحثين في تحديد الأصول التارخية للقراخانيين ومناطق سكناهم، وذلك نظراً لندرة المصادر التاريخية التي تناولت ذلك.

21 – سليمان، د. أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف، مصر، 1972، ج1، ص280 ؛

Sankrityayana,mahapandita Rahula , History of Central Asia , p772 ؛

بارتولد، الإيلكخانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية، : أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي ود.عبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف، د. محمد مهدي علام، بلا.ت، مج3، مادة الإيلكخانية، ص205.

22 – الخطا أو القراخطائيين " سي – ليو " أو " سي – لياتو": هم قبائل تركية، سكنت أقصى الصين، وكانوا وثنيين، واتخذوا من بلاساغون عاصمة لهم، فرضوا سيطرتهم تركستان وبلاد ما وراء النهر بعد انتصارهم على السلطان سنجر السلجوقي في سنة 536هـ/ 1141م في معركة قطوان، كان موطنهم الأصلي يقع في الأجزاء الجنوبية من منشوريا. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294 – ص296 ؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص46 – ص47 ؛ الغساني، أبو العباس إسماعيل بن العباس، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر عبد المنعم محمود، دار التراث الإسلامي ودار البيان، بغداد، 1395هـ/ 1975م، ج2، ص314 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص487 وص252 وص522 وج5، ص124 – ص125 ؛ بارتولد، تركستان، ص420 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص120 – ص123 ؛ الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، لبلاد الهند والسند وتاريخ الدولة الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي 92 – 629هـ/ 711 – 1231م، الرياض، 1999 –2000، ص455 – ص474؛ كتابجي، زكريا، الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، بيروت، بلا. ت، ص36.

23 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص141.

فقد ذكر بارتولد أن قبيلة " ياغما "[24] التي ظهرت بين التغزغز[25] سكنت في جزء من المنطقة التي كان يسكنها القارلوق " الخرلخ"[26]، وهم

24- قبيلة ياغما: أو (يغمياء)، أو (يغماء): وهم أتراك يسكنون في ناحية يغمياء، يحدها من الشرق ناحية أتراك تغزغز، ومن جنوبها نهر (خولندغون) الذي يصب في نهر (كجا)، ومن غربها حدود ناحية أتراك (خلخ)، ولا توجد فيها إلا القليل من الزراعة، ويجلب منها الكثير من الفراء، معظم ثروتهم من الخيل والأغنام، وسكانها أشداء وأقوياء محاربون، ويملكون الكثير من الأسلحة، أما ملكهم؛ هو من أبناء تغزغز، واليغمائيون قبائل كثيرة، ويقال إنهم ألف وسبعمائة قبيلة، يتعارفون فيما بينهم، ويصلي ملكهم بالعامة والخاصة. لمزيد من التفاصيل ينظر:مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، اهتمام:د. منوجهر ستودة، ترجمهُ من الفارسية إلى العربية: إسراء سبهان فرحان القيسي، قدمتها كمشروع ترجمة إلى مجلس كلية اللغات في جامعة بغداد، وهو جزء من متطلبات نيل درجة الدبلوم العالي للترجمة باللغة الفارسية، كلية اللغات، جامعة بغداد، 1423هـ/ 2002م، ص69.

25- التغزغز: هم أتراك أصحاب عَّمد، يرحلون، ويحلّون، وكلمة التغزغز مركبة من كلمتين تركيتين "توغز" تعني رقم تسعة و "أغز" تعني قبائل؛ أي القبائل التسعة، استوطنوا في المناطق المحيطة بمدينة كاشغر وشرق فرغانة، كان أغلب الملوك الأتراك منهم، كانت بينهم وبين الصين مجاورة ومصاهرة وسفارات، كان ملكهم يدعى أيره خان، وتغزخاقان، وملك السباع، وملك الخيل، يكثر في بلادهم المسك، والثعالب والسمور والأغنام والأبقار وغيرها. لمزيد من التفاصيل ينظر:السيرافي، أبو الحسن زيد، رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندنوسية سنة 227هـ/ 841م، مطبعة دار الحديث، بغداد، 1380هـ/ 1961م، ص59 وص62 وص63 ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص131 ؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص67 – ص69 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص24 ؛ القزويني، آثار البلاد، ص582 ؛ شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع بمطبعة المرحوم فرين أحد أعضاء الأكادمية الإمبراطورية، بطربورغ، 1281هـ/ 1865م، ص263 ؛ كتابجي، زكريا، الترك في مؤلفات الجاحظ، ص33 وص34 ؛ زغلول، سعد، الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط، بحث منشور في مجلة عالم الفكر ص140 – ص141 ؛ بارتولد، الترك، إلمامة تاريخية وجنسية، بحث منشور في دائرة معارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي وأبراهيم زكي ود.عبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف: د. محمد مهد علام، بلا.ت، مج5، مادة الترك، ص37 وص40.

26- القارغلية، أو (القارلوق)، أو (القرلق)، أو (الخرلخ): تلفظ في العربية أتراك خرلخ، وفي الفارسية أتراك خلخ: وهم قبائل تركية، استوطنوا على حدود الأراضي العربية الإسلامية قرب مدينة طراز وحتى حدود الصين، واستوطنوا – أيضاً – بالقرب من جبل توشى، وهو جبل الذهب، وفي مناطق◄

من الأتراك الشرقيين، وهذا ما ذكره - أيضاً - الجغرافيون العرب في القرن 5/ 11م[27].

إن هؤلاء الياغما كانوا يملكون مدينة كاشغر والمنطقة الواقعة جنوب نهر نارين المتفرع من نهر سيحون[28]. وإن ديار الياغما كانت تشمل مدينة كاشغر وقسماً من البلاد الواقعة بين الحوض الأدنى لنهر إيلي الذي يصبّ في بحيرة ولخشن، وكلاهما يقعان وراء نهر سيحون، والمجرى الأدنى لنهر شو أو (جو) (chu) الذي يصبّ في بحيرة ايسك كول أو (ايسيق كول)[29]، وكلاهما يقعان - أيضاً - وراء نهر سيحون، ويمتد نفوذهم - أحياناً - إلى جنوب نهر نارين[30].

◄ شرقي الترك الغربيين، كانوا عبيداً لأتراك التغزغز، ثم أعلنوا تمردهم عليهم، وخرجوا إلى بلاد التركش، وفرضوا سلطتهم عليها، طعامهم من الحمص والعدس، وهم يصنعون الخمر من الدخن، ولا يأكلون اللحم إلا مغمّساً بالملح، كانت أغلب ملابسهم من الصوف، وبلادهم ناحية معمورة وأكثر خيراً من نواحي الترك الأخرى، توجد في بلادهم المياه العذبة والمناخ المعتدل، بعض من سكانهم صيادون، وبعضهم مزارعون، وبعضهم رعاة، معظم ثروتهم من الأغنام والخيول والفراء، يكثر معدن الفضة في بلادهم، والتي يستخرجونها من الزئبق، كان القارلون يقدسون حجراً ذا لونٍ أخضر، وكانوا يذبحون له الذبائح، وآمنوا بالثنوية والقول بإله النور والظلمة، ولهم بيت، خُصص للعبادة، توجد في حيطانه صور لعدد من ملوكهم، واعتنق القارلوق المانوية، وهم تسع فرق، ثلاثة منها بعسلكية، وواحدة بلاق، وواحدة كولركين، وواحدة تخسى، يسمّى ملكهم جبغوي، أو (بيغو). لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص126 ؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص71 - ص72؛ القزويني، آثار البلاد، ص584 ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص221 وص263 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص75 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص530 ؛ كتابجي، زكريا، الترك في مؤلفات الجاحظ، ص34 ؛ بارتولد، الترك، المامة تاريخية وجنسية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الترك، ص38 وص44 وص45.

27- تاريخ الترك، ص73.

28- بارتولد، تاريخ الترك، ص73.

29- ايسيق كول، أو (أيسكوك): هو اسم البحر، يقع بين ناحية أتراك جكل وتغزغز، ويبلغ طوله ثلاثين فرسخاً في عرض عشرين فرسخاً، وتقع مدينة برسخان على ساحل هذا البحر. ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم، ص18.

30- الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص447 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص160.

كانت إمارة القراخانيين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، بمدينة كاشغر، فقد كانت عاصمةً لهم، ولهذا؛ أطلقوا عليهم اسم " أوردوكنت "؛ أي " المعسكر الملكي "، ومن هنا؛ نستطيع أن نستنتج أن القراخانيين كانوا ينتمون إلى الأقوام التي كانت تسكن مدينة كاشغر؛ أي إلى أقوام الياغما التي تنتمي – بدورها – إلى التغزغز، أو الأويغور[31].

أما محمود الكاشغري؛ فإنه لا يتفق مع رأي بارتولد في ذلك. فهو يؤكد أن أقوام الياغما كانوا يعيشون في أيامه شمال وادي نهر إيلة[32]، وأن أقوام "التوخسي" أو " التوخشي"[33] و" جيكيل"[34]، وهم من الأتراك الشرقيين، وأقوام أخرى، كانوا يعيشون في وادي نهر ايله أيضاً[35].

31 – بارتولد، تاريخ الترك، ص74 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص179 – ص180؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص160.

32 – نهر أيلة: سمّي هذا النهر بهذا الاسم نسبةً إلى مدينة أيلة، وهي مدينة صغيرة بها زرع يسير، وقد ذكر أن هذا النهر يقع بالقرب من مدينة أمالغ التي اتخذها المغول عاصمة لهم في عهد جغتاي بن جنكيزخان.ينظر: الأصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، تحقيق: د. محمد جابر عبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال، دار العلم، القاهرة، 1381هـ/ 1991م، ص30 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص292 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص530.

33 – التوخشي، أو (التوخسي)، أو (تخس): وهم أتراك يسكنون في ناحية تخس. يحدها من الشرق حدود ناحية أتراك جكل، ومن جنوبها حدود ناحية أتراك خلخ ومناطقها الجبلية، ومن غربها قوم خرخيز الأتراك، ومن شمالها جكل، وهذهِ الناحية أكثر نعمة من ناحية جكل، ويجلب من هناك المسك والفراء المختلفة وثروتهم من الخيل والأغنام والفراء والخيم الكبيرة، ويتنقلون في الشتاء والصيف بحثاً عن المراعي والنبات والرياض. لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم، ص73.

34 – جيكيل، أو (جكل): هم أتراك كانوا يعيشون في بلاد جكل في بلاد ما وراء النهر قرب مدينة طراز، وهذه الناحية أصلها من خلخ، إلا أنها كانت كثيرة السكان، ويحدها من شرقها وجنوبها حدود ناحية أتراك (خلخ)، ومن غربها حدود ناحية تخس، ومن شمالها حدود ناحية أتراك خرخيز، وكل شيء يجلب من ناحية خلخ وخرخيز يجلب – أيضاً – من ناحية جكل، وهم يملكون ثروة كبيرة، ويملك رؤساؤهم خيم وأماكن واسعة، ولديهم مدن وقرى قليلة وأموالهم وثرواتهم من الأغنام والأبقار والخيول، ويعبد بعضهم الشمس والنجوم، ويمتاز أقوام جكل بطيبتهم، وهم مخالطون وعطوفون وملكهم منهم. لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم، ص73 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص148.

35 – الكاشغري، محمود بن الحسين، ديوان لغات الترك، أنقرة، 1939، ج1، ص28 وص30 وص393 وص423.

أما بارتولد؛ فيذكر أن أقوام " التوخسي " أو " التوخشي " استقرت في شمال حوض نهر جو، أما أقوام الجيكيل؛ فقد استقرت على الساحل الشمالي لبحيرة ايسك كول، أو (ايسيق كول)[36].

ومن الجدير بالذكر أن اسم جيكيل كان يُطلق على عدة أقوام تركية في القرن 6هـ/ 12م، ففي عهد السلطان ملكشاه السلجوقي أطلق هذا الاسم على جيش القراخانيين إبان الحملة العسكرية التي قادها هذا السلطان على بلاد ما وراء النهر[37].

وأكد محمود الكاشغري أن هذا الاسم أطلق على أقوام من الأتراك المنتشرين في المنطقة الممتدة من حوض نهر جيحون إلى الصين، وكان لهذه الأقوام دور سياسي مهمّ، في آسيا الوسطى، في مستهل القرن 4هـ/ 10م، وأن القراخانيين كانوا ينتمون إليهم[38].

وذكر أن القراخانيين كانوا ينتمون إلى قبائل القارلوق الذين كانوا يعيشون بالقرب من حدود البلاد الإسلامية، وبالقرب من مدينه طراز من ناحية الشرق، وكانت بعض من مدن تركستان الصينية[39] تابعة للقارلوق، لكن حكام بعض المدن كانوا يخضعون للتغزغز، وأكد أن مدينة كاشغر كانت تقع بالقرب من حدود بلاد القيرغيز[40] والقارلوق والتغزغز وهؤلاء

36- تاريخ الترك، ص74.

37- بارتولد، تاريخ الترك، ص74 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص180.

38- ديوان لغات الترك، ج1، ص393.

39- تركستان الصينية: يقصد بها تركستان الشرقية التابعة للصين.

40- القيرغيز، أو (القرقيز): هم أتراك كانوا يقيمون في سهل الينيسي، أو (الينتسي)، لهم بيت عبادة وقلم يكتبون به، ولهم رأي ونظر وكلام موزون يتكلمون به في أوقات صلاتهم، وأعلامهم خضر، ويعظّمون كوكبي زحل والزهرة، تدل أوصاف المصادر الصينية لهم أنهم كانوا مغايرين من الناحية الأنثرولوجية لغيرهم من الأتراك؛ إذ كان شعرهم أشقر وعيونهم زرق، ولم يكن بديارهم سوى مدينة واحدة، وهي مقر الخان، وكان القسم الأكبر منهم بدواً، والقسم الآخر كان بدائياً، يعيش على◄

جميعاً من الأتراك، وهذا يعني أن هجرة القيرغيز إلى الجنوب لم تكن بعد القرن 5هـ/ 11م[41].

أما محمود الكاشغري؛ فقد ذكر أن قبائل الجيكيل والياغما كانوا قد نقلوا مساكنهم نحو الشمال، ولم يذكر مثل هذا عن القارلوق[42].

ويذكر بارتولد أن الدليل الأقرب إلى حقيقة أصول القراخانيين، وبأنهم ينتمون إلى قبيلة القارلوق هو أن الحاكم القراخاني لمدينة بلاساغون كان يسمّى توركمن، أو (تركمان)، وذلك في القرن 7هـ/ 13م[43]. وقد ورد في عدد من المصادر التاريخية أن القارلوق كانوا يسمون مثل الغز تركمان، وهذا أمر يحتاج إلى التدقيق، فإن كلمة تركمان قد وردت لأول مرة في القرن 5هـ/ 11م، ولم يتم التأكد بعد أن أصل هذه الكلمة هو " ترك مانندە"؛ أي أشباه الترك[44].

وقد ذكر ابن الأثير معنى كلمة التركمان، فالأتراك بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامي سمّوا " ترك ايمان "، ثم خُفّفت هذه الكلمة، وأصبحت تركمان[45].

ويؤكد سعد بن محمد الغامدي اتفاقاً مع ما جاء به بارتولد بأن القراخانيين ينتمون إلى القارلوق؛ لأن اليغما هم أحد فروع القارلوق، وهم

◄ الصيد، كان المسك له قيمة كبيرة في صادراتهم، وكان أميرهم يلقّب قاغان. لمزيد من التفاصيل انظر: بارتولد، تاريخ الترك، ص9 وص30 – ص32 ؛ الصيني، بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1370هـ/ 1950م، ص125 ؛ بارتولد، الترك – إلمامة تاريخية وجنسية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الترك، ص38 وص41.

41- بارتولد، تاريخ الترك، ص75 ؛ رايس، تامارا تالبوت، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، مراجعة: عبد الحميد العلوجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968، ص21.

42- ديوان لغات الترك، ج1، ص28.

43- تاريخ الترك، ص76.

44- الكاشغري، محمود، ديوان لغات الترك، ج1، ص353 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص75 – ص76 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص180.

45- الكامل، ج7، ص259.

يتكوّنـون مـن عـدة قبائـل تركيـة ذات أحـلاف كثيـرة، والمتمثلـة بشـكل رئيـس فـي أقوام اليغما والتوخشى والجيكيل[46].

إن الاندمـاج الـذي حصـل بين قبائـل اليغما والبالـغ عددهـا 1700 فخذ وبطن مـع قبائـل التغزغـز واتحادهمـا معـاً، مكوّنيـن بذلـك حلفـاً واحـداً، أصبـح معه من المستحيل تحديد مدة حكم كل قبيلة[47].

ومـن خـلال ذكـر هـذه الآراء التـي ذكـرت للوصـول إلـى حقيقـة أصـول القراخانيين يصعب تحديد القبيلة التي ينتسبون إليها.

إذ إن انتصـار التغزغـز علـى القارلـوق، واحتـلال مدينـة كاشـغر على يـد قبيلة اليغمـا، والتـي تُعـدّ أحـد فـروع التغزغـز، وفتـح مدينـة بلاسـاغون على يـد الأتراك الوثنييـن، كل هـذا يشـير إلـى أن القراخانييـن كانـوا علـى رأس التغزغز الـذي قضوا علـى القارلـوق[48]. وهـذا يعنـي أن القراخانييـن يعـودون فـي أصولهـم إلـى قبيلـة التغزغز التركية.

46- الفتوحات الإسلامية، ص447.

47- مؤلف مجهول، حدود العالم، ص69.

48- بارتولد، تركستان، ص388.

ثانياً: ألقاب أمراء الإمارة القراخانية:

كان أمـراء هـذه الإمـارة يلقّبـون بعـدة ألقـاب، فاللقـب الأول هـو" قراخان". وهـذا اللقـب يتكـون مـن مقطعيـن، الأول " قـرا "؛ وهـي كلمـة تركيـة، تعنـي اللون الأسـود، أما المقطـع الثاني؛ "خـان"، ويعني صاحب السـلطة الرئيسـة، ولهذا؛ يطلق علـى القراخانييـن الأتـراك السـود[49]. ثـم تطـور هـذا اللقـب فيمـا بعـد، وأصبحـوا يلقّبـون بلقـب خاقـان، وهـذا اللقـب يعني " أعظـم الملـوك "، أو" الملـك الأعظم"، أو" ملك الملوك "[50].

أمـا اللقـب الثانـي؛ هـو " ايلـك خـان "، أو" ايليـك خـان "، وهـذا اللقـب هو لقـب أويغـوري[51]. معنـاه الملـك، أو (الأميـر)، أو (الحاكـم)، أو (الوصـي)، وهـو

49- الراونـدي، محمـد بن علي بن سـليمان، راحـة الصدور واية السـرور " تاريـخ ال سـلجوق"، تصحيح: محمد إقبـال، مؤسسـة مطبوعات أميـر كبير، أصفهان، 1333هـ، ص452 - 453 ؛ النظامي العروضي السـمرقندي، جهار مقالة، ص141 ؛ عوفي، محمد، لباب الألباب، ص570؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص85.

50- إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص160.

51- الأوريغـوري، نسـبة إلـى أقـوام الأويغور الأتراك الشـرقيين، كانـوا يسـكنون المناطق الواقعة بيـن مدينتي قراقـروم أو (قـره قـروم) وتـور، وهـم أكثـر الأقـوام التركية تمدنـاً، وكانـوا واسـطة الارتباط بيـن الأقوام المتمدنـة مـن الإيرانييـن والصينييـن والهنـود، وقـد اعتنقـوا ديانـات متعـددة؛ منهـا البوذيـة والمانويـة والمسـيحية والزرادشـتية، ومنهـم مَـن كان يعبـد الشـمس، وقـد اعتنـق ملكهم الملقـب (قاغـان) الديانة المانويـة، ولقـب (مظهـر مانـي)، وقـد حُفظـت بعـض تعاليـم المانويـة باللغـة الأوريغويـة، وهـي اللغة التركيـة القديمـة، والأويغـور تسـعة قبائل، أسسـوا لهـم دولة في آسـيا الوسـطى حتى القـرن 8هـ/ 14م، وقـد قضـى القيرغيـز على الأويغور سـنة 226هـ/ 840م، فأقام الأويغـور الذين طردوا من بـلاد المغول مملكتيـن: الأولـى فـي (كن جـو)، والثانية في (بيـش - باليق) وقراخوجـة، وكان لهم دور كبيـر في تطبيع أهـل تركسـتان الصينيـة بالصبغـة التركيـة، وقـد تـم غـزو مملكـة الأويغـور الأولى علـى يد قـوم التنكت سـنة 440هـ/ 1048م، أمـا المملكة الثانية؛ فقـد بقيت قائمة حتى عهـد المغول، ومن المهـم أن نذكر أن الأويغـور هـم أول أمـة تركية اسـتعملت لغـة مكتتبـة، اعتنقوا الإسـلام في القـرن 4هـ/ 10م والقرن◄

- بذلك - ليس اسم علم، فهذا اللقب كان يُطبق على أي أمير من أمراء هذه الإمارة حين لا يتم التأكد من اسم الأمير الحقيقي[52].

كان هذا اللقب في العصر الإسلامي خاصاً بعدد من أفراد هذه الأسرة، ولهذا؛ فإن عدداً من علماء المسكوكات من الأوربيين عمّموا هذا اللقب على جميع أفراد هذه الأسرة، فضلاً عن أن هذا اللقب كان معروفاً قبل الإسلام، وكان يقصد به حكام الأتراك الشرقيين[53]. وكان هذا اللقب مفضّلاً لدى حكام بلاد ما وراء النهر، وكثيراً ما اجتمع لقب "خان" مع لقب" ايلك"، وبناءً على ذلك، فإن لقب ايلك لا تعني خان، وأن حكام

◄ 5هـ/ 11م. لمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، تركستان، ص553 - ص557 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص45 - ص56؛ كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، ص190 - ص192 ؛ صفا، دكتر ذبيح الله، تاريخ أدبيات در إيران، ازميانة قرن بنجم تا آغا زقرت مفتم بجرى، كتابفروشى ابن سينا، تهران، 1339هـ، ص19 ؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ من جنكيزخان إلى هولاكو، دار القلم، بلا.ت، ص20 - ص21 ؛ كتابجي، زكريا، الترك في مؤلفات الجاحظ، ص37 ؛ الصيني، بدر حي، العلاقات بين العرب والصين، ص41 - ص44 ؛ السامر، د. فيصل، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، وزارة الإعلام، العراق، ط1، 1977م، ص122 ؛ حسن، د.زكي محمد، الصين وفنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1941، ص14 وص25 ؛ زغلول، سعد، الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، م10، ع2، بلا.ت، ص156 وص157 وص167.

52- الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص448 ؛ بارتولد، الإيلكخانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج3، الإيلكخانية، ص205.

53- الراوندي، راحة الصدور، ص452 - ص453 ؛ النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص141؛ عوفي، محمد، لباب الألباب، ص570 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص85 ؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلّق عليه: د. أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدّم له: د. يحيى الخشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، بلا. ت، ص120 ؛ الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص448.

سمرقند بعد أن أسسوا حكوماتهم المستقلة، لُقّبوا بلقب خان، ورفعوا عن مسكوكاتهم لقب ايلك[54].

وقد ورد هذا اللقب في كتاب " قوتا دغو- بيليك"[55] الذي كتبه الحاجب يوسف البلاساغوني، والذي كان حاجباً للأمير القراخاني بغراخان حسن بن سليمان أرسلان[56].[57]

أما اللقب الثالث الذي كان يطلق على الأمراء القراخانيين؛ هو لقب آل فراسياب[58] نسبة إلى ملكهم الأول التركي فراسياب المنازع لملوك الفرس الكينيين[59].

54- بول، ستانلي لين، الدول الإسلامية، ترجمة: محمد صبحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلّق عليه: محمد أحمد دهمان، مع إضافات وتصحيحات: بارتولد وخليل أدهم، مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق، بلا. ت، ج1، ص272.

55- قوتادغو - بيليك: وهو كتاب ألفه يوسف الحاجب الخاص البلاساغوني حاجب الأمير القراخاني بغراخان حسن بن سليمان أرسلان، سنة 462هـ/ 1069م، معناه " العلم الذي يسعد " أو " علم السعادة " أو " العلم اللائق بالملوك "، وهو كتاب تعليمي أخلاقي، وكان المألوف في الشرق أن تؤلف مثل هذه الكتب للملوك وأصحاب المناصب، ولكل الطبقات، وأهم ما في هذه الكتب ما ترويه من حكايات تاريخية وأسطورية، والتي تذكر لغرض تأييد ما ترويه من النظريات الأخلاقية والنصائح، إلا أن هذا الكتاب خال من كل ذلك، فلم يذكر فيه اسم شخص تاريخي، وحتى لم يذكر اسم الأمير القراخاني بغراخان الذي يتحدث عنه شخصاً حقيقياً، وإنما جعل منه رمزاً للعدالة والفضائل. لمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، تركستان، ص259؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص135 - ص137 ؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، الإمبراطورية العربية وانحلالها، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1961م، ط3، ج2، ص278 ؛ الداقوقي، د.حسين، يوسف الحاجب الخاص، بحث منشور في مجلة تصدر عن نادي الإخاء التركماني، بغداد، بلا. ت، بلا.ع، ص5 - ص6.

56- الأمير بغراخان حسن بن سليمان أرسلان، لم أتمكن من العثور على معلومات عنه.

57- بول، ستانلي لين، الدول الإسلامية، ج1، ص273 ؛ بارتولد، الإيلكخانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج3، مادة الإيلكخانية، ص205.

58- فراسياب: هو ابن أطرح بن ياسر بن رامي بن أرسى بن بورك بن ساساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور أطرح بن أفريدون الملك بن اثقابان بن جمشيد. لمزيد من التفاصيل انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص224 وص226 ؛ كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ص165 - ص166، وص187 وص483.

59- بول، ستانلي لين، الدول الإسلامية، ج1، ص272 - ص273 ؛ بارتولد، الإيلكخانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج3، مادة الإيلكخانية، ص205.

وكان هـذا الملـك يُلقّـب بلقـب "خاقـان الخواقيـن " وقـد نجـح فـي فـرض سيطرته على بلاد فارس، ومعظم الممالك التركية[60].

ثالثاً: لغة القراخانيون

نظـراً للظـروف السياسـية المضطربـة التـي عـاش فـي كنفهـا القراخانييـن وخضوعهم لقوى سياسية عديدة قد دفعهم إلى إتقان لغات عدة.

إذ كانـت اللغـة الفارسـية فـي تركسـتان فـي عهـد القراخانييـن تزاحـم اللغـة العربية في ميدان الإدارة والأدب[61].

وبقيـت اللغـة العربيـة هـي اللغـة المسـتعملة فـي مجـال القضاء، وفـي معظم البلاد الخاضعة لسلطة القراخانيين حتى النصف الثاني من القرن 7هـ/ 13م[62].

وقد ذكر بارتولد استناداً إلى ما جاء في وثيقة، عثر عليها، يعود زمنها إلى عهد الأمير القراخاني بغراخان حسين بن سليمان الذي أُلف في عهده كتاب قوتادغو-بيليك. إن اللغة التركية كانت في عهد القراخانيين - إلى حد ما - لغة اصطلاحات إدارية، ولم يكن سكان مدينة سمرقند مثلاً ناطقين باللغة التركية، فقد كانت توجد اصطلاحات تركية مستخدمة في عدد من المؤسسات الإدارية، فمثلاً كلمة " أولوغ " أضيفت إلى عبارة " سلطان السلاطين"، والتي نقشت على عملة خانات سمرقند، في نهاية القرن 7هـ/ 13م[63].

60- المسـعودي، مـروج الذهب، ج1، ص226 ؛ المسـعودي، التنبيه والأشـراف، عنـي بتصحيحه ومراجعته: عبـد اللـه إسـماعيل الصـاوي، دار الصاوي للطبـع والنشـر، القاهـرة، 1938، ص79 ؛ الراونـدي، راحة الصـدور، ص452 - ص453 ؛ النظامـي العروضـي السـمرقندي، جهـار مقالـة، ص141 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص521 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص85.

61- بارتولد، تاريخ الترك، ص133.

62- بارتولد، تاريخ الترك، ص134.

63- تاريخ الترك، ص134.

وقد ظل القراخانيون يستعملون الأسماء والألقاب التركية حتى انقرضت تدريجياً، وكان من عادة الأمراء القراخانيين استبدال اسمه بلقب جديد، يستعمله بدلاً من اسمه الخاص، ومن هنا؛ نجد أن الكثير من المؤرخين يجدون صعوبة كبيرة عندما يجدون ألقاباً مختلفة منقوشة على العملات، سُكّت في وقتٍ ومكانٍ واحد، ولا يعرفون هل هي تعود لشخص واحد؟ أم إلى عدة أشخاص؟[64].

وكان القراخانيون يتكلمون اللغة الأويغورية، وكانت عُملتهم تُسكّ عليها نقوش أويغورية، إلا أن أحرف هذهِ اللغة قد تلاشت تدريجياً، وحلّت محلّها الأبجدية العربية[65].

رابعاً: اعتناق القراخانيين الدين الإسلامي ودورهم في نشره في تركستان وبلاد ما وراء النهر.

قبل الدخول في تفاصيل اعتناق القراخانيين الدين الإسلامي، لابد أن أشير إلى أهم الديانات التي اعتنقها القراخانيين قبل اعتناقهم الإسلام.

فالمصادر التاريخية لا تذكر ديانة محددة، اعتنقها القراخانيون، وإنما تذكر أهم المعتقدات الدينية التي اعتنقها الأتراك، بشكلٍ عام.

فيذكر بارتولد أن من أهم الديانات التي عرفها الأتراك، مستنداً من خلال ذلك على الآثار التي عُثر عليها، والتي تشير معظمها إلى وجود عبادة السماء والأرض ؛ إذ عُثر على نقوش، تُشير بعبارتها (تورك كوكى)؛ أي (سماء الترك)، وعبارة (تورك يرصويى)؛ أي (الترك وماؤهم)، وكلمة (ته كرى)؛ أي السماء، وتعني الألوهية، ويمكننا أن نستنتج من خلال ذلك ومن خلال العبارات المشتملة على كلمة يرصوب؛ أي (الأرض والماء) أن الأرض والماء كانا يكوّنان معاً ألوهية واحدة، لا تنفصل عن بعضها البعض، وهو يقصد بها إلهاً معيناً واحداً[66].

64- بارتولد، تاريخ الترك، ص134.

65- بارتولد، تاريخ الترك، ص137 وص108 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص187.

66- لمزيد من التفاصيل ينظر: تاريخ الترك، ص11.

ومـن المعتقـدات الدينيـة التـي كانت منتشـرة بيـن الأتـراك الديانة الشـامانية، وشـامان لهـا معانٍ عـدة؛ منها السـاحر والشـاعر والطبيـب الروحاني، وكانـت تُطلق على كاهن الدين التركي القديم، وأصل الكلمة باللغة التركية تعني (قام)[67].

إن ديانـة الشـامانية تُعدّ الحـدّ الفاصل بين ديانة الشـعوب البدائية وديانة الشـعوب المتحضـرة، وذلـك أن الشـامانية ومـا شـابهها مـن ديانـات البدائيين لا تقوم على أسـس ومبـادئ وقيـم أخلاقيـة ودينيـة حقيقيـة، فليـس معنـى أن إيمانهـم باليـوم الآخـر أنهـم يؤمنـون بالحسـاب، وبأنهـم سـوف يُسـألون عمـا كانـوا يفعلـون فـي الدنيا من محاسـن ومسـاوئ، ولذلـك؛ فـإن القاتـل عندهم لا يخـاف عقاباً يـوم القيامـة، ويعتقـد أن منزلته في ذلك اليوم سوف تزداد رفعةً، كلما زاد عدد مَن يقوم بقتلهم في الدنيا[68].

ومن عقائد الشامانية الترك كما ذكرتها المصادر الصينية أنهم في مراسيم الجنازة والدفن كانوا يقيمون إلى جوار قبر الجند المقتولين في المعركة تماثيل لقتلى هؤلاء، وتسمّى هذهِ التماثيل بلبال Balbal، أما المصادر البيزنطية؛ فتذكر أن الرؤوساء العسكريين ممّن يقعون في الأسر لدى الترك، كانوا يذبحون -عادة- إلى جوار قبر الخان؛ أي ملك الترك، ومغزى هـذا الاعتقاد عند الشامانيين أن القتلى يصبحـون في العالم الآخر خدماً لقاتليهم، أو لمن كان القتل باسمهم[69].

ومـن المعتقـدات الدينيـة التـي انتشـرت بيـن الأتـراك الديانـة البوذيـة[70]،

67-لمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، تاريخ الترك، ص263.

68-لمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، تاريخ الترك، ص11 وص14 وص68.

69-لمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، تاريخ الترك، ص14.

70-البوذية: نسبة إلى مؤسسها بوذا؛ أي الحكيم والمستنير والمبارك، كانت ولادته سنة 560 ق.م، وذكر سنة 563ق.م، في ولاية بهار في الهند توفى سنة 480 ق.م، كان معاصراً لمؤسس الديانة الجينية، كان من عائلة آرية غنية من الطبقة الثانية، وهي جماعة القادة العسكريين، كان أبوه ملكاً صغيراً في تلك المنطقة، ولهذا؛ فقد كان بوذا أميراً، عاش في ترف ونعيم، إلا أنه سرعان ما تذمّر من هذهِ الحياة، وشعر بمشاكل الناس الفقراء، ولهذا؛ ترك هذهِ الحياة، وعاش منعزلاً في إحدى غابات الهملايا، حارب بوذا عقيدة التناسخ، وعدّها أساس كل المشاكل، وجّه عنايته نحو الأخلاق والمبادئ السامية مثل الإخلاص والوفاء وغيرها، انتشرت دعوته في بورما وسيلان والصين واليابان وغيرها. لمزيد من التفاصيل ينظر: باقر، د. طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، جزيرة العرب وبلاد الشام - بعض الحضارات والأمم القديمة - بلاد إيران

والمانوية[71] والزرادشتية[72] والمسيحية[73].

والإسكندر والسلوقيين – اليونان والرومان، من مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة المحدودة، بغداد، ط2، 1375هـ/ 1956م، ج2، ص343 – ص347 ؛ لوبون، د. غوستاف، حضارات الهند، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1367هـ/ 1948م، ص340 – ص395 ؛ الندوي، د. محمد إسماعيل، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، بلا.ت، ص30 – ص31 ؛ الندوي، د. محمد إسماعيل، الهند القديمة وديناتها، دار الشعب، القاهرة، 1970م، ص142 – ص154 ؛ زيعور، د. علي، الفلسفات الهندية، قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط1، 1980م، ص178 – ص181 وص230 – ص264.

71– المانوية: مؤسس هذا المعتقد الديني هو ماني بن فتق بابك بن أبي برزام، أمة تدعى ميس، وذُكر تاخيم أو مر مريم، وهو من أسرة عريقة مالكة من الأشغانية، ظهر في فارس في عهد الملك سابور بن أردشير، ادعى النبوة، وكانت التعاليم التي جاء بها لمعتقده مزيجاً من الديانة المجوسية والنصرانية، ومن أهم ما دعا إليه الثنوية، وبأن العالم مكوّن من عنصرين رئيسيين: هما النور والظلمة، وهما قديمان، ودعا إلى فكرة الحلول والتناسخ. لمزيد من التفاصيل ينظر:الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، بلا.ت، ص47 ؛ اليعقوبي، تاريخ، طبعة علّق عليها ووضع حواشيها: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1423هـ/ 2002م، ج1، ص139 ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص250 وص251 ؛ المسعودي، التنبيه والأشراف ص89 ؛ ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا.ت، ص456 – ص457 وص462 – ص473 ؛ البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، الفَرْق بين الفِرَق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، بلا.ت، ص271 ؛ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزك، 1342هـ/ 1923م، ص207 – ص208 ؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الركن، الهند، 1377هـ/ 1958م، ص29 وص41 – ص42 ؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مطبوع بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1320هـ، ج2، ص81 – ص86 ؛ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير: علي سامي النشارة دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ/ 1982م، ص88 ؛ كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ص169 – ص195.

72– الزرادشتية: نسبة إلى زرادشت بن بورشف بن فدراسف بن أريكوسف بن هجدسف بن ححيش بن باتيو بن ارحدى بن هردار بن اسبيمان بن واند ست بن هايزم بن أرج بن دورشرين بن منوشهر الملك من أهل اذربيجان، هو الذي ادعى النبوة بين المجوس، ظهر في عهد الملك الفارسي بشتاسب أو (بشتاسف)، كتب كتاباً في 12 ألف مجلد بالذهب، فيه وعد ووعيد وأمر ونهي وغيرها من الشرائع والعبادات، ووضع لهم تفسيراً، سمّوه زندا، ثم عمل تفسير التفسير، سمّاه ازند. لمزيد من التفاصيل ينظر: الدينوي، الأخبار الطوال، ص25 – ص26 ؛ الطبري، تاريخ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ، ج1، ص317 وص328 وص330 ؛ المسعودي، مروج الذهب، طبعة من تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1408هـ/ 1988م، ج1، ص229 – ص230 وص250 – ص251 ؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، المطبعة الأدبية، مصر، ط1، 1317هـ، ج1، ص102؛ المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء

أما عن انتشار الإسلام بين الأتراك؛ فقد اختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد السنة التي اعتنق القراخانيون فيها الإسلام.

إذ ورد في عدد من المصادر التاريخية أنه في سنة 349هـ/ 960م أعلن نحو مائتي ألف خركاه (أي خيمة أو أسرة) من القراخانيين في تركستان اعتناقهم الدين الإسلامي، وضحّوا بألف رأس من الغنم، واتبع معظمهم المذهب الحنفي[74].

وذكر عدد من المؤرخين أنه في سنة 435هـ/ 1043م اعتنق الدين الإسلامي نحو عشرة آلاف خركاه من كفار الترك، والذين كانوا يتوافدون على بلاد الإسلام، وفي نواحي مدينة بلاساغون وكاشغر، وضحّوا يوم عيد الأضحى المبارك، بعشرين ألف رأس من الغنم، وتفرّقوا في معظم البلاد الإسلامية، وبقي ممّن لم يعتنق الدين الإسلامي من التتر والخطا في نواحي الصين[75].

والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا.ت، ج4، ص26 وص27؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص-77 ص80 ؛ كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ص19 – ص22.

73 –لمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، تاريخ الترك، ص14 – ص15 وص40 وص69 – ص71.

74– مسكويه، أبو علي بن محمد، تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، 1333هـ/ 1915م، ج2، ص181 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص258 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص399 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1977م، ج11، ص236 ؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، المطبعة الوهبية، مصر، 1283هـ/ 1866م، ج2، ص359 ؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: أ. نبيلة عبد المنعم داود، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973، ج4، ق2، ص214 ؛ بارتولد، تركستان، ص391 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص71 ؛ الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص448 ؛ عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيين، دار الفكر العربي، بلا.ت، ص36 ؛ الداقوقي، د.حسين، الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات، ص140 ؛ بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي و د. عبد الحميد يونس، القاهرة، بلا.ت، مج5، مادة الإيلكخانية، ص405.

75–ابن الأثير، الكامل، ج8، ص38 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص51.

بينما ذكرت مصادر تاريخية أخرى أن عدد الأتراك الكفار ممّن اعتنق الدين الإسلامي في هذه السنة كان خمسة آلاف خركاه[76]. أما المقريزي؛ فقد انفرد في روايته مختلفاً مع ما ذكرته المصادر التاريخية الأخرى عن ذلك، وذكر أنه في سنة 425هـ/ 1033م اعتنق خمسة آلاف خركاه من الأتراك الدين الإسلامي[77].

ولا يهمّنا هنا اختلاف المؤرخين في عدد مَن اعتنق الدين الإسلامي من الأتراك الكفار، أو في سنة اعتناقهم له، فالمهمّ لدينا هو أن اعتناق القراخانيين للدين الإسلامي، وبهذا العدد الكبير، لا بد وأن سببه عدة عوامل، ومما لا شك فيه هو أن اقتناع القراخانيين بالمبادئ السامية والعظيمة للدين الإسلامي، وسماحة تعاليمه كان في مقدمة الأسباب التي دفعتهم لاعتناقه.

ويؤكد بارتولد على ما جاءت به المصادر التاريخية، ويضيف أنه إذ ما أخذنا بنظر الاعتبار العلاقات التجارية الوثيقة التي كانت تربط بلاد ما وراء النهر، بمناطق السهوب، فإن معظم الفرق الدينية، والتي وجدت لها أتباعاً من بين سكان بلاد ما وراء النهر، فكان لابد أن تأخذ طريقها في الانتشار بين الناس الرّحّل أيضاً، وإن الدعوة الإسلامية قد نشطت في مناطق السهوب منذ العصر الأموي، وكان لرجال الطرق الصوفية دوراً مهماً في نشر الدين الإسلامي؛ إذ حظوا بعدد كبير من المؤيدين في وديان آسيا الوسطى[78].

76- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن أبي علي حسن، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، صحّحه وعلّق عليه: عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1365هـ/ 1946م، ص137 ؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص69 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص485.

77- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، صحّحه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956، ط2، ج1، ص32.

78- تركستان، ص391.

ومـن العوامـل المهمـة التي سـاعدت على نشـر الدين الإسـلامي بيـن الأتراك الشـرقيين، الـدور الكبير الذي مارسـه الفقيه أبي الحسـن محمد بن سـفيان الكلماتي النيسـابوري[79]، الـذي خرج من نيسـابور في سـنة 340هـ/ 951م متوجهـاً إلى مدينة بخـارى، وقد اسـتقرّ بها سـنين عديدة، والتحـق بخدمة أحـد الأميـر القراخانيين[80]، وتوفـى فـي بلاطـه قبل عـام 350هـ/ 961م، ومن المؤكـد أن لـه دوراً كبيراً في نشـر الدين الإسلامي بين القراخانيين في سنة 349هـ/ 960م[81].

وكان للفقيـه أبي الحسـن سـعيد بـن حاتم[82] الإسـبانيكثي[83] الـذي خرج من مدينـة إسـبانيكث متوجهاً إلى بـلاد الترك قبل عـام 380هـ/ 960م، دورٌ مهمّ في نشـر الدين الإسلامي بين القراخانيين[84].

79- الفقيـه أبـو الحسـن محمد بن سـفيان بن محمـد بن محمود الأديـب الكاتـب الكلماتي النيسـابوري، كان يناظـر فـي الفقـه والـكلام، سـمع مـن أبـي بكـر محمـد بـن إسـحاق وأبـي العبـاس محمـد بن إسـحاق الثقفـي وأقرانهمـا، سـمع منـه أبـو يعلـى حمـزة بـن عبدالعزيـز المهلبـي. لمزيـد مـن التفاصيـل ينظـر: السـمعاني، أبـو سـعد عبـد الكريـم بـن محمـد بـن منصـور، الأنسـاب، تقديـم وتعليـق: عبـد اللـه عمر البارودي، مطبعة دار الجنان، بيروت، ط1، 1408هـ، ج5، ص89.

80- لم يرد ذكر اسم هذا الأمير في المصارد التاريخية.

81- السـمعاني، الأنسـاب، ج5، ص89 ؛ بارتولد، تركسـتان، ص391 ؛ محمود، حسـن أحمد، الإسـلام في آسـيا الوسـطى، ص181 ؛ إدريـس، محمـد محمود، تاريخ العـراق، ص165 ؛ بـوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص401.

82- أبـو الحسـن سـعيد بـن حاتـم بـن عـدي الاسـبانيكثي، الشـيخ الفاضـل الـورع، وهو مـن سـاكني مدينة سـمرقند، تفقّـه بهـا علـي أبـي الحسـن الرحبـي الفقيـه الشـافعي، كان يـروي عن عبـد الله بـن محمد بن محمـود السـمرقندي، سـمع منـه أبو سـعد عبـد الرحمن بـن محمد الإدريسـي الحافـظ، توفى فـي مدينة اسبانيكث بعد أن عاد إليها من بلاد الترك بأيام قليلة.

لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني، الأنساب، ج1، ص128.

83- الاسـبانيكثي: نسـبة إلـى مدينـة اسـبانيكث، وهي مـن مدن بـلاد مـا وراء النهر مـدن اسـبيجاب، وبينهما مرحلـة كبيـرة، ينسـب إليهـا أبو نصـر أحمد بن زاهـر بن حاتم بن رسـتم الأديـب الاسـبانيكثي.لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني، الأنساب، ج1، ص127 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص171.

84- السـمعاني، الأنسـاب، ج1، ص128 ؛ ياقـوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج1، ص171؛ بارتولـد، تركستان، ص392 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص181.

ومن خلال ذلك، يتضح لنا أن اعتناق القراخانيين للدين الإسلامي وفتوحاتهم في بلاد ما وراء النهر يُعدّ إسهاماً مهماً في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية في تركستان وبلاد ما وراء النهر[85].

وأول مَن اعتنق الإسلام من الأمراء القراخانيين هو الأمير سبق، أو (ستوق) بغراخان عبد الكريم (315-344هـ/ 927-955)، وهو جَدّ الملوك الخانيين الأتراك ورئيس الفرع الغربي للإمارة القراخانية[86] أطلق على هذا الأمير لقب قراخان، ولهذا سمّيت الإمارة القراخانية باسمه، واتخذ من مدينة كاشغر عاصمة له، ثم انتقلت - فيما بعد - إلى مدينة بلاساغون، وشملت سلطته - فضلاً عن هاتين المدينتين - مدناً أخرى؛؛ مثل ختن وطراز، وماجاورهما من البلاد، أما الفرع الشرقي للإمارة القراخانية؛ فقد اعتنقوا الإسلام بعد ذلك بوقت قليل عندما انتشر الإسلام في مدينة ختن وغيرها من بلاد تركستان[87].

ومن الجدير بالذكر أن الإمارة القراخانية انقسمت إلى فرعين شرقي وغربي، وسوف أتناول ذلك بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وقد ورد في المصادر التاريخية عن سبب اعتناق الأمير ستوق الإسلام من أنه رأى في منامه رؤيا مفادها:(**كأن رجلاً نزل من السماء، فقال بالتركية**

85-بارتولد، تركستان، ص458 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص187.

86-ابن الأثير، الكامل، ج9، ص2 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص512 ؛ بارتولد، تركستان، ص388 ؛ الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص449؛

Sankrityayana,mahapandita Rahula, History of Central Asia , p.172 ؛

بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص401.

87-ابن خلدون، تاريخ، ج، ص512؛ عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى، ص36؛

Sankrityayana , mahapandita Rahula, History of Central Asia , p.172؛

بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص401.

ما معناه: أسلمْ، تسلمْ في الدنيا والآخرة، فأسلمَ في منامه، وأصبح، فأظهر إسلامه)[88].

ومن الجدير بالذكر أن وفاة هذا الأمير كانت في سنة 344هـ/ 955م، وهذا يعني أن اعتناقه الدين الإسلامي كان قد سبق هذه السنة، وممّا يؤيد هذا أن عاصمة القراخانيين كانت مدينة إسلامية، وهي كاشغر[89].

ومن المؤكد أن اعتناق أعداد كبيرة من القراخانيين للدين الإسلامي في سنة 349هـ/ 960م وفي سنة 435هـ/ 1043م، كان قد سبقه اعتناق أمرائهم للدين الإسلامي ؛ أي أن القراخانيين قد ساروا على هدى ونهج أمرائهم في ذلك[90].

وقد اشتهر الأمير ستوق بجهاده في نشر الدين الإسلامي بين أعداد كبيرة من البوذيين والمسيحيين، وحارب الأتراك الوثنيين، وجمع تحت سلطاته أعداداً كبيرة من القبائل التركية؛ لينطلق بهم في فتوحاته باتجاه الغرب، لتوسيع سلطته[91].

وكان للقراخانيين دور مهمّ في نشر الدين الإسلامي في أقصى الشرق، فضلاً عن دورهم في نشره في الجهات الغربية[92]. ففي عام 435هـ/ 1043م وبفضل جهود القراخانيين، اعتنق أكثر من عشرة آلاف خركاه من الأتراك القرغيز الدين الإسلامي، والذين كانوا يقيمون في فصل الصيف قرب بلاد البلغار، وفي فصل الشتاء، كانوا يقيمون قرب مدينة بلاساغون[93].

88- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص2 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص521.

89- ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص512 ؛ بول، ستانلي ليـن، الدول الإسلامية، ج1، ص272 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص182.

90- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص182.

91- فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص120 ؛ عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى، ص36.

92- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص185.

93- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص185.

وكان للقراخانيين - أيضاً - دور كبير في نشر الدين الإسلامي في المناطق المحيطة بجبال تيان شان في الصين في القرنيين 5هـ/ 11م و7هـ / 13م[94].

وقد عُرف عن الأمراء القراخانيين بتمسّكهم بمبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، ويتضح هذا من خلال اهتمامهم بأهل الزهد والتصوف[95]. فضلًا عن ذلك، فإن الأمراء القراخانيين كانوا قد امتنعوا عن شرب الخمر[96].

94- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص114.

95- بارتولد، تركستان، ص458.

96- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي، زين الأخبار، ترجمة: محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية، فاس، 1972، ج2، ص94 ؛ بارتولد، تركستان، ص458 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص84 ؛ الداقوقي، د.حسين، الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات، ص140.

خامساً: اهتمام القراخانيين بالبناء والعمران:

لا تختلف حياة القراخانيين ونظمهم الاجتماعية والإدارية عن حياة البدو من الأتراك، فالانقسام الذي قد يحدث في إمارتهم، بسبب ضعف السلطة المركزية إلى عدة إقطاعيات مستقلة، بعضها يتضاءل مساحة، بينما يتسع بعضها الآخر في المساحة، وإن هذه الإقطاعيات كانت في حالة حروب مستمرة، فيما بينها، فقد كانت الإمارة تُعدّ ملكاً لأسرة الخان أجمع، وقد ظهر هذا - بشكل واضح - عندما ضعفت السلطة المركزية في الإمارة القراخانية، واستقلت كل مدينة بيد أمير من أمرائها، يدير أمورها، وينظمها، وهذا ما حدث عندما استقل ولاة بلاد ما وراء النهر، بسلطاتهم، واتخذ كل أمير منهم لقب ايلك خان[97].

وعلى الرغم من أسلوب حياتهم الرعوية، فإن القراخانيين قد اهتموا ببناء الأبنية الفخمة مثل القصور، وإقامة الربط على الطرق الرئيسة[98]. ومن أشهر هذه القصور القصر الكبير الذي بناه الأمير طفغاج أو (طمغاج) خان إبراهيم[99] في سمرقند في محلة كرجمين[100].

97- بارتولد، تركستان، ص407 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص186.

98- بارتولد، تركستان، ص463.

99- الأمير إبراهيم طمغاج، أو (طفغاج) خان: هو صاحب سمرقند وفرغانة الملقب عماد الدولة، كان أبوه زاهداً ومتعبّداً، وكان هو - أيضاً - مثل أبيه، توفى سنة 460هـ/ 1067م. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص297 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص517 ؛ بارتولد، تركستان، ص459 وص462 ؛

Sankrityayana,mahapandita Rahula, History of Central Asia,p.207, 208.

100- بارتولد، تركستان، ص463.

وقام الأمير القراخاني شمس الملك بن طفغاج خان[101] ببناء مدينة سماها شمس أباد قرب بخارى، وبنى فيها قصراً، وأنشأ فيها مرعى لدوابه، وأطلق عليها اسم الغورق، وجعل له أسواراً محكمة، طولها ميل، وبنى فيه برجاً للحمام[102].

وقام هذا الأمير - أيضاً - ببناء عدة ربط، منها رباط ملك الذي بناه عام 471هـ/ 1078م قرب مدينة غرجنك[103]، والرباط الذي بناه في محلة آف كتل الواقعة على الطريق بين سمرقند وخجندة[104] وبنى جامعاً في بخارى[105].

وكان الأمير القراخاني أحمد بن الخضر[106] محباً للعمارة ؛ إذ ابتنى لنفسه قصراً جديداً في الموضع المعروف باسم جويبار، وأنشأ فيه بستاناً، وحفر فيه نهراً جارياً، وجمع فيه كل أسباب الترف، وقد ظل هذا القصر قائماً لمدة ثلاثين عاماً[107].

101 - الأمير شمس الملك: تولى الإمارة بعد وفاة أبيه طمغاج خان إبراهيم، وحظي بشهرة واسعة مثل أبيه في مجال اهتمامه بالعلم والعمران. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص297؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص94 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص517 ؛ بارتولد، تركستان، ص462 - ص464 ؛
Sankrityayana,mahapandita Rahula,History of Central Asia,p.208, 209.

102 - النرشخي، تاريخ بخارى، ص49 ؛ بارتولد، تركستان، ص 464.

103 - غرجنك: لم أعثر على أية معلومات عن هذه المدينة، وربما يقصد بها غرجند، وهي من مدن الشاش بما وراء النهر. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص185.

104 - خجندة: وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ نهر سيحون، بينها وبين سمرقند 10 أيام مشرقاً، وهي مدينة نزهة كثيرة الفواكه، وفي وسطها نهر جار، والجبل متصل بها. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص272 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص347.

105 - بارتولد، تركستان، ص463 - ص464 ؛ بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص405.

106 - الأمير أحمد بن الخضر: تولى الإمارة بعد وفاة أبيه خضر خان بن طمغاج خان بن إبراهيم سنة 474هـ/ 1081م توفى سنة 488هـ/ 1095م. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص466 و ج8، ص148 - ص149 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص135 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص518 ؛ بارتولد، تركستان، ص465.

107 - النرشخي، تاريخ بخارى، ص49 ؛ بارتولد، تركستان، ص467.

واهتم الأمير القراخاني محمد أرسلان خان[108] بالناحية العمرانية، فأعاد بناء قلعة بخارى، واهتم بترميم أسوار المدينة، وبني موضع لصلاة العيد على أطلال مدينة شمس أباد، وقام - أيضاً - ببناء مسجد جامع سنة 515هـ/ 1121م، وأنشأ قصرين، أصبح أحدهما مدرسة، فيما بعد، وأعاد بناء مدينة بيكند[109]، وترميم المسجد الذي يقع قرب قلعة المدينة[110].

واهتم هذا الأمير - أيضاً - ببناء الحمامات في الدور التي شيّدها منها الدار التي شيّدها في محلة دروازه جه أي " البوابة " أو " الباب الصغير " في حي بوليث في بخارى، وأمر ببناء حمام آخر بباب السراي، وقد بقيت هذه السراي دار الملك في بخارى لسنوات طوال، ثم أصبحت مدرسة للفقهاء فيما بعد، وأوقفوا الحمام الذي على باب السراي والقرى الأخرى على تلك المدرسة، وأمر ببناء سرايه الخاصة بباب سعد اباد في بخارى[111].

واهتم هذا الأمير ببناء ربض جديد في بخارى، إلى جانب الربض القديم؛ بحيث أصبح كلاهما متصلاً ومحكماً، إلا أنه تهدّم فيما بعد[112].

108 - الأمير محمد أرسلان خان: تولى الإمارة القراخانية بأمرٍ من السلطان السلجوقي سنجر بعد مقتل الأمير قدر خان، كان محمد هذا ابن بنت السلطان ملكشاه السلجوقي، وكان على علاقة طيبة مع السلاجقة بحكم هذه الصلة. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص213 وص266 - 267 وج9، ص2 وص3 وص4 ؛ ابن خلدون، ج4، ص519 - ص522 ؛ بارتولد، تركستان، ص470 - ص471 ؛
Sankrityayana , mahapandita Rahula,History of Central Asia, p.175,176.

109 - بيكند: هي بلدة تقع بين بخارى ونهر جيحون، كانت بلدة كبيرة حسنة كثيرة العلماء، ليس فيها مزارع وقرى، وفيها عدد كبير من الربط، ولها سور ومسجد جامع. ينظر: ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد، رسالة ابن فضلان، حقّقها وعلّق عليها وقدّم لها: د. سامي الدهان، مطبعة المجمع العلمي العربي، دمشق، 1379هـ/ 1959م، ص76 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص281 وص282 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص538.

110 - بارتولد، تركستان، ص468؛ بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص405.

111 - النرشخي، تاريخ بخارى، ص49.

112 - النرشخي، تاريخ بخارى، ص57.

سادساً: علاقة القراخانيون مع الخلافة العباسية

اهتم الأمراء القراخانيين بتوطيد علاقاتهم السياسية مع الخلافة العباسية، لكونها الخلافة الشرعية للدولة العربية الإسلامية، وحفاظاً على ما حقّقوه، من إنجازات سياسية وعسكرية، من خلال الحصول على دعمها، ومساندتها لهم.

ونجح الأمراء القراخانيين في كسب الصفة الشرعية لإمارتهم، شأنها في ذلك شأن بقية إمارات الاستيلاء مثل الإمارة الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية وغيرها[113].

واتخذ الأمراء القراخانيين لقب " موالي أمير المؤمنين "، ونقش هذا اللقب على سكتهم، وضربوا اسم الخليفة العباسي على عملتهم، ودعوا له على منابر بلادهم الخاضعة تحت سلطتهم[114].

وممّا يؤيد حسن العلاقة بين الخليفة العباسي والأمراء القراخانيين هو منح الخليفة العباسي الألقاب الفخمة لهم، والتي توضّحت من خلال سكّهم لهذه الألقاب على النقود.

ففي سنة 404هـ/ 1013م، سكت النقود في مدينة ياركند[115]، وفي مدينة كاشغر سنة 405هـ/ 1014م، باسم الخليفة العباسي القادر بالله (381هـ-

113- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص186.

114- بارتولد، تركستان، ص 410 ؛محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص186 ؛ الداقوقي، د.حسين، يوسف الحاجب الخاص، بحث منشور في مجلة كانت تصدر عن نادي الإخاء التركماني، بلا.ع، ص14.

115- ياركند: هي مدينة تقع في بلاد ما وراء النهر بين مدينتي ختن وكاشغر. ينظر: الكاشغري، ديوان لغات الترك، ج1، الخارطة والملحقة في هذا الكتاب بعد ص 28؛ بارتولد، تركستان، ص422 وص698 وص731.

422هـ)/ (991-1030م)، وباسم الأمير القراخاني قدرخان يوسف[116]، وكان هذا الأمير يلقب بلقب " نصير الدولة "، ولقب " ملك المشرق"[117].

وقد حملت النقود التي ضربت في مدينة سمرقند اسم الأمير القراخاني إبراهيم طمغاج خان، والذي كان يلقّب بلقب " عماد الدولة وتاج الملة سيف خليفة الله طمغاج خان إبراهيم"[118].

وقد ذكر الطوسي أن الخليفة العباسي القادر بالله كان قد منح أحد الأمراء القراخانيين في سمرقند لقب "ظهير الدولة، معين خليفة الله ملك الشرق والصين"[119]. ولعل المقصود به هنا هو الأمير القراخاني طمغاج خان إبراهيم.

وذكر بارتولد أن هذا الأمير قد حمل لقب ملك الشرق والصين[120]. وأن ابنه نصر قد حمل لقب سلطان المشرق والصين[121]. على الرغم من أن سلطات أبيه وسلطاته لم تتجاوز حدود بلاد ما وراء النهر[122]. ولعل اتخاذ الأمراء

116- الأمير قدر خان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان أمير بخارى كان ينوب عن أخيه طغان خان في حكم سمرقند، توفى سنة 423هـ/ 1031م. لمزيد من التفاصيل انظر: البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، مصر، بلا. ت، ص211 وص237 وص450 ؛ الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص62 -ص93 وص95؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص296 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص515 - ص516 وص482

Sankrityayana,mahapandita Rahula , History of Central Asa ,p.174, 175

117- بارتولد، تركستان، ص 422.

118- بارتولد، تركستان، ص 450.

119- الطوسي، أبو علي الحسن علي بن إسحاق، سياست نامة " سير الملوك "، ترجمة: د. يوسف حسين بكار، دار القدسي، بيروت، بلا. ت، ص174.

120- تركستان، ص450.

121- بارتولد، تركستان، ص450.

122- بارتولد، تركستان، ص 450.

القراخانيين مثل هذا اللقب هو محاولة منهم لتقليد أباطرة الصين[123]. وذلك لأن سلطة القراخانيين قد امتدت إلى أجزاء واسعة من الصين.

وفي عهد الأمير القراخاني طفغاج خان أبي المظفر إبراهيم بعث رسوله إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-467هـ) / (1030-1074م) سنة 453هـ/ 1061م شاكياً إليه محاولات السلطان السلجوقي ألب أرسلان في فرض سيطرته على بلاده، من خلال شنّه لغارات عسكرية عديدة على بلاده، وقد لقيت شكواه استجابة من الخليفة العباسي، فدفع الأذى عنه، وعن بلاده، وبعث له الخُلع، ومنحه الألقاب الفخمة إكراماً له[124].

وبعث الأمير القراخاني أحمد بن إرسلان خان[125] إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله (487 - 512هـ)/ (1094 - 1118م) رسولاً طالباً منه أن يخلع عليه الخلع، ويمنحه الألقاب، فاستجاب الخليفة العباسي لطلبه، وبعث له الخلع، ومنحه لقب نور الدولة[126].

ومن الأدلة الأخرى على استقرار العلاقة بين الخلافة العباسية والإمارة القراخانية، هو أن الأمير القراخاني محمد بن سليمان الملقب بالخاقان، أرسل الفقيه أبا علي الحسين بن علي اللامشي[127] المتوفى سنة 522هـ/ 1128م إلى

123- بارتولد، تركستان، ص 450.

124- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص297 ؛ بارتولد، تركستان، ص462.

125- الأمير أحمد بن أرسلان خان. لم اعثر على معلومات عنه.

126- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص298 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص518.

127- أبو علي الحسين بن علي اللامشي الفرغاني سكن سمرقند وكان اماماً فاضلًا فقيهاً بصيراً بعلم الخلاف، سمع الحديث من أبي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم الحافظ القصار وغيره، ولد بلامش، وهي من قرى فرغانة سنة 441هـ/ 1049م، وتوفى في سمرقند سنة 522هـ/ 1128م. ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ط1، 1358هـ، ج1، ص10 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص8.

الخليفة العباسي المسترشد بالله (512-529هـ)/ (1118 - 1134م)، فقدم اللامشي إلى بغداد سنة 515هـ/ 121م[128].

ولا تذكر المصادر التاريخية السبب الرئيس الذي أُرسلت لأجله هذهِ السفارة، إلا أنه من المؤكد أن يكون السبب هو للتباحث عن بعض الأمور السياسية والعسكرية، ولتقوية أواصر العلاقات بين الخلافة العباسية والإمارة القراخانية.

128 - ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص10 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص8.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارة السامانية والقراخانية

(226 ـ 389هـ/840 ـ 998م)

* أولاً: الموقف السياسي والعسكري للسامانيين من ظهور القراخانيين (226 – 383هـ)/ (840 – 993م).
* ثانياً: سيطرة القراخانيين على بلاد ما وراء النهر ونهاية الإمارة السامانية سنة 389هـ/ 998م.

الفصل الثاني
العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارة السامانية والإمارة القراخانية
(226 ـ 389هـ/840 ـ 998م)

أولاً: الموقف السياسي والعسكري للسامانيين من ظهور القراخانيين (226 ـ 383هـ)/(840 ـ 993م):

اتخذت العلاقات السياسية بين الإمارة السامانية والقراخانية نهجاً غير مستقرٍ، فتارة نجدها علاقاتٍ هادئة، أساسها الوفاق، وتارة أخرى نجدها مضطربة، حسب ما تقتضيه المصالح السياسية لكلا الطرفين، وعلى أساس ذلك، اتخذ الأمراء السامانيين مواقف متباينة من ظهور القراخانيين.

كان السامانيون ومنذ القرن 4هـ/ 10م والنصف الأول من القرن 5هـ/ 11م، يبعثون بحملاتهم العسكرية إلى مناطق السهوب، وذلك لإخضاع الأتراك تحت سيطرتهم، وكان هدفُهم من إرسال هذه الحملات هو نشر الدين الإسلامي بينهم[1].

فقد نجح الأمير السامانى نوح بن أسد من فتح مدينة اسفيجاب[2] سنة 226هـ/ 840م، وأمر ببناء حائطٍ، يحيط بمزارع الكروم، ولحماية المنطقة من غارات الأتراك الكفار[3].

1- بارتولد، تركستان، ص335.

2- اسفيجاب: هي بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان، ولها ولاية واسعة، وقرى كالمدن، كانت من أعمر بلاد الله، وأنزهها، وأوسعها خصباً وشجراً ومياهاً جارية ورياضاً مزهرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص179.

3- بارتولد، تركستان، ص335وص392؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص283.

وفي سنة 280هـ / 893م، تمكن الأمير السامانى إسماعيل بن أحمد من فتح مدينة طراز، وبنى مسجد جامع بدل الكنيسة التي كانت موجودة فيها، وأسر ملكهَم وأباه وزوجته خاتون، فضلاً عن عشرة آلاف أسير من الأتراك، وقتل أعداداً كبيرةً منهم، وغنم الكثير من الغنائم، وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم، وسرعان ما اعتنق أمير طراز مع عدد من الدهاقنة الدين الإسلامي، وتليت الخطبة باسم الخليفة العباسي المعتضد بالله (279-289هـ) / (892 - 901م)، وقلَّد الخليفة المعتضد بالله الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى ولاية خراسان وبلاد ما وراء النهر، وخلع عليه خلعَ السلطنة إكراماً له على ما حقّقه من انتصارات عسكرية[4].

إلا أن الأتراك رفضوا الاستمرار في الخضوع لسلطة السامانيين، ففي سنة 291هـ/ 903م قام الأتراك الكفار بشن هجماتهم العسكرية على أملاك الإمارة السامانية، وذلك محاولة منهم للاستيلاء على بلاد ما وراء النهر[5].

وتذكر المصادر التاريخية عن ذلك: (**خرجت الترك في خلق كثير، لا يحصون إلى ما وراء النهر، وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا تكون إلا للرؤساء منهم**)[6]، وقد تمكن الأمير السامانى إسماعيل بن أحمد من إلحاق

4- الطبري، تاريخ، ج10، ص34؛ النرشخي، تاريخ بخارى، ص117 ؛ ابن العمراني، محمد بن علي محمد، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم ودراسة: د. قاسم السامرائي، بريل، ليدن، 1393هـ/ 1973م، ص146 -ص147 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص77، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص68؛ بارتولد، تركستان، ص350 وص392.

5- القرطبي: عريب بن سعد، صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، بلا. ت، ج11، ص14؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص109؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص97؛ بارتولد، تركستان، ص392؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص161، حيدر، د.محمد علي، الدويلات الإسلامية في المشرق، عالم الكتب، القاهرة، بلا.ت، ص123.

6- القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ج11، ص44؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص109.

الهزيمة بهم، وأخذ يشجّع المسلمين على القتال والجهاد، وأرسل رسالة إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله، يوضح له فيها أهم خطواتهِ العسكرية في مواجهته للأتراك[7].

وفي سنة 301 هـ/ 913م، تمكن الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى والي خراسان من إلحاق الهزيمة بالأتراك الذين قاموا بحملة عسكرية أخرى على أملاك الإمارة السامانية في خراسان، وقتلوا عدداً من أهلها، وأسروا أخرين، وبعث الأمير أحمد إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ) / (907 - 932م) رسولاً، يبشّره بهذا النصر، وطلب منه أن يوليه شرطة بغداد وأعمال فارس وكرمان[8]، فولاه على كرمان فقط، وكتب له الخليفة كتاباً بذلك[9].

ونجح الأمير السامانى نصر بن أحمد بن إسماعيل من فرض سيطرته على مدينة شاوغر[10]، وعلى مدينة هفت دة، أو (هفتدة[11])[12].

إلا أن الأتراك تمكنوا سنة 331هـ/ 942م من فرض سيطرتهم على مدينة اسفيجاب وعلى مدينة بلاساغون، والتي كانت مقراً للخاقان الأكبر[13]. وقام الأتراك بشن هجوم آخر على أملاك الإمارة السامانية سنة 332هـ/ 943م، إلا أن

7- ابن الأثير، الكامل، ج6، ص109؛ بارتولد، تركستان، ص392؛ حيدر، د. محمد علي، الدويلات الإسلامية، ص123؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص161.

8- كرمان: هي ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، كثيرة النخيل والزرع والمواشي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص454 وص455.

9- القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ج11، ص44؛ حيدر، د. محمد علي، الدويلات الإسلامية، ص138 وص139.

10- شاوغر: وهي مدينة من بلاد الترك واسعة الرستاق، عليها حصن، والجامع فيها يقع على طرف السوق. ينظر:المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص274؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص316.

11- هفت ده، أو (هفتده): وهي من كور فرغانة، تقع بالقرب من مدينة أوزكند، كانت للأتراك، ثم فُتحت، وصارت للإسلام.ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص187.

12- بارتولد، تركستان، ص392.

13- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص182 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص161.

السامانيين تمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم، وأسروا ابن الخاقان، وبقي السامانيون يفرضون سيطرتهم على الأتراك الشرقيين حتى النصف الثاني من القرن 4هـ / 10م، والدليل على ذلك آثار الرباط الذي بُني بأمر من الأمير فائق والي هراة[14] قرب مدينة ميركي[15].[16]

ويبدو أن القراخانيين لم يرضوا باستمرار خضوعهم تحت سيطرة السامانيين، فطموحهم في السيطرة على أملاكهم قد ازداد، لاسيما بعد اعتناقهم الدين الإسلامي في عهد أميرهم ستوق أو (سبق) بغراخان عبد الكريم (315 - 344هـ) / (927-955م)، وفي عهد حفيدة هارون بن سليمان المعروف ببغراخان ايلك الملقب بلقب شهاب الدولة وظهير الدعوة والذي نقش اسمه ولقبه على السكة في سنة 382هـ / 992م[17].

ومن الجدير بالذكر أن القراخانيين على الرغم من انتصاراتهم التي حقّقوها لم يندفعوا باتجاه الشرق لنشر الدين الإسلامي فيها، مما يُتيح لهم الفرصة لفرض سيطرتهم حتى حدود الصين، بل اتجهوا باتجاه الغرب، وبالتحديد باتجاه أراضي الأتراك الغربيين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى خشيتهم من الاصطدام

14- هراة: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ليس هنالك مدينة أجلُّ وأعظم وأفخم منها، فبها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة، ولها حصن وربض وقهندز، والمسجد الجامع في مدينتها، ودار الإمارة خارج الحصن، بناؤها من الطين، ولها أربعه أبواب. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص149 - ص150 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص298.

15- ميركي: وهي مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر، متوسطة الرقعة، محصنة، ولها قهندز، الجامع فيها كان سابقاً كنيسة. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص275.

16- المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص275؛ بارتولد، تركستان، ص392؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص183.

17- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص113 - ص114 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص183.

بقـوة أباطـرة الصيـن، كذلـك لازدهـار الحضـارة فـي الغـرب، ووفـرة خيراتهـا، كل ذلك كان عاملاً مهماً لجذب أنظار القراخانيين نحو الغرب[18].

وكان لطبقـة الدهاقيـن فـي بلاد ما وراء النهـر دورٌ كبيرٌ في تشـجيع القراخانيين علـى التوجـه نحو الغـرب، ويسـروا لهـم مهمتهـم، وأطلعوهـم على مسـالك البلاد وطرقهـا؛ إذ لـم يحصلـوا علـى الكثيـر مـن الامتيـازات فـي عهـد السـامانيين، وإن الفائـدة التـي جناها هـؤلاء الدهاقون تضاعفت بعـد أن تمكـن القراخانيون من فرض سـيطرتهم علـى أمـلاك السـامانيين[19]. وقـد عُثـر علـى عملـة مسـكوكة فـي عهـد القراخانيين، ضُرب عليها اسم دهقان ايلاق[20].[21]

وهـذا الأمـر يـدل علـى المكانـة السياسـية والإداريـة والاقتصاديـة التـي كان يتمتع بها دهاقنة بلاد ما وراء النهر في عهد القراخانيين.

وكان لأبـي محمـد عبـد اللـه بـن عثمـان الواثقـي وهـو أحـد أبنـاء الخليفـة العباسـي الواثـق باللـه دورٌ كبيـر في تشـجيع الأميـر القراخاني بغراخان هـارون على الاسـتيلاء علـى بـلاد مـا وراء النهـر، فقـد توجـه الواثقـي إلـى بـلاد التـرك، وحظي بمكانـة مميـزة لـدى الأميـر القراخانـي هـارون بغراخـان[22]. وادعـى أنـه ولـي عهد

18- بروكلمـان، كارل، تاريـخ الشـعوب الإسـلامية، ص114 ؛ محمـود، حسـن أحمـد، الإسـلام فـي آسـيا الوسطى، ص184.

19- بارتولـد، تركسـتان، ص394وص454 ؛ بارتولـد، تاريـخ الترك، ص83 ص83 ؛ محمود، حسـن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص184.

20- إيـلاق: هـي مدينـة مـن مـدن الشـاش المتصلة ببـلاد التـرك على عشـرة فراسـخ من مدينـة الشـام، وهي أنـزه بـلاد الله، وأحسـنها، قصبتهـا تونكث، وبها معـدن الذهب والفضـة. ينظر: ياقـوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص291.

21- بارتولد، تركستان، ص454؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص83.

22- الثعالبـي، أبـو منصـور عبـد الملـك بـن محمـد بـن إسـماعيل، يتيمـة الدهـر فـي محاسـن أهـل العصر، تحقيـق: محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد، دار الفكـر، بيـروت، بـلا.ت، ج4، ص-192ص193؛ بارتولد، تركستان، ص294 - ص 395.

الخليفـه العباسـي القـادر باللـه (381-422هـ) / (991 - 1030م)، وإنـه قـد جـاء ليأخـذ البيعـة لـه بولايـة العهد مـن الأميـر القراخانـي، فأجابـه الأميـر القراخاني لما أمـره بـه، إلا أن الأخبـار عـن ذلك سـرعان ما وصلـت إلى مسـامع الخليفة العباسـي القـادر باللـه، فبعث رسـله إلـى الأميـر القراخاني مكذبـاً ادعـاء أبي محمـد الواثقي، إلا أن الأمير القراخاني لم يصغ إليه[23].

وبعـد وفـاة الأميـر القراخاني هـارون، تولـى الإمـارة القراخانية ابنه أحمـد، فكاتبه الخليفـة القـادر باللـه؛ ليوضـح لـه الادعـاء الـكاذب الـذي جاء بـه أبـو محمـد الواثقي، وأمـره بإبعـاده عـن بـلاد مـا وراء النهـر، وقـد امتثـل الأميـر القراخانـي أحمـد لأوامـر الخليفـة، فسـار الواثقـي متنكراً إلـى بغداد، فلما كُشـف أمره، هـرب إلى البصـرة، ثم إلى فـارس، ومنهـا إلـى كرمـان، ثم اسـتقر بعدهـا في بـلاد التـرك، فأمر الخليفـة القـادر بالله السـلطان محمـود الغزنـوي بإلقـاء القبـض عليه، وسـجنه، ولقـد امتثل السـلطان محمود لأوامر الخليفة، وألقى القبض عليه، وسجنه في إحدى القلاع حتى مات فيها[24].

كل هـذه الدوافع كانت أسـباباً مهمة دفعـت الأمير القراخاني هـارون بغراخان بإعداد العدة لشـن هجماته العسـكرية على أمـلاك الإمارة السـامانية، وإنهاء وجودها على الساحة السياسية.

ففـي سـنة 383هـ/ 993م، تمكن الأمير القراخاني شـهاب الدولـة هارون من فـرض سـيطرته علـى مدينة بخـارى[25]. ومما سـاعد على ذلك الخلاف الذي نشـب بين الأمير الساماني نوح بن منصور وبين عدد من أمرائه.

23- العتبـي، أبـو نصـر محمـد عبـد الجبار محمـد، تاريـخ اليمينـي على هامـش الفتـح الوهبي للشـيخ أحمد المنينـي، جمعيـة المعـارف، القاهـرة، 1286هـ، ج2، ص111 وص112؛ الثعالبي، يتيمـة الدهر، ج4، ص193؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص210.

24- العتبي، تاريخ اليميني، ج2، ص111 وص112؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج4، ص193.

25- النرشخي، تاريخ بخارى، ص145؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص160؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص431.

إذ إن الأمير أبا علي بن سيمجور تولى ولاية خراسان بعد وفاة أبيه أبي الحسن بن سيمجور، وحُملت إليه الخلع، بأمرٍ من الأمير نوح بن منصور، وعند وصول رسول الأمير نوح إلى مدينة هراة التي كان وإليها الأمير فائق، أعطى الخلع والعهد بولاية خراسان له، فوصلت أخبار ذلك إلى الأمير أبي علي بن سيمجور، فشعر بالإساءة والإهانة، وفي إثر ذلك، سار أبو علي بن سيمجور لمحاربة الأمير فائق، وقد تمكن من إلحاق الهزيمة به، ففر الأمير فائق مع عدد من أصحابه إلى مرو الروذ، وسار الأمير أبو علي إلى الأمير نوح طالباً منه تجديد ولاية خراسان له، فأجابه الأمير نوح، وجمع له ولاية خراسان كلها بعد أن كانت ولاية مدينة هراة للأمير فائق، فعاد الأمير أبو علي إلى نيسابور ظافراً، وجبى الأموال الموجودة في خراسان، فبعث له الأمير نوح رسله، يأمره بأن يبعث له ببعض المال لتوزيعها كأرزاق على الجند، إلا أن الأمير أبا علي رفض ذلك[26].

وقد شعر الأمير أبو علي بن سيمجور بالخطر الذي يحيط به من جهة الأمير الساماني نوح، وذلك نتيجة موقفه هذا، وفي إثر ذلك، بعث رسله إلى الأمير القراخاني هارون يدعوه بأن يتوجه إلى مدينة بخارى، وانتزاع ملكها من السامانيين، وأطمعه فيها، وبخيراتها، وقد تم الاتفاق بين الطرفين على أن يملك الأمير القراخاني هارون بلاد ما وراء النهر، بينما يملك أبو علي بن سيمجور خراسان[27].

26- النرشخي، تاريخ بخارى، ص145؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص160، مستوفي قزويني، حمد الله ابن أبي بكر بن أحمد، تاريخ كزيدة، اهتمام وتصميم الحواشي والفهارس، د. عبد الحسين نوائي، طهران، 1339هـ، ص384 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص466 ؛ بارتولد، تركستان، ص387، فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص120، عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى، ص36.

27- ابن الأثير، الكامل، ج6، ص161؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص384 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص466 ؛ خواند مير، غياث الدين بن همام، تاريخ حبيب السير في أفراد بشر، از انتشارات: كتا بخانه خيام خيابان ناصر خسرو، طهران، 1333هـ، م2، ص366 ؛ بارتولد، تركستان، ص294 ؛ عطا، زبيدة، الترك في العصور الوسطى، ص36.

أما الأمير فائق؛ فإنه قد أقام في مدينة مرو الروذ، وبعد أن قويت شوكته، وكثر أتباعه، سار نحو مدينة بخارى دون أن يأخذ الإذن من الأمير نوح، فارتاب الأمير نوح من تصرف الأمير فائق، فبعث جيشه لمنعهم من دخول بخارى، وقد تمكن جيش الأمير نوح من إلحاق الهزيمة بالأمير فائق وأتباعه، فاضطر إلى الانسحاب إلى مدينة ترمذ[28]. [29]

فكتب الأمير نوح إلى أمير جرجان[30] يأمره بالتوجه لقتال الأمير فائق، فامتثل أمير جرجان لأوامر الأمير نوح، وبعث جيشه لقتال الأمير فائق وأتباعه، إلا أن الأمير فائق ألحق الهزيمة بجيش الأمير الجرجاني، وبعث رسالةً إلى الأمير القراخاني هارون يطمّعه ويشجّعه بفرض سيطرته على البلاد التي تخضع لسلطة الإمارة السامانية، وقد نجح الأمير فائق من إقناع الأمير القراخاني هارون الذي بعث جيشه إلى مدينة بخارى، وبعث الأمير نوح جيشه - أيضاً - إلى بخارى، وجعل قيادته لأكثر قادته كفاءةً وحزماً، وهو القائد إنج، إلا أن الجيش القراخاني ألحق به الهزيمة، ووقع القائد انج مع عدد من الجند في الأسر[31].

28- ترمذ: وهي أجلُّ مدينة تقع على نهر جيحون، نظيفة طيبة، أسواقها مبنية من الآجر، والماء يسطع جانبيها، ويقلع المراكب إليها من كل جانب، وعليها حصن، ولها قهندز، والجامع في الحصن والقهندز خارج منه له باب، وللمدينة ثلاث أبواب. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج4، ص291؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص484.

29- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص161؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 466.

30- جرجان: وهي مدينة من بلاد الجبل، تقع بين طبرستان وخراسان، افتتحت على يد سعيد بن عثمان في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ارتدّ أهلها عن الإسلام حتى افتتحها يزيد بن المهلب في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، يكثر فيها العنب و النخيل والتين والزيتون، وهي غزيرة الأنهار، يعمل فيها أجود أنواع الخشب وثياب الحرير. ينظر: أحسن التقاسيم، ج2، ص354 ؛ اليعقوبي، البلدان، بريل، ليدن، 1309هـ/ 1891 م ؛ الأصطخري، مسالك الممالك، ص212؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص 227.

31- النرشخي، تاريخ بخارى، ص145؛ النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص114؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص161؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص385 ؛ أبو الفداء، ج2، ◄

وعندما ضعف موقف الأمير الساماني نوح، بعث إلى أمير خراسان أبي علي بن سيمجور طالباً منه المساعدة، ويأمره بالقدوم مع جيشه، فلم يجبه إلى ذلك، بينما استمر الأمير القراخاني بالتقدم نحو بخارى، وانضم إليه الأمير فائق مع أتباعه، ونجح في فرض سيطرته على بخارى، وفي إثر ذلك، هرب الأمير نوح إلى مدينة آمل[32]، وأقام بها، أما الأمير فائق؛ فقد استأذن الأمير القراخاني في التوجه نحو بلخ وترمذ، وفرض سيطرته عليها، فأعطاه الأمير القراخاني الإذن بذلك، وتمكن من فرض سيطرته على المدينتين[33].

وبعد نجاح الأمير هارون في فرض سيطرته على بخارى، استدعى الأمير عبد العزيز بن نوح بن نصر الساماني، وأكرمه، وأحسن إليه، وخلع عليه الخلع[34]، وقال له: **(سمعت أنهم اغتصبوا ولايتك، وها أنذا أُعيدها إليك، لما أعهد فيك من الشجاعة والعدالة وحسن السيرة، فلتكن على ثقة بأني سأكون عوناً لك، كلما دعت الحاجة إلى العون والمساعدة)**[35].

◄ ص20 وص21 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص466 وص512 ؛ بارتولد، تركستان، ص396؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص-120 ص121، حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي و الاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1387هـ/ 1965م، ج3، ص80.

32- آمل: هي قصبة مدينة طبرستان، وهي أكبر من قزوين، مشتبكة العمارة، وفيها مياه جارية وبساتين وزروع، وبها مجمع طرق خراسان إلى بلاد ما وراء النهر، وفيها أعظم معابر خراسان. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص376؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود وكوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1256هـ/ 1840م، ص435.

33- الكرديزي، زين الأخبار، ج1، ص58 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص163؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص385 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص467؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م 2، ص366.

34- البيهقي، تاريخ، ص214؛ الكرديزي، زين الأخيار، ج1، ص58.

35- البيهقي، تاريخ، ص214؛ الكرديزي، زين الأخيار، ج1، ص58.

وهـذا يعنـي أنه قـد أعاد للأميـر عبد العزيـز حقه في الإمـارة، بوصفـه الوريث الشـرعي؛ أي بموجـب وصيـة الأميـر نـوح بـن نصـر الـذي جعل ولايـة الإمـارة بين أولاده واحداً بعد الآخر، فكان الأمير عبد العزيز آخر أولاده[36].

وأثنـاء مكـوث الأميـر هـارون فـي بخـارى، أصابـه المـرض، فقـرر المغادرة والعـودة إلـى مدينة بلاسـاغون، إلا أنـه توفى في طريق عودته سـنة 383هـ/ 993م، وتولـى الإمـارة من بعـده الأمير ايلـك خان سـليمان الملقب شـهير الدولـة، وفي إثر ذلـك، ثار أهـل بخارى علـى الجيـش القراخاني، وغنمـوا أموالهـم، وعندما وصلت أخبـار ذلـك إلـى الأميـر السـاماني نـوح، أسـرع بالتوجـه إلـى بخـارى مع عـدد من أتباعـه، وتمكـن مـن دخولها، وفرض سـيطرته عليها، وعـاد إلى دار ملكه، واسـتقبله أهلها مستبشرين بقدومه[37].

إلا أن الأميـر فائـق قـرر محاربتـه، وبعـث رسـله إلـى الأميـر أبـي علـي بـن سـيمجور، وذلك لمسـاعدته في ذلك، فاسـتجاب له، واشـترك معهما أمـراء جرجان والعـراق، وأرسـلوا إلـى الأميـر البويهـي فخـر الدولـة طالبيـن منـه أن يرسـل لهـم بالمـدد، فاسـتجاب لهـم، وفـي إثـر ذلـك، بعـث الأمير نـوح بـن منصور رسـله إلى الأميـر الغزنـوي سـبكتكين وابنـه محمـود طالبـاً المسـاعدة منهمـا ضـد تحالـف الأميريـن فائـق وأبـي علـي بـن سـيمجور وحلفائهمـا، فاسـتجابا لمسـاعدته، وكان اللقـاء بينهمـا وبيـن الأميـر نـوح فـي صحـراء نخشـب[38]، ومنهـا توجّها إلـى مدينة

36- بارتولد، تركستان، ص381وص397.

37- ابـن الأثيـر، الكامـل، ج7، ص163 ؛ مسـتوفي قزوينـي، تاريخ كزيـدة، ص386 ؛ أبو الفـداء، المختصر، ج 3، ص51 ؛ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص431؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص467.

38- نخشـب: وهـي مـن مـدن بـلاد مـا وراء النهـر، تقـع بيـن نهـر جيحـون وسـمرقند، وليـس علـى طريـق بخـارى، فـإن القاصـد مـن بخـارى يجعل نخشـب عن يسـاره، بينهـا وبين سـمرقند ثلاث مراحـل، وهي كثيـرة النعمـة ومعمـورة وذات زراعـة كثيـرة، ولهـا نهـر واحـد، يمـر فـي وسـط المدينـة. ينظـر: مؤلـف مجهول، حدود العالم، ص91 ؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص276.

بخارى، وبعد أن اشتبك الطرفان في معارك ضارية، تمكن الأمير الغزنوي سبكتكين وابنه محمود من إلحاق الهزيمة بجيش فائق وحلفائه في سهل مدينة هراة رغم كثرة عددهم، ففرّ كل من الأمير فائق وأبي علي إلى نيسابور، وبقيا تحت حماية الأمير البويهي فخر الدولة، فبعث بهما إلى مدينة جرجان، أما الأمير الساماني نوح؛ فقد عاد إلى بخارى تاركاً الأمير سبكتكين في هراة مانحاً إياه لقب ناصر الدولة، أما الأمير محمود؛ فقد ولاه نيسابور، ومنحه لقب سيف الدولة، وذلك إكراماً لهما على ما حقّقاه من نصر عظيم[39].

إلا أن الأمير فائق لم يقف مكتوف الأيدي بعد ما أُلحق به من هزيمة مريرة هو وحلفائه، فبدأ مجدداً بتحريض الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق نصر بن علي بن موسى بن ستق، وإقناعه بالسير نحو بخارى، والسيطرة عليها، والإطاحة بالأمير نوح، وقد اقتنع الأمير القراخاني بفكرة الأمير فائق، فسار مع جيشه إلى بخارى، إلا أن الحرب لم تقع بين الطرفين، فسرعان ما عُقد الصلح بينهما الطرفين، وشفع الأمير القراخاني للأمير فائق عند الأمير الساماني نوح، فرضي الأمير الساماني عنه مسامحاً إياه، وولاه سمرقند[40].

ويبدو أن الأمير الساماني قد رضي شفاعة الأمير القراخاني للأمير فائق، وولاه سمرقند محاولةً منه لإنهاء عداوته، ودفعاً لضرره، وإنهاء حالة النزاع والفوضى التي عمت البلاد، بسبب خيانة الأمير فائق وأتباعه.

39- النرشخي، تاريخ بخارى، ص145وص146 ؛ البيهقي، تاريخ، ص 215؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص164؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص386 ؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص21؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص467 -ص468 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص347 ؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص121؛ الساداتي، أحمد محمود، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضاراتها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1987م، ص184؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص83.

40- النرشخي، تاريخ بخارى، ص146 -ص147؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص286؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص476؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص122.

ثانياً: سيطرة القراخانيين على بلاد ما وراء النهر ونهاية الإمارة السامانية سنة 389هـ/998م

قرر الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق محاربة السامانيين، وبدأ بإعداد العدة من أجل ذلك.

ففي سنة 387هـ / 997م أعلن الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق عن رغبته في فرض سيطرته على أملاك الإمارة السامانية، فبعث الأمير نوح رسله إلى الأمير الغزنوي سبكتكين وابنه محمود لمساعدته في صدّ هجمات الأمير القراخاني، وقد استجاب الأمير سبكتكين لطلب مساعدته، فقاد جيشه معسكراً بهم بين مدينتي نسف[41] وكش[42]، ثم لحق به ابنه الأمير محمود، أما الأمير القراخاني؛ فقد جمع أعداداً كبيرة من المقاتلين الأتراك من سائر النواحي، وبعث الأمير سبكتكين رسله إلى الأمير السامانى نوح طالباً منه القدوم إليه، إلا أنه رفض ذلك، وبعث نيابةً عنه عدداً من قادته، وجمعاً من عساكره، وجعلهم تحت تصرفه،

41- نسف: هي مدينة كبيرة، كثيرة الأهل والرستاق، تقع بين نهر جيحون وسمرقند، ولها قهندز وربض، ولها أربعة أبواب، ولها نهر يجري وسط المدينة، ودار الإمارة تقع بالقرب من هذا النهر، ولها قرى ونواح عديدة وآبار تُسقى بساتينها وأرضها خصبة، وهي كثيرة الأعناب. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص282 -ص283؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص285.

42- كش: هو بلد كبير في بلاد ما وراء النهر، له مدينة وربض، ودار الإمارة تقع خارج المدينة، والجامع في المدينة، والأسواق في الربض، بناؤها من الطين والخشب، وهي خصبة، ولها 4 أبواب، وهي مدينة حارة، يكثر فيها تساقط الأمطار، ولها نهران، يمران بالمدينة، ويسقي مزارعها، يجلب منها البغال الجيدة، انظر: مؤلف مجهول، حدود العالم، ص90 - ص91، ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص282؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص462.

وعلى الرغم من هذه الاستعدادات العسكرية لم تحدث أية معارك عسكرية بينهما، فبعث الأمير القراخاني رسله إلى الأمير الغزنوي سبكتكين طالباً منه عقد الصلح، وقد وافق الأمير سبكتكين على ذلك، وتم عقد معاهدة بينهما، على أن تكون بادية قطوان[43] حداً فاصلاً بين أملاك السامانيين والقراخانيين، على أن تتم سيطرتهم على كل البلاد الواقعة شمال حوض طبرستان[44]، وبهذا؛ احتفظت الإمارة القراخانية بحوض نهر سيحون كله، إلا أنهم لم يتخذوا من بخارى عاصمةً لهم، بل أصبحت كاشغر عاصمتهم، وأصبحت بلاد ما وراء النهر تابعةً لهم[45].

وبعد وفاة الأمير السامانى نوح بن منصور سنة 387هـ/ 997م، تولى الإمارة السامانية أبو الحارث منصور بن نوح بن عبد الملك بن نوح، ففي عهده، اتصل عدد من أركان دولته بالأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق محرّضين إياه على القضاء على نفوذ السامانيين، فتوجّه الأمير القراخاني إلى بخارى، ففرّ الأمير أبو الحارث منها، وتمكّن الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق من فرض سيطرته على بخارى، إلا أن الأمير فائق الذي ولاه الأمير أبو الحارث إدارة أمور الدولة قد شجّعه على استعادة ملكه، فوجّه عساكره إلى بخارى، وفرض سيطرته عليها[46].

43- قطوان: هي قرية من قرى سمرقند، تقع على 5 فراسخ منها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص375.

44- ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص476 ؛ بارتولد، تركستان، ص401 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص162؛ الساداتي، أحمد محمود، تاريخ الدول الإسلامية، ص184؛ الدوري، د.عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص122، طلس، د. محمد أسعد، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بلا. ت، م2، ج6، ص36.

45- النرشخي، تاريخ بخارى، ص47؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص184؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص387؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص469، خواندمير ؛ تاريخ حبيب السير، م2، ص368 ؛ بارتولد، تركستان، ص402؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص81.

46- الكامل، ج7، ص184.

بينما ذكر ابن الأثير أن الأمير القراخاني بعد أن بلغه خبر وفاة الأمير نوح بن منصور توجه إلى سمرقند، وانضم إليه الأمير فائق، فسيّره مع عساكره إلى بخارى، ففرّ الأمير أبو الحارث من بخارى، ودخلها الأمير فائق، إلا أنه أظهر أنه قد قصد من ذلك أن يكون في خدمة الأمير الساماني، وأرسل إليه مشايخ بخارى، وأعطاه ما يطمئنّ إليه من العهود والمواثيق، فعاد إليها، ودخلها[47].

وفي سنة 389هـ / 998م نجح الأمير القراخاني من فرض سيطرته على بلاد ما وراء النهر، والإطاحة بالإمارة السامانية.

فالأمير الساماني عبد الملك بن نوح الذي تولى الإمارة السامانية بعد الأمير أبي الحارث منصور، قد اتفق مع أمير بلخ فائق وبكتوزون الحاجب وآخرين، فقويت شوكتهم، وجمعوا العساكر، وعزموا على العودة إلى خراسان وانتزاعها من يد السلطان محمود الغزنوي، إلا أن الأمير فائق توفى في هذه السنة، ونتيجة لذلك، ضعفت قوتهم، وانهارت عزيمتهم، وقد وصلت أخبار ذلك إلى مسامع الأمير القراخاني شمس الدولة ناصر الحق، فسار مع جيشه من كاشغر إلى بخارى، وأظهر للأمير الساماني عبد الملك المودة والصداقة، فوثق به، واطمئن له، فخرج لاستقباله الحاجب بكتوزون وبقية الأمراء، فلما اجتمعوا، ألقى القبض عليهم جميعاً، فدخل بخارى، وفرض سيطرته عليها. أما الأمير عبد الملك؛ فقد تمكن من الهرب، فبعث الأمير القراخاني عدداً من جنده، للبحث

47- النرشخي، تاريخ بخارى، ص148؛ البيهقي، تاريخ، ص709 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص197؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص388؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص27؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص438؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص471؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص37؛ الساداتي، أحمد محمود، تاريخ الدول الإسلامية، ص185؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص123.

عنه، وتمكنوا من إلقاء القبض عليه، وأودع ايداعه في السجن في مدينة أوزكند، وبقي في سجنه حتى مات فيه[48].

إلا أن الأمير المنتصر أبا إبراهيم إسماعيل بن نوح السامانى سعى جاهداً لاستعادة مُلك آبائه وأجداده من يد الأمير القراخاني.

فقد تمكّن هذا الأمير من الهرب من معتقلة في مدينة أوزكند متنكراً بزي امرأة، وتوجه إلى مدينة بخارى، ومنها إلى خوارزم، وانضم إليه عدد من الأتباع والمؤيدين[49].

وعقد المنتصر قيادة جيشه إلى القائد أرسلان يالو الذي تمكن من الإطاحة بوالي بخارى جعفر تكين ووالي سمرقند تكين خان قرب قنطرة نهر زرفشان[50]، ونجح المنتصر من دخول بخارى، واستبشر أهلها به[51].

وسرعان ما اتضح للمنتصر أنه من المستحيل عليه الوقوف بوجه الجيش القراخاني، فسارع مع قائد جيشه بالهرب من بخارى، واشتبكا مع جيش الأميران

48- البيهقي، تاريخ، ص709، الكرديزي، زين الأخبار، ج1، ص66 ؛ النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص114؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص197 ؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص388؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص27؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص325؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص471؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص37؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص119؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص81.

49- النرشخي، تاريخ بخارى، ص148؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص472؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص370؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص123؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص119؛ بارتولد، تركستان، ص407.

50- نهر زرفشان: أو نهر السغد، منابعه يقال لها البُتم، وهو يفصل بين أنهار إقليم الصغد، من جهة، وأنهار الصغانيان ووخشاب، من جهة أخرى. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص179 وص184 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص510.

51- النرشخي، تاريخ بخارى، ص148؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص472؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص370 ؛ بارتولد، تركستان، ص407؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص123.

محمود ونصر، ويبدو أن الأمير القراخاني قد طلب المساعدة من الغزنويين لمحاربة الأمير المنتصر، وقد نجح الأميران محمود ونصر من إلحاق الهزيمة بجيش المنتصر الذي توجه إلى بلاد ما وراء النهر طالباً المساعدة من سلجوق بن دقاق الذي استجاب إلى مساعدته، وقد تمكّنوا من إلحاق الهزيمة بجيش الأمير القراخاني قرب سمرقند سنة 394هـ/ 1003م، وسقط عدد كبير من الأسرى القراخانيين بيد السلاجقة الذين رفضوا تسليمهم إلى الأمير المنتصر طمعاً بالفدية، فأثار هذا الأمر الشكوك في نفس الأمير المنتصر، وأدرك أنهم ربما يريدون الاتفاق سراً مع الأمير القراخاني ضده، فقرر هجرهم متوجهاً إلى مدينة امل[52].

وفي سنة 395هـ/ 1004م حاول المنتصر فرض سيطرته على نسا[53] وابيورد[54]، إلا أنه فشل في ذلك، فسار متوجهاً إلى بلاد ما وراء النهر، فألحق به والي بخارى الهزيمة، إلا أنه تحصن في مدينة نور[55]، ومن هناك، هاجم والي بخارى في دبوسيه[56]، وتمكّن المنتصر من إلحاق الهزيمة به[57].

52- النرشخي، تاريخ بخارى، ص148 -ص149؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص472 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص370 ؛ بارتولد، تركستان، ص408 وص409.

53- نسا: هي مدينة تقع في خراسان بينها وبين سرخس يومان، وهي مدينة رحبة، طيبة غزيرة المياه كثيرة الخيرات مشتبكة الأشجار، حسنة الثمار. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص320؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص282 -ص283.

54- إبيورد: هي مدينة تقع في خراسان بين مدينتي سرخس ونسا، وهي مدينة وبئة رديئة المياه وشربهم من نهر والجامع يقع في السوق، خرب حصنها، ومدينتها مهنة ورباطها كوفن. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص321؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص86.

55- نور: هي من قرى بخارى عند جبل لها زيارات ومشاهد للصالحين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص310.

56- دبوسية: هي بليدة من أعمال الصغد من بلاد ما وراء النهر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص437.

57- بارتولد، تركستان، ص409.

وفي إثر ذلك، انضم إليه عدد من المؤيدين من سمرقند وعدد من السلاجقة، ونجح في إلحاق الهزيمة بقوات الأمير القراخاني قرب مدينة بورنمذ[58]، إلا أن هذا الانتصار لم يستمر طويلًا، فقد تمكّن الجيش القراخاني من إلحاق الهزيمة به في مفازة الجوع الواقعة بين مدينتي ديزك[59] وخاوس[60]، وفرّ السلاجقة من جيش المنتصر، وانحاز أحد قادة جيش المنتصر إلى جيش الأمير القراخاني مع عدد من المقاتلين، فهرب المنتصر إلى خراسان، ومنها إلى بلاد ما وراء النهر، بتشجيع من أحد أقاربه الذي اتفق سراً مع الأمير القراخاني للإيقاع بالمنتصر، إلا أنه تمكن - مرة أخرى - من الهرب مع عدد من أتباعه[61].

وأخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى، فتركه عدد كبير من أتباعه بعد ما أصابهم التعب والملل، فضلاً عن أنهم قد أعلموا القراخانيين بمكانه، فبعث الأمير القراخاني جنوده لإلقاء القبض عليه، وقد تم لهم ذلك بعد أن دخل في حماية حي من أحياء العرب، يُعرف أميرهم بابن بهيج الذين كانوا يقيمون في إحدى نواحي مرو، ووثب عليه رجال الأمير القراخاني ليلاً، وقتلوه، وبذلك؛ خضعت بخارى تحت سيطرة ملك الأمير القراخاني ناصر الحق، وولي عليها أخاه علي تكين[62].

58- بورنمذ: هي قرية تقع بين مدينتي سمرقند وأشروسنة، وهي من أعمال أشروسنة. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص279؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص506.

59- ديزك: وهي من قرى سمرقند، فيها دور وربط أهل سمرقند، ولها نهر جار. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص543.

60- خاوس: هي بليدة من بلاد ما وراء النهر من بلاد أشروسنة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص342.

61- مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص388 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص472 و473 وص514 ؛ بارتولد، تركستان، ص409؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص115.

62- النرشخي، تاريخ بخارى، ص149، خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص370 ؛ بارتولد، تركستان، ص409؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص124.

وبعد أن تم القضاء على الإمارة السامانية، تم الاتفاق بين الأمير القراخاني ناصر الحق والسلطان محمود الغزنوي على اقتسام أملاك الإمارة السامانية؛ إذ أصبحت بلاد ما وراء النهر خاضعة لسلطة القراخانيين، بينما أصبحت خراسان خاضعة لسلطة السلطان محمود الغزنوي[63].

وعلى الرغم من نجاح القراخانيين في فرض سيطرتهم على بلاد ما وراء النهر، إلا أنهم لم يستقروا في بخارى، ولا في سمرقند، بل اتخذوا من مدينة أوزكند الواقعة إلى الشرق من فرغانة عاصمة لهم، فقد كانت بالنسبة لهم أكثر أمناً من المدن الأخرى[64].

63- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص114.

64- بارتولد، تاريخ الترك، ص83 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص162.

الفصل الثالث

الصراع السياسي والعسكري بين الغزنويين والقراخانيين (387 ـ 431هـ/ 997 ـ 1039م)

* أولاً: العلاقات السلمية والعسكرية بين السلطان محمود الغزنوي والقراخانيين (387 – 417هـ)/ (997 – 1026م).
* ثانياً: مواجهة السلطان مسعود الغزنوي لخطر الأمراء القراحنيين (425 – 431هـ)/ 1030 – 1039م).

الفصل الثالث

الصراع السياسي والعسكري بين الغزنويين والقراخانيين

(387 ـ 431هـ /997 ـ 1039م)

أولاً: العلاقات السلمية والعسكرية بين السلطان محمود الغزنوي والقراخانيين (387 ـ 417هـ)/(997 ـ 1026م):

كانت العلاقات السياسية بين الإمارة الغزنوية والإمارة القراخانية، غير مستقرة، فتارة يسود هذه العلاقة الهدوء والسلام القائم على أساس عقد العهود والمواثيق بين الطرفين، وتارة أخرى، يشوب هذه العلاقة التوتر الذي قاد – في أحيان كثيرة – إلى المصادمات العسكرية بين الطرفين.

لم تكن الحروب التي خاضها القراخانيون ضد الغزنويون إيجابية في معظمها لصالحهم ؛ إذ كانت خسائرهم كبيرة في معظم هذه الحروب، فعندما استولى السلطان محمود الغزنوي على الولايات الواقعة شمال نهر جيحون، كان يأمل من ذلك أن يُعترف به حاكماً على الشرق، وأن لا يتصل القراخانيون بالخليفة العباسي، إلا بواسطته، ولهذا؛ اتجه القراخانيون بفتوحاتهم إلى شرق تركستان لمحاربة الكفار من الأتراك، وكان السلطان محمود الغزنوي ينظر في علاقاته مع القراخانيين أنهما متساويان، سواء في حالة النصر، أم في حالة الهزيمة، وهذا ما اتضح – فيما بعد – من خلال السفارات الدبلوماسية التي تبودلت بين الطرفين[1].

1 – بارتولد، تركستان، ص428 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص86.

فقد ساهم الغزنويون في مساعدة الإمارة السامانية ضد القراخانيين عندما طلبوا منهم ذلك.

ففي سنة 387هـ/ 997م، بعث الأمير السامانى نوح بن منصور رسالةً إلى الأمير الغزنوي سبكتكين - كما ذكرنا سابقاً في الفصل الثاني - طالباً منه مساعدته لصد خطر الأمير القراخاني ايليك خان نصر ناصر الحق، وقد استجاب الأمير سبكتكين لطلب المساعدة، فأرسل جيشه لمساعدة الأمير السامانى، وقد عسكر هذا الجيش بين مدينتي نسف وكش، ولحق السلطان محمود بهذا الجيش، أما الأمير القراخاني ايليك خان؛ فقد جمع أمم الترك من سائر النواحي، وبعث الأمير القراخاني رسله إلى الأمير سبكتكين طالباً منه عقد الصلح، وقد وافق الأمير سبكتكين على ذلك على أن تكون بادية قطوان الحد الفاصل بين حدود بلاد الطرفين، وأن تتم سيطرتهم على جميع البلاد الواقعة شمال حوض طبرستان[2]، وبهذا؛ احتفظ القراخانيون بحوض نهر سيحون كله، ولم يقيموا في بخارى، واتخذوا من مدينة كاشغر عاصمة لهم، وأصبحت بلاد ما وراء النهر تابعة لهم[3].

إلا أن العلاقات السياسية بين الإمارة الغزنوية والقراخانية سرعان ما اتخذت منهجاً سياسياً آخر في عهد السلطان محمود الغزنوي.

ففي سنة 396هـ/ 1005م بعث السلطان محمود الغزنوي وفداً إلى الأمير القراخاني ايلك خان ناصر الحق نصر بن علي، وقد ترأس الوفد إمام الحديث

2- طبرستان: هي كورة سهلية وبحرية، ولها - أيضاً - جبال، وهي كثيرة الأمطار، والغالب عليها الغياض، وأكثر أبنيتها من الخشب والقصب، كثيرة الأسماك والثوم، وبها مزارع الكتان والقنّب، قصبتها آمل، ومن مدنها سالوس، ميلة، ما مطير، تُرنجى، سارية، طميسة وغيرها. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص124 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص354 - ص355.

3- ابن خلدون، ج4، ص476 ؛ بارتولد، تركستان، ص41 ؛ محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص185 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص165 ؛ الساداتي، أحمد محمود، تاريخ الدول الإسلامية، ص184 ؛ الدوري، د.عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص36.

الشريف أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي[4] ومعه طغان جق والي سرخس، وذلك لتهنئة الأمير القراخاني لما حقّقه من نصر في فرض سيطرته على بخارى، وليخطب لنفسه ابنة الأمير القراخاني، وقد حمل هذا الوفد معه هدايا ثمينة مقدمة من السلطان محمود الغزنوي، والتي كانت تتضمن سبائك الذهب والياقوت والدر والمرجان، فضلاً عن العطور، وقد استقبلهما الأمير القراخاني بالترحاب موافقاً على تزويج ابنته من السلطان محمود الغزنوي، وعقدت معاهدة بين الطرفين، تم الاتفاق فيها على أن يكون نهر جيحون حداً فاصلاً بين الإمارتين[5].

وقد استمرت العلاقات الودية بين الطرفين لسنواتٍ عدة، فقد أرسل السلطان محمود الغزنوي رسولاً إلى الأمير ايلك خان نصر حاملاً معه رسالة له، وقد تضمنت هذه الرسالة: (**قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[6]، **وقد اتفق أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق على أن المراد التقوى من الجهل، فليس نقصان لأرواح الناس أسوأ من نقصان الجهل، و أدنأ من قلة العلم،**

4- أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري الحنفي تفقّه على يد أبيه، كان فقيهاً أديباً، جمع رياسة الدين والدنيا، وأخذ عنه فقهاء نيسابور، توفى سنة 404هـ/ 1013م. لمزيد من التفاصيل، ينظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1992، ج17، ص208 – ص209 ؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا. ت، ج2، ص69 – ص70 وص172 ؛ القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ج3، ص182.

5- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص228 ؛ ابن النظام الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الله، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: د. عبد المنعم محمد حسين، ود. حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد 1979، ص22 ؛ ابن الوردي، تاريخ ج1، ص452 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص482 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2 ص377 ؛ بارتولد، تركستان، ص411.

6- سورة الحجرات، آية 13.

والكلام القديم يشهد بصحة هذه القضية وصدق هذا الخبر ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[7]، فنحن نريد من أئمة ما وراء النهر وعلماء الشرق وأفاضل الحضرة الخاقانية أن يبينوا لنا ضروريات هذه المسائل: ما النبوة؟ وما الولاية؟ وما الدين؟ وما الإسلام؟ وما الإحسان؟ وما التقوى؟ وما الأمر بالمعروف؟ وما النهي عن المنكر؟ وما الصراط؟ وما الميزان؟ وما الرحمة؟ وما الشفقة؟ وما العدل؟ وما الفضل؟)[8].

وعندما وصلت هذه الرسالة إلى الأمير القراخاني، واطلع على مضمونها، دعا جميع أئمة وفقهاء وعلماء بلاد ما وراء النهر، وناقشهم، وجادلهم في جميع هذه المضامين، وأمر بعض من كبار أئمة وفقهاء وعلماء بلاد ما وراء النهر أن يؤلف كل واحد منهم في هذا الباب كتاباً، ويضعوا أجوبة واضحة لجميع هذه المسائل، وقد امتثل جميع الأئمة والعلماء والفقهاء لأوامر الأمير القراخاني، على أن ينجزوا ذلك خلال أربعة أشهر[9].

وأجاب كاتب الأمير القراخاني محمد عبده[10] على الأسئلة التي طرحها السلطان محمود الغزنوي في رسالته التي بعثها للأمير القراخاني، قائلاً: **(أنا أجيب على هذه الأسئلة في كلمتين إجابة، إذا اطلع عليها أفاضل الإسلام وأماثل المشرق رضوا بها، وأقروا بحسنها)**[11]، واستشهد بقول الرسول محمد (ﷺ):(التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله)[12].

7- سورة المجادلة، آية 11.

8- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص32 - ص33.

9- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

10- محمد عبده، عاش في أواخر القرن 4هـ/ 10م وأوائل القرن5هـ/ 11م، كان كاتب الأمير القراخاني ايلك خان ناصر الحق. وكان صاحب علم وفضل كبير، كان ينظم الشعر والنثر معاً. وكان أحد فضلاء الإسلام وبلغائه. ينظر: النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

11- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

12- لم أعثر على هذا الحديث في كتب الحديث والصحاح.

فقال أئمة وفقهاء وعلماء بلاد ما وراء النهر تعجباً لما قاله الكاتب محمد عبده: (**هذا جواب كامل، وهذا لفظ شامل**)[13]. وقد استحسن الأمير القراخاني ذلك، واستحسنه أيضاً السلطان محمود الغزنوي[14].

وبحكم الصلات الحميمة التي ربطت بين السلطان محمود الغزنوي وبين الأمير القراخاني ايلك خان الذي وجد أن من الضروري تحذير السلطان محمود من خطر السلاجقة، وأطماعهم التوسعية.

فبعث الأمير ايلك خان ناصر الحق رسالة إلى السلطان محمود قائلاً له فيها: (**إنك في كل وقت، تتحرك فيه تحلياً بفضيلة الجهاد ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[15]، فتوجه إلى بلاد الهند وفقاً لقوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[16] لقتال الكفار الفجار، قطع الله أمنهم عن الأقطار والأمصار، وتخرج فيه سفك الذين لا يُقرّ له قرار.. وفقاً لقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[17] تترك المملكة، وما حولها خالية، بينما يوجد السلاجقة في المنطقة، وهم قوم كثيرو العدد، وجيش لا حصر له، وقد بدت ملامح السعادة على جبين أحوالهم، ولاحت نور الملك على صفحة أعمالهم، وعلى رأسهم – الآن – أربعة أخوة، وهم في وقت المعارك شجعان،**

13 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

14 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

15 – سورة النساء، آية 95.

16 – سورة آل عمران، آية 167.

17 – سورة التوبة، آية 36.

لا نظير لهم في شجاعتهم وحسن بلائهم، يستطيعون أن يجعلوا وجه الأرض الفستقي أرجواني اللون، وهم - فيما بينهم - يتنافسون، ويقول كل منهم للآخر ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾[18]، ولكنهم - في وقت الشدة - متفقون، يرفعون شعار خير الرفقاء أربعة، وأنا أخشى نظراً لكثرة عددهم أن يخرجوا عن طاعتك، ويطمعوا في ولاية، ويهجموا على ناحية، وأن يكشفوا عن شجاعتهم، ويظهروا حقدهم، ويشعلوا حرباً، يبارزونك فيها؛ ليثبتوا بطولتهم وقدرتهم على كسب جولتهم وعقد اتفاق للصداقة، وأن يُرسل إليهم مبعوثاً، ويرسل إليهم رسولاً)[19].

ولهذا؛ قرر السلطان محمود الغزنوي مواجهة السلاجقة، فبعث رسوله إليهم مدبراً مكيدة للإيقاع بهم، وقد نجح في تحقيق ذلك[20].

إلا أن استقرار العلاقة بين الإمارة الغزنوية والقراخانية لم يستمر طويلاً، فبينما كان السلطان محمود الغزنوي يواصل جهاده في نشر الدين الإسلامي في الهند، اغتنم الأمير القراخاني ايلك خان ناصر الحق غياب السلطان محمود عن خراسان، فأرسل جيشه بقيادة سباشي تكين إلى خراسان، وبعث أخاه جعفر تكين إلى بلخ مع عدد من أمراء الجيش[21].

وكان السلطان محمود الغزنوي قد أمر أمير جيشه أرسلان الجاذب بأن يتوجّه إلى مدينة غزنه في حالة تعرضها للخطر، وفي أثناء ذلك، تمكن القائد

18 - سورة الكهف، آية 34.

19 - الراوندي، راحة الصدور، ص89 ؛ ابن النظام الحسيني، العراضة، ص22 - ص23.

20 - لمزيد من التفاصيل، ينظر: الراوندي، راحة الصدور، ص89 وما بعدها؛ ابن النظام الحسيني، العراضة، ص23 وما بعدها ؛ حسنين، د. عبد النعيم محمد، سلاجقة إيران والعراق، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1380هـ/ 1970م، ص23 وص 24

21 - ابن الأثير، الكامل، ج7، ص228 ؛ الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص76 ؛ ابن خلدون تاريخ، ج4، ص482 - ص483 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص377 ؛ بارتولد، تركستان، ص412.

سباشي تكين من فرض سيطرته على مدينة هراة، واستقر بها، ثم توجّه إلى مدينة نيسابور، وتمكّن من فرض سيطرته عليها[22].

وقد وصلت أخبار ذلك إلى السلطان محمود، وهو في الهند، فعاد مسرعاً جامعاً عساكره، ويساعده عدد من الأتراك الخلجية[23]، وجعل على ميمنته حاجبه أبا سعيد التمر تاشي، وعلى الميسرة أرسلان الجاذب، واستخدم - أيضاً - عدد من الفيلة في هذهِ المعركة، وسار السلطان محمود مع جيشه إلى بلخ، وكان بها جعفر تكين، فغادرها إلى ترمذ، ودخل السلطان محمود مدينة بلخ، وبعث منها جيشه إلى هراة، ثم إلى مرو، ومنها إلى إبيورد، ثم إلى جرجان، ومنها سار متوجهاً إلى خراسان، إلا أنه لم يتمكن من دخولها في بداية الأمر، أما الأمير القراخاني؛ فقد توجه مع أخيه جعفر تكين إلى بلخ؛ ليُبعد القائد سباشي تكين عن خراسان، ففرّ هارباً إلى بلخ، وبذلك؛ خضعت خراسان لسلطة السلطان محمود الغزنوي سنة 397هـ/ 1006م[24].

وبعد نجاح السلطان محمود في فرض سيطرته على خراسان، بعث الأمير القراخاني ايلك خان ناصر الحق رسالة إلى الأمير القراخاني قدر خان بن

22- ابن الأثير، الكامل، ج7 ص225 ؛ الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص-76ص77 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص483 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص377.

23- الخلجية: الخلج هم صنف من الأتراك، استوطنوا في المناطق الواقعة بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وهم أصحاب نعم، على خلق الأتراك وزيهم ولسانهم. ينظر: ابن خرداذبة، مسالك الممالك، ص28 - ص30. ؛ الأصطخري، مسالك الممالك، طبعة بريل، ليدن، 1346هـ/ 1927م، ص141 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص384 وص385.

24- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص29 ؛الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص77 وص87؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص337 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص483 - ص484 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص377 وص378 ؛ بارتولد، تركستان، ص412.

بغراخان ملك الختل[25] والذي تربطهما صلات قرابة، شارحاً له ما حصل له مع السلطان محمود، وطالباً منه العون، فاستجاب له، وسار الاثنان لملاقاة السلطان محمود الذي كان في طخارستان[26].

فتركها بعد أن وصله خبر مسير الأميرين القراخانيين لمواجهته، وقد نجح السلطان محمود في الوصول إلى بلخ قبلهما، وقد شارك مع السلطان محمود في هذه المعركة عدد من الأتراك الغزية والخلج والهنود والأفغان وغيرهم، فخرج بهم من بلخ معسكراً على بعد فرسخين منها، وفي مكان فسيح، يصلح للقتال، بينما أقام الأميران القراخانيان معسكرهما، بالقرب من معسكر السلطان محمود، وبدأ القتال بين الطرفين، والذي استمر حتى اليوم الثاني، وقد نجح السلطان محمود من إلحاق الهزيمة بهما، وقتل وأسر أعداداً كبيرة منهم[27].

أما الأمير ناصر الحق القراخاني؛ فقد دخل في صراع مع أخيه الأمير طغان خان سنة 401هـ/ 1010م، وذلك لصلته الحميمة مع السلطان محمود، فبعث الأمير طغان خان رسله إلى السلطان محمود، يعتذر له فيها عما بدر من أخيه، ويتبرأ من تصرفاته تجاهه[28] باعثاً مع رسله رسالة له، يوضح له ذلك بقوله: **(إني ما رضيت ذلك منه)**[29].

25- الختل: هي كورة واسعة كثيرة المدن، منهم مَن ينسبها إلى بلخ، وذلك خطأ؛ لأنها تقع خلف نهر جيحون، وهي أجلّ وأوسع وأكثر خيراً، ولها مدن عديدة، قصبتها هلبك. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص155 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص290؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص346 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص481.

26- طخارستان: وهي من مدن خراسان، أكبر مدنها الطالقان، ولها نهر وبساتين كروم، وهي تقع في شعب الجبال. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص156.

27- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص231 - ص232.

28- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص253 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص448 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص486 - ص487.

29- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص253 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص487.

أما الأمير ناصر الحق؛ فقد خرج من مدينة أوزكند لقتال أخيه طغان خان، إلا أنه عاد إلى سمرقند، بسبب تساقط الثلوج، بكثرة[30].

وسرعان ما نجح السلطان محمود في تسوية النزاع بين الأخوين، وتم عقد الصلح بينهما، فأرسلوا رسلهم إلى السلطان محمود سنة 402هـ/ 1011م، فأكرمهم، واستقبلهم أحسن استقبال[31].

ويبدو أن العلاقات قد ساءت بين السلطان محمود وبين الأمير ناصر الحق من جديد. ففي سنة 403هـ/ 1012م، أعد الأمير ناصر الحق قواته لمقاتلة السلطان محمود في خراسان، وبعث رسلهُ إلى الأميرين القراخانيين قدر خان وطغان خان طالباً منهما مساعدته في حربه ضد السلطان محمود، إلا أنه توفى، وتولى الإمارة القراخانية من بعده أخوه طغان خان، وبعث رسله إلى السلطان محمود لعقد الصلح معه[32].

وقد تضمنت الرسالة التي بعثها الأمير طغان خان إلى السلطان محمود ما يأتي: (**المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل بغزو الهند، وأشتغل أنا بغزو الترك، وأن يترك بعضنا بعضاً**)[33].

وقد استمرت العلاقة بين السلطان محمود والأمير طغان خان قائمة على أساس الود والوفاء لسنوات عدة.

ففي سنة 408هـ/ 1017م، تعرض هذا الأمير القراخاني لخطر الأتراك الكفار والخطا من بلاد الصين، مستغلين سوء حالته الصحية، وتوجهت

30- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص253 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص486 - ص487.

31- بارتولد، تركستان، ص413.

32- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص268 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص452 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص487 ؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م2، ص387.

33- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص268 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص487.

تحشداتهم العسكرية والتي بلغت 300 ألف خركاة (أي خيمة) لقتال الأمير طغان خان، ومحاولة منهم لفرض سيطرتهم على بلاده، فبعث هذا الأمير رسالة إلى السلطان محمود طالباً منه المساعدة لمواجهة هذا الخطر، فاستجاب السلطان محمود لطلبه، وتمكنا معاً من إلحاق الهزيمة بجموع الكفار، والإطاحة بهم[34].

وقد استمرت العلاقة الودية بين الإمارة القراخانية والغزنوية بعد وفاة الأمير طغان خان سنة 408هـ/ 1017م.

إذ تولى الإمارة القراخانية بعد وفاة الأمير طغان خان أخيه الأمير أرسلان خان أبو المظفر الملقب شرف الدولة، ففي عهده، بعث السلطان محمود رساله إليه طالباً منه تزويج ابنة أخيه ايلك خان لابنه الأمير مسعود، وقد وافق الأمير أرسلان خان على طلب السلطان محمود، وأقيم احتفال كبير للعروسين في مدينه بلخ[35].

وبحكم هذه العلاقة التي تربط بين الأمير أبي المظفر والسلطان محمود استنجد هذا الأمير بالسلطان محمود سنه 409هـ/ 1018م لمساعدته ضد أخيه قدر خان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان الذي ملك بخارى، والذي كان نائباً عن الأمير طغان خان في سمرقند، فقد أعلن قدرخان عن تمرد ضد أخيه أبي المظفر، وقد استجاب السلطان محمود لطلب الأمير أبو المظفر، ومساعدته ضد أخيه، وعقد السلطان محمود جسراً من السفن محكمة الربط، بسلاسل حديدية على نهر جيحون، إلا أن المواجهة العسكرية لم تقع بين الطرفين، لأسباب غير معروفة[36].

34- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص296 ؛ أبو الفدا، المختصر، ج3، ص41 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص460 - ص461 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص487 ؛ بارتولد، تركستان، ص420 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص86.

35- العتبي، تاريخ اليميني، ج2، ص227 وص228 ؛ بارتولد، تركستان، ص42.

36- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص246 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص515 ؛ بارتولد، تركستان، ص421.

غيـر أن الأميـر أبا المظفر وقدرخان سـرعان ما عقـدا الصلح بينهمـا، وقررا أن يتوجهـا مـع جيشـهما لفـرض سـيطرتهما علـى البـلاد الخاضعـة لسـلطة السـلطان محمـود سـنة 410 هــ/ 1019م، فسـارا متوجهيـن إلـى مدينـة بلخ، فوصلـت أخبار تحركاتهمـا إلـى السـلطان محمـود، فاسـتعد لقتالهمـا، وألحق بهمـا الهزيمـة مكبداً إياهما خسائر كبيرة في صفوفهما[37].

وبعـد وفـاة الأميـر أبـي المظفـر، تولى الإمـارة مـن بعده أخـوه أرسـلان خان أبـو منصـور محمـد بن علي الذي اسـتمر حكمه حتى سـنة 415 هــ/ 1024 م، وبعد وفاتـه، تولـى الإمـارة أخـوه الأميـر قدرخـان يوسـف الـذي سـعى جاهـداً لتحسـين علاقاته مع الغزنويين، وذلك عن طريق عقد العهود والمواثيق معهم[38].

فعندمـا وصلـت إلى مسـامع الأميـر القراخاني قدرخان يوسـف بأن السـلطان محمـود الغزنـوي قـد عبـر نهر جيحـون، توجه مسـرعاً مـن مدينة كاشـغر إلـى مدينة سـمرقند قاصـداً رؤيـة السـلطان محمـود ولعقـد العهـود والمواثيـق معـه، فوصـل بالقـرب مـن معسـكر السـلطان محمـود، وأرسـل رسـله إليـه طالبـاً رؤيتـه، فأجابـه السلطان محمود بالقبول الحسن، وحددوا مكان وموعد اللقاء بينهما[39].

وقـد حضـر كلاهما يوم اللقـاء، يصحبهما فريـق من الفرسـان، واصطحب كل منهمـا هدايـا ثمينـة، تُبودلـت بيـن الطرفيـن، وأمر السـلطان محمـود أن تُقـام للأمير قدرخـان خيمـة مـن الديباج المنسـوج، وأن يهيـؤوا كل ما يلـزم من وسـائل الضيافة، ودعا الأمير قدرخان السلطان محمود لاستضافته في قصره في اليوم الثاني[40].

37- ابـن الأثيـر، الكامل، ج7، ص296 ؛ ابـن خلدون، تاريـخ، ج4، ص515 وص516؛ بارتولد، تركسـتان، ص421 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق، ص66.

38- البيهقي، تاريخ، ص211 ؛ بارتولد، تركستان، ص420.

39- الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص92 -ص93 ؛ بارتولد، تركستان، ص423 - ص424.

40- الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص93 ؛ بارتولد، تركستان، ص424.

أما عن صفة المجلس والضيافة؛ فقد ذكر الكرديزي عن ذلك كما يأتي: **(فلما جاء قدرخان أمر أن يعدّوا مائدة بكل ما لذّ وطاب، وطعم الأمير محمود رحمه الله معه على مائدة واحدة، فلما فرغوا من المائدة، توجهوا إلى مجلس الطرب، وكانوا قد زيّنوا مجلساً بديعاً جداً قد حفّ بغريب زهر الحبق، ولذيذ الفواكه، وفاخر الجواهر، ومذهب المفارش، وبديع المرايا والبلور النادر ؛ بحيث إن قدرخان دهش من ذلك، وظلا واقفين، ولم يتناول قدرخان الشراب؛ لأنه لم يكن من عادة ملوك ما وراء النهر أن يتناولوا الشراب، خاصة ملوكهم الأتراك أولئك، وبقوا مدة، ينصتون إلى السماع، ثم نهضوا، ثم أمر الأمير محمود – رحمه الله – أن يحضروا كل ما يلزم للنثار من الأدوات الذهبية والفضية والأسلحة الفائقة والخيول الكريمة بسروجها ولجمها الذهبية وبعصيها المرصعة بالجواهر مع عشرة فيلة محلات بالمذهبات ... والجمال البردعية مزينة ببندقات مذهبة ... والأنسجة والفروش الفاخرة، من المحفوريات الأرمنية... والسيوف الهندية، والعود القماري والصندل المصفري والعنبر... وجلود النمر البربرية وكلاب الصيد والصقور... والغزلان والوعول....)**[41].

وقد انبهر الأمير قدرخان بما هيّأه له السلطان محمود من حسن استقبال وتكريم، فأمر في إثر ذلك صاحب خزينته **(أن يفتح الخزينة، ويُخرج منها أموالاً طائلة، ويوجه بها نحو الأمير محمود مع أشياء كانت تركستان تنتجها من الأفراس الجيدة مع النثار والآلة الذهبية والغلمان والأتراك ... والشواهين وأوبار السمور والسنجاب ... والثعالب والأواني المصنوعة من أضلاع الكركدن وطريف الديباج الصيني ...)**[42].

41– زين الأخبار، ج2، ص92.

42– الكرديزي، ج2، ص94 – ص95 ؛ بارتولد، تركستان، ص452.

وكان من أهم نتائج هذه المقابلة هي اتفاق الطرفان على توحيد قواتها من أجل انتزاع بلاد ما وراء النهر من يد الأمير علي تكين الذي كان خارجاً على سلطة القراخانيين وفرض سيطرته على بخارى، وإعطائها ليغان تكين الابن الثاني لقدرخان على أن يتزوج من زينب ابنه السلطان محمود، ووعد قدرخان بأن يُزوج ابنته للأمير محمد بن السلطان محمود[43].

وبموجب هذا الاتفاق نجح السلطان محمود من إنهاء كافة المشاكل التي كانت معلقة بينه وبين الأمير القراخاني قدرخان حتى سنة 415هـ/ 1024م، وبذلك؛ أصبح متفرغاً لمواجهة خطر السلاجقة، من جهة، وخطر الأمير علي تكين، من جهة أخرى[44].

وبحكم الصلات القوية التي كانت تربط بين السلطان محمود الغزنوي والأمير القراخاني قدرخان، فإن السلطان محمود قدم المساعدة للأمير قدرخان حين طلبها منه في نزاعه مع الأمير علي تكين حين حاول هذا توسيع سلطته، وقد نجح السلطان محمود من إلحاق الهزيمة به وبحلفائه، ومن ثم؛ طالبوا بعقد الصلح مع السلطان محمود والأمير قدرخان، فوافق السلطان محمود على ذلك[45].

وقد شعر السلطان محمود بالقلق إزاء التحالف الذي عُقد بين الأمير القراخاني علي تكين والسلطان السلجوقي إسرائيل بن سلجوق، فقد كان الأمير علي تكين كثيراً ما يثير المتاعب للسلطان محمود، فكان دائماً يقطع الطريق أمام رسله ممن كان يبعثهم إلى الأمراء القراخانيين[46].

43- البيهقي، تاريخ، ص358 ؛ بارتولد، تركستان، ص452 - ص426.

44- إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص66 - ص67.

45- البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص5 ؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص130.

46- ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص495 ؛ فامبري أرمينوس، تاريخ بخارى، ص131 - ص132 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص66 وص70.

وسرعان مانجح السلطان محمود من الإطاحة بالتحالف المعقود بين الأمير علي تكين والسلطان السلجوقي إسرائيل، وذلك حين تمكن من أسر السلطان إسرائيل، وبعث به إلى إحدى القلاع في الهند، وبعث السلطان محمود جنوده للبحث عن الأمير علي تكين وأسرته، وقد تم العثور على زوجته وابنته وابنه، وأرسلوا إلى السلطان محمود، أما الأمير علي تكين؛ فقد هرب من سمرقند وبخارى[47].

أما الأمير القراخاني بغراخان يغان تكين بن قدرخان الذي كان مرشحاً للزواج من ابنة السلطان محمود بموجب الاتفاق الذي أبرم بين السلطان محمود والأمير القراخاني قدرخان ؛ فقد غادر بلخ متوجّهاً إلى غزنه للزواج من ابنة السلطان محمود، ونجح في فرض سيطرته على بخارى وسمرقند، غير أن السلطان محمود قد ترجّاه في العودة؛ لأنه سوف يتوجّه إلى الهند[48]، وكان السلطان محمود واثقاً من أن الأمير يغان تكين سوف ينجح في إلحاق الهزيمة بمنافسيه في تركستان، وهذا الأمر سوف يُسهل عليهما في المستقبل من إخضاع بلاد ما رواء النهر بقواتهما الموحدة، وقد أدرك الأمير يغان تكين المغزى الحقيقي من وراء موقف السلطان محمود هذا، ولهذا؛ غادر مدينة بلخ، وفي نفسه شيء من الوحشة[49].

ونجح – فيما بعد – في فرض سيطرته على خانية تركستان، وقاتل علي تكين، وقضى على أخيه طغان خان، ثم عقد الصلح بين بغراخان يغان تكين وعلي تكين بعد أن دارت حروب طويلة بينهما[50].

47- الكرديزي، زين الأخبار، ج2، ص95 ؛ بارتولد، تركستان، ص426.

48- البيهقي، تاريخ، ص571.

49- البيهقي، تاريخ، ص571.

50- البيهقي، تاريخ، ص571.

أما الأمير القراخاني قدرخان يوسف وبمساعدة أبنائه؛ فقد نجح في إلحاق الهزيمة بطغان تكين أخي الأمير علي تكين، وفرض سيطرته على مدينة بلاساغون، وبقى الأمير علي تكين حاكماً في بخارى وسمرقند، أما أخوه طغان تكين؛ فقد طُرد من مدينه بلاساغون بعد أن حكم لبعض من الوقت في مدينة اخسيكت، وضُرب اسمه على السكة في عامي 417 – 418 هـ/ 1026 – 1027م، أما في الجزء الجنوبي من فرغانة وخاصة في مدينة أوزكند؛ فقد ضُربت السكة باسم الأمير قدرخان سنة416هـ/ 1025م. و نُقش اسمه – أيضاً – على السكة في مدينه اخسيكت سنة420هـ/ 1029م[51].

وقد حشد السلطان محمود الغزنوي جيشه لمقاتلة الأمير علي تكين، وتوجه من بلخ إلى بخارى، ففر منها الأمير علي تكين، فدخل السلطان محمود بخارى، وفرض سيطرته عليها، وملك سائر أعمالها[52].

وفي سنة 417هـ/ 1026م، استقبل السلطان محمود سفراء الخليفة العباسي القادر بالله (381–422هـ)/ (991–1030م) مباركين له على ما أنجزه من انتصارات وفتوحات في مناطق شاسعة، فمنحه الخليفة، ومنح أبنائه الألقاب الفخمة، وقد تم عقد معاهدة بينه وبين الخليفة، تعهد له الخليفة بمقتضاها بأن لا يدخل في علاقات مع القراخانيين، أو يُرسل إليهم هدايا، إلا عن طريقه هو – أي السلطان محمود – إذ إنه كان يُعد القراخانيين بمثابة أتباع له في معظم مكاتباته مع الخليفة[53].

51–بارتولد، تركستان، ص426 – ص427.

52–ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص495 ؛ بارتولد، تركستان، ص423.

53–بارتولد، تركستان، ص428.

ثانياً: مواجهة السلطان مسعود الغزنوي لخطر الأمراء القراحنيين (425 ـ 431هـ/1030 ـ 1039م)

استمرت العلاقات الودية قائمة بين الإمارتين الغزنوية والقراخانية في عهد السلطان مسعود الغزنوي، وخير دليل على ذلك هو مضمون الرسالة التي بعثها السلطان مسعود إلى الأمير القراخاني قدرخان، وهي رسالة طويلة، نذكر بعض ما ورد فيها: (.... **يعلم الخان أن العظماء وملوك الدهر عندها يتصادقون، وتتوثق بينهم صلات المودة، تقوى بينهم رابطة الإخاء والوفاق، ويعامل بعضهم بعضاً بالود، ويبلغ لطف تلك الأحوال بينهم إلى درجة، تجعلهم يقابلون بعضهم البعض مقابلات أخوية، ويقومون فيها بشروط المحاكمة، ويتعهدون – في آداب، لا حد لها – بتنفيذ المواثيق والعقود التي أبرموها، حتى يتقوى بين الأسرتين أواصر القربى، وتزول عنهما جميع بواعث الغربة ... ولا يتسنى لأعدائهم أن ينتهزوا فرصة، أو يقصدوا شيئاً، أو يبلغوا مراداً... فاليوم وقد صار إلينا الملك، وتم على يدنا ما لا يخفى على الجانبين، فإن العقل يدعونا، والتجارب تقضينا أن نبذل الجهد حتى تصبح تلك الصداقة الأكيدة في الود أكثر رفعة مما كانت ....، ويتحقق للعالم أن الأسرتين كانتا واحدة، وأنهما اليوم أحسن وداً مما كانتا عليه، ونرجو التوفيق الأصلح من الله تعالى في هذا الباب؛ لأنه الموفق لعباده، وذلك بيده، والخير كله**)[54].

54 – البيهقي، تاريخ، ص78 – ص85.

وبعث السلطان مسعود الغزنوي سنة 425هـ / 1030م وفداً إلى الأمير القراخاني قدرخان يوسف، وكان الوفد برئاسة أبو القاسم الحصيري، وهو من جملة ثقات السلطان مسعود وأبو الطاهر التباني، وهو من أفاضل التبانيين، وكان فاضلاً ورعاً[55]، وكانت مهمة هذا الوفد هي أن يحيطوا الأمير القراخاني قدرخان علماً باعتلاء السلطان مسعود للسلطة، وينقلوا إليه توكيدات الصداقة، ويطلبوا منه يد كريمته للسلطان مسعود ويد ابنة ولي العهد بغراخان تكين بن قدرخان لابن السلطان مسعود الأمير مودود، وقد عرض السلطان مسعود خمسين ألف دينار هروي صداقاً لعروسه وثلاثين ألفاً لابنه[56].

وقد ذكر البيهقي نسخة الكتاب الذي بعثه مع الوفد، وذكر المشافهتين التي لقنها السلطان مسعود لرسله، لنقلها للأمير القراخاني قدرخان[57].

فأما نسخة الكتاب؛ فقد تضمنت: (**بسم الله الرحمن الرحيم، مد الله في حياة الخان الجليل، وبعد، عقب وصولنا بلخ سالمين منتصرين، واستقرار كل أسباب الملك، أمرنا برسالة، تتضمن ما يسَّر الله لنا من فتوح وغزوات عظيمة، لم تخطر ببال أحد ...، وقد أرسلت هذه الرسالة مع فارس مسرع للوقوف على مضمونها حتى يشاركنا الخان المسيرة والمتعة نظراً للود والاتحاد القائم بين الأسرتين، وقد أشرنا إلى أننا سوف نرسل على الإثر رسلاً لعقد العهود والمواثيق طلباً لازدياد قوة دعائم الصداقة التي تجشمنا من أجلها عناء كبيراً، وقد أوفدنا إلى الخان أخانا ومعتمدنا أبا القاسم إبراهيم بن عبد الله الحصيري ... وهو من جملة ثقات مجلسنا، وفي درجة خواصّ ندمائنا ... وضممنا إليه القاضي أبا طاهر عبد الله بن أحمد التباني ... حتى إذا بدأ العمل في إبرام العهد والعقد يعمل**

55- البيهقي، تاريخ، ص211 -ص212 ؛ بارتولد، تركستان، ص448.
56- البيهقي، تاريخ، ص78 - ص85 ؛ بارتولد، تركستان، ص438.
57- تاريخ، ص230 - ص236.

القاضي النظر في النسخة التي مع الرسل؛ بحيث تكون شروطها وفقاً لقواعد الشرع ... وقد حملنا الرسول أبا القاسم مشافهة أكثر وضوحاً وتفصيلاً، على أن يعرضها عندما يؤذن له بذلك، ومشافهة أخرى في موضوع أكثر أهمية، وسوف لا يعرضها، إذا لم يجر حديث عنها، ولكنه سيعرضها ضرورة أن جرى حديث بشأنها، لتتم بذلك الأغراض جميعاً، وثقتنا بأبي القاسم قوية؛ بحيث إذا دعى الأمر إلى التوسع في السؤال والجواب، يكون قوله بمثابة كلامنا...، وهو يحمل معه بعض الهدايا التي جرت الرسوم في كل وقت يتبادلها والتهادي بها بين الجانبين ... فإذا ما آبَ الرسل إلينا بالمراد، فينبغي أن يكون معهم رسل ذلك الجانب المحروس، وإنا عند وصولهم إلى حضرتنا سوف نبذل كل ما التمسناه لديكم من الصداقة والاتحاد، بإذن الله عز وجل)[58].

وبعد مرور أربع سنوات من إرسال هذا الوفد، تم إبرام العقود والمواثيق، إلا أن الأمير قدرخان توفى في سنة 423هـ/ 1031م، ولهذا؛ تأخر الوفد في عودته من مهمته، وتولى إمارة تركستان من بعده ابنه الأكبر وولي عهده بغراخان تكين، ولُقب بلقب أرسلان خان، أما أخوه يغان تكين؛ فلقب بلقب بغراخان، وحكم طراز واسفيجاب، ونتيجة لهذه الظروف، بعث السلطان مسعود بكتب تهنئة وتعزية للأمير بغراخان تكين[59].

وبعد استقرار الأمور في تركستان، عاد الوفد موفقاً في مهمته التي أرسل من أجلها، وبعث معهما الأمير أرسلان خان رسلاً إلى السلطان مسعود الغزنوي، إلا أن خطيبة الأمير مودود قد توفيت في الطريق، أما شاه خاتون بنت قدرخان عروس السلطان مسعود؛ فقد وصلت مع الوفد سنة 425هـ/ 1033م، وقد أمر السلطان

58 – البيهقي، تاريخ، ص228 – ص230.

59 – البيهقي، تاريخ، ص450 – ص451 ؛ الذهبي، ، سير أعلام النبلاء، طبعة 1986، ط4، ج17، ص496؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص34 ؛ بارتولد، تركستان، ص438.

مسعود بتزيين المدينة بالزينة، لكي يرى القراخانيون من المباهج ما لم يروه من قبل، ونُثرت الدنانير والدراهم، وقُدمت المأكولات المُعدة لمثل هذه المناسبات[60].

وعلى الرغم من استمرار العلاقات الطيبة بين الإمارة الغزنوية والقراخانية، إلا أن السلطان مسعود كان حذراً منهم مثل أبيه السلطان محمود.

ففي سنة 423هـ/ 1031م عُقدت معاهدة بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 – 467هـ) / (1030–1074م) والسلطان مسعود الغزنوي، والتي تضمنت بأن لا يدخل الخليفة العباسي في علاقات مع القراخانيين، إلا عن طريق الغزنويين، وأن لا يُكاتب الخليفة خاقان تركستان، ولا يمنحهم أي لقب من الألقاب، وأن لا يُرسل إليهم الخلع، إلا عن طريق الغزنويين، وبقي السلطان مسعود يعامل الأمير القراخاني معاملة الند للند[61].

وتُعدّ هذه المعاهدة بمثابة تجديد للمعاهدة التي عُقدت سابقاً بين الخليفة العباسي القادر بالله والسلطان محمود في سنة 417هـ/ 1026م، والتي تضمنت نفس بنود هذه المعاهدة.

ومن التحديات الأخرى التي واجهها السلطان مسعود من جهة القراخانيين هو خطر الأمير القراخاني علي تكين.

فبعد أن استشار السلطان مسعود وزيراه الخواجه أحمد حسن وأبا نصر وخواصه للتوجه بنفسه إلى الهند لاستكمال المسيرة الجهاد لأبيه السلطان محمود، إلا أن الوزير الخواجه أشار عليه أن يبقى في خراسان للحد من خطر الأمير علي تكين[62] قائلًا له: (**علي تكين كالحية المقطوعة الذنب، فقد قُضي على أخيه، وبقي وحيداً بغير مُعين، وقد مهدت العهود والعقود والمواثيق مع قدرخان، وذهبت الرسل**

60–البيهقي، تاريخ، ص451 – ص452 ؛ بارتولد، تركستان، ص438.
61–البيهقي، تاريخ، ص320 ؛ بارتولد، تركستان، ص437.
62–البيهقي، تاريخ، ص310.

إليه ... فإذا سارت الألوية السلطانية إلى الهند، أهملت هذه الأمور جميعها، ولعلها تنعقد، وهذا وعلي تكين قريب من بلخ، وله رجال كثيرون، وقد اتفق معه السلاجقة، وهو وإن لم يزحف إلى بلخ وطخارستان، فقد يسير إلى ... الصغانيين[63] وترمذ؛ حيث يعيث فساداً هنالك، فتزول الهيبة، وأرى من الأصوب أن يسير السلطان إلى بلخ؛ حيث يقضي هذا الشتاء، فتكون هيبة وجوده سبباً في إعادة الرسل ناجحين في إبرام العهود والعقود ... وكذلك ينتهي الأمر علي تكين صلحاً أو حرباً ...)[64].

وفي هذه الأثناء، وصلت إلى مسامع السلطان مسعود سنة 423هـ/ 1031م، أن الأمير علي تكين بدأ بتحركاته باتجاه أراضي الغزنويين، ولم يهدأ له بال، وهو يهيأ جيشه لملاقاة السلطان مسعود، لأنه حانق من أمرين إحداهما أن السلطان محمود قد احتفى بقدرخان، وعقد العقود والعهود الودية معه، وأمن جانبه، وهذا قد كان سبباً في ضياع هيبة إمارته في تركستان، أما الأمر الآخر أن السلطان مسعود كان قد وعده بأن يتنازل له عن الختّل أن قدم له المساعدة في توليه السلطة بعد وفاة السلطان محمود، إلا أن السلطان مسعود كان قد اعتلى السلطة دون أية مشاكل، ولم يحتج إلى مساعدة الأمير علي تكين، وبذلك لم يحقّق علي تكين شيئاً من طموحاته، فسعى جاهداً للانتقام من السلطان مسعود[65].

63- الصغانيين: هي ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات، والقصبة على هذا الاسم - أيضاً - تكون مثل الرملة، إلا أن تلك أطيب والناحية مثل فلسطين، إلا أن هذه أرحب، مشاربهم من أنهار، تمتد إلى نهر جيحون غير أن موادها تنقطع عنه في بعض السنة، والناحية تتصل بأرض ترمذ، فيها جبال وسهول، جامعها يقع في وسط السوق، فيها أجناس مختلفة من الطيور، وهي كثيرة المراعي. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص283 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص408 وص409 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص483.

64- البيهقي، تاريخ، ص310 - ص311.

65- البيهقي، تاريخ، ص357 ؛ بارتولد، تركستان، ص439.

واستشار السلطان مسعود وزراءه بما يتعلق بقتال الأمير علي تكين قائلاً لهم: (**إن علي تكين خصم لدود، وإنه ليطمع في المحال، والأصلح أن تستأصل شأفته في بلاد ما وراء النهر، فإذا حضر صهرنا بغراتكين بن قدرخان، فسوف يكون خليفتنا، وسنبعث إليه بأختنا؛ ليتزوجها، ويكون ذلك صهرنا وخليفتنا في تلك البلاد، ونقضي على شر هذا المتربص بالعصيان. وإذا لم يأتِ بغراتكين، فسنوعز إلى خوارزمشاه التونتاش أن يتوجه إلى ما وراء النهر بجيش قوي ؛ لأن خوارزم هادئة، فهناك أمير واحد، لا منازع له هو المستحق للعرض، وفيها جيش كامل**)[66].

وقد أثنى وزراء وخواص السلطان مسعود على رأي السلطان، فبعث الرسل إلى خوارزمشاه التونتاش طالباً منه المساعدة في مواجهة الأمير علي تكين، وقد استجاب خوارزمشاه التونتاش لطلب السلطان مسعود، ووجّه جيشه لقتال علي تكين سنة 424هـ/ 1032م، إلا أن علي تكين ومَن ساعده من السلاجقة قد ألحقوا الهزيمة بجيش خوارزمشاه الذي توفى في نهاية المعركة، فبدأت المفاوضات بين الطرفين لعقد الصلح بينهما، وبعد عقد الصلح، انسحب الأمير علي تكين إلى سمرقند[67].

إن حملة السلطان مسعود الغزنوي هذه على بلاد ما وراء النهر قد شجّعت الأمير علي تكين لتحسين علاقته مع أهل بيته من القراخانيين، والاعتراف بسيادتهم عليه، وهذا يتضح من خلال النقود التي سُكت في مدينة بخارى وسمرقند باسم الأميران أرسلان خان وبغراخان، كما وجد علي تكين لنفسه حليفاً؛ ليقدم له المساعدة ضد أعدائه، وهو هارون بن التونتاش[68].

66- البيهقي، تاريخ، ص358.
67- البيهقي، تاريخ، ص358 وص366 - ص373 ؛ بارتولد، تركستان، ص439 -ص440.
68- بارتولد، تركستان، ص440.

إلا أن خطر الأمير علي تكين لم يتوقف بعد وفاته سنة 426هـ/ 1034م، بل استمر وقد تمثل هذا الخطر في أولاده من بعده.

فقد بعث السلطان مسعود رسالة إلى الابن الأكبر لعلي تكين في بخارى سنة 426هـ/ 1034م، يهنئه فيها على اعتلائه السلطة، ويعزّيه لوفاة أبيه[69].

ومما لا شك فيه أن السلطان مسعود قد أراد من جراء موقفه هذا كسب جانب أبناء الأمير علي تكين، والحد من خطرهم.

إلا أن ولدي الأمير علي تكين كانا قد اتفقا مسبقاً مع هارون بن التونتاش على القيام بغارات عسكرية على الصغانيان وترمذ، وقد نجحوا في شن غاراتهم على هاتين المدينتين، إلا أنهما فشلا، في نهاية الأمر، بسبب شدة مقاومة جيش السلطان مسعود[70].

غير أن ابني الأمير علي تكين سرعان ما بعثا رسلهما إلى السلطان مسعود سنة 427هـ/ 1035م لتقديم الاعتذار له عما بدر منهما، وقد قبل السلطان مسعود اعتذارهما، وأُبرمت العهود والمواثيق بين الطرفين[71].

وفي سنة 428هـ/ 1036م، بعث ابن الأمير علي تكين وفداً إلى السلطان مسعود، وقد استقبله مبعوث السلطان مسعود، ومعه أرباب الرتب، وأنزلهما في المعسكر معززين مكرمين، وتم استقبالهما على الرحب والسعة[72].

كان السلطان مسعود حريصاً جداً على استقبال الوفد بنفسه، على الرغم من سوء حالته الصحية، وعندما التقى مع الوفد، قال لهم: (**كيف تركتما أخانا ايلك خان؟ قالا: لقد تركناه ببركة حياة السلطان الأعظم محاطاً بكل متعة**

69- البيهقي، تاريخ، ص396 ؛ بارتولد، تركستان، ص443.

70- البيهقي، تاريخ، ص397 – ص498 ؛ بارتولد، تركستان، ص443.

71- البيهقي، تاريخ، ص533 –ص534 ؛ بارتولد، تركستان، ص443.

72- البيهقي، تاريخ، ص548 ؛ بارتولد، تركستان، ص443.

وراحة، وما دامت رعاية الجانب العالي في ازدياد، فإنه يزداد يوماً بعد يوم عزاً ومجداً وسؤدداً...)[73].

وقد تضمنت الرسالة التي بعث بها ابن الأمير علي تكين مع الوفد المرسل إلى السلطان مسعود ما يأتي: (**إننا لا ندري كيف نعتذر عما صدر منا من السهو، مع تلك الرعاية التي أفاضها السلطان علينا، وإذ بلغت صلتنا بالسلطان إلى هذا الحد من الألفة والصداقة، فإن لنا مقاصد ثلاثة، حفزتنا إلى إيفاد هذين الرسولين، وسوف نكون قد حصلنا على كل ما نبغي حين تُبرم العهود بين الطرفين، وتُجاب هذه المقاصد الثلاثة: أولهما أن يرفع السلطان قدرنا بتزويج أحدنا إحدى كريمات الأسرة، والثاني أن يُكرمنا بتزويج أحد أبنائه من إحدى بناتنا، حتى تنقطع كل المطامع التي تستهدف إليها بلاد السلطان، والثالث أن تتوثق بيننا وبين أرسلان خان صاحب تركستان وأميرها العهود والمواثيق بواسطة السلطان، ليثبت لديه أن لا خلاف بيننا، وأن البيوت قد أصبحت بيتاً واحداً، فتنقطع بذلك كل أسباب الخصام والعداء، وهذا ما دعانا إلى إيفاد هذين الرسولين بالرسائل والمشافهات، والمتوقع من همة السلطان العالية أن يجيبنا إلى هذه المقاصد، وأن يصحب رسل الحضرة العلية رسولينا، حتى نقوم نحن - أيضاً - بما يُطلب منا، فإن جيوشنا سوف تعبر النهر، وتتحد مع جيوش السلطان، وتعمل على إخماد الفتنة، بعد أن تُجاب إلى هذه المقاصد، ولسوف نرعى أوامر السلطان في هذا الأمر، ونفي كل ما تقتضيه الوحدة في كل باب، بإذن الله عزوجل**)[74].

وقد استشار السلطان مسعود وزراءه وخواصه بكل ما تضمنته رسالة ابن الأمير علي تكين له، فنصحوا السلطان بتلبية المقاصد الثلاثة التي تضمنتها

73- البيهقي، تاريخ، ص549 ؛ بارتولد، تركستان، ص443.

74- البيهقي، تاريخ، ص550 ؛ بارتولد، تركستان، ص443 - ص444.

الرسالة، وذلك لتأمين جانب هذا الأمير منعاً للفتن والقلاقل من جهة، وليكون عوناً للغزنويين لمواجهة المخاطر الأخرى التي يواجهونها من جهة أخرى، وقد أثنى السلطان مسعود على رأي وزرائه وخواصه، وأمر بأن يتم إرسال رسولٍ من جهته؛ ليصحب رسولي ابن علي تكين، وقد وقع اختياره على رئيس ديوان بلخ، وتقرر أن تُخطب أحد أخوات ايلك ابن الأمير علي تكين للأمير سعيد بن السلطان مسعود، وأن تُزف إحدى بنات الأمراء الغزنويين إلى الأمير القراخاني[75].

أما علاقات السلطان مسعود مع الأمير يغان تكين بغراخان بن قدرخان الذي كان مرشحاً للزواج من ابنة السلطان محمود وأخت السلطان مسعود ؛ فقد ساءت، لما بدر من هذا الأمير من مواقف سلبية تجاه السلطان مسعود.

فقد بعث الأمير يغان تكين وفداً إلى السلطان مسعود طالباً منه إرسال أخته زينب؛ ليتم عقد الزواج بينهما، ووافق السلطان مسعود على ذلك في بداية الأمر، وعزم على إرسال أخته؛ لتزف عروساً للأمير يغان تكين، إلا أنه امتنع عن ذلك حال وصول الأخبار إليه بأن الأمير يغان تكين قد تحدث حديثاً، لا يليق في أمر الميراث التي تستحقه أخته زينب، فغضب غضباً شديداً، وبعث وفداً إلى الأمير أرسلان خان أخي يغان تكين يشكو إليه ما بدر من أخيه، فبعث أرسلان خان رسله إلى أخيه يغان تكين يُعاتبه على تصرفه هذا اتجاه السلطان مسعود، إلا أن هذا الموقف قد أثار غضب يغان تكين، وأعلن عن خروجه عن طاعة أخيه، واتخذ موقفاً سلبياً منه ومن الغزنويين[76].

ولم يكتف الأمير يغان تكين بإعلان عصيانه لأخيه، بل عقد حلفاً مع السلطان السلجوقي طغرلبك، وأقنعهُ بمحاربة الغزنويين، والسيطرة على

75- البيهقي، تاريخ، ص550 -ص551 ؛ بارتولد، تركستان، ص444.

76- البيهقي، تاريخ، ص571 - ص572.

ممتلكاتهم، ووعدهم بأن يمدّهم بكل ما يحتاجون إليه من الرجال، ويحثهم على المرابطة والصمود، وقد بعث إليهم رسالةً مع جاسوس له، بعثه إلى غزنة، إلا أن رجال السلطان مسعود تمكنوا من إلقاء القبض عليه، وأخذ الرسالة التي كانت بحوزته، والموجهة من الأمير يغان تكين إلى السلاجقة[77].

أما السلطان مسعود؛ فبعد أن استشار وزراءه وخواصه بكل ما يتعلق بالتدابير التي سوف يتخذها اتجاه الأمير يغان تكين، استقر رأيه على إرسال رسالة إلى الأمير أرسلان خان أخي الأمير يغان تكين لطلب العون منه، وليوقف أخيه عند حدّه[78].

فبعث السلطان مسعود في سنة 428هـ/ 1036م وفداً إلى الأمير أرسلان خان، وقد نجح هذا الوفد بعد مفاوضات طويلة من عقد الصلح مع الأمير يغان تكين، وفي إثر ذلك، بعث الأمير القراخاني أرسلان خان وأخوه يغان تكين رسلهم إلى السلطان مسعود مهنئين إياه بعيد الأضحى المبارك، واستمراراً لصلات الود بين الطرفين[79].

ومن التحديات السياسية التي واجهت السلطان مسعود من جهة القراخانيين هو صراعه مع الأمير القراخاني بورتكين أبي إسحاق إبراهيم الذي كان مسجوناً لدى أبناء الأمير علي تكين، إلا أنه تمكن من الهرب منهم متوجهاً إلى أوزكند، وبقي هناك تحت حماية أخيه[80].

كانت العلاقات بين السلطان مسعود والأمير بورتكين قائمة على الاستقرار في بداية الأمر، إلا أنها ما لبثت أن اتخذت مساراً آخر، أدى إلى النزاع العسكري بينهما.

77- البيهقي، تاريخ، ص572 – ص573 ؛ بارتولد، تركستان، ص444.

78- البيهقي، تاريخ، ص573.

79- البيهقي، تاريخ، ص573 – ص574 ؛ بارتولد، تركستان، ص444 –ص445.

80- بارتولد، تركستان، ص445.

ففي سنة 429هـ/ 1037م، بعث الأمير بورتكين رسالة إلى السلطان مسعود، من أجل إصلاح الأمور، واستقرارها بين الطرفين، وبعث السلطان مسعود رسالة إلى أخيه، يرحّب بصداقته، وبحسن العلاقة بينهما، وخاطبه بالأمير الفاضل[81].

إلا أن العلاقات بين الطرفين سرعان ما ساءت؛ لتضارب المصالح السياسية لكلا الطرفين.

فقد وصلت رسالة إلى السلطان مسعود من أحد وزرائه سنة 430هـ/ 1038م، تضمنت ما يأتي: (**أن بورتكين يعدّ العُدّة ... وأنهم يقصدون هلبك[82]، وأن معه حسب ما قدروا، ثلاثة ألاف فارس مدربين، وقد تعدوا على الناس هنا، ولو أن بورتكين يقول إن هذا الجيش يجيء لخدمة السلطان، ولكن الواقع هو كما بين، وإنه " أي الوزير " بحكم ما قرأ في هذه الرسالة، أقام هناك بضعة أيام، وتوالت عليه رسائل أخرى... تستغيث منه، فهو ينهب كل مكان يحل فيه جيشه هذا ... ومع هذا كله، فقد كتبتُ إلى بورتكين بأن السلطان قد ارتحل عن غزنة، فإذا كنت تقصد الدخول في طاعته، فهذه الأحوال ليست من الطاعة في شيء، وأظن أنه حين تصله هذه الرسالة، فإنه سيقيم حيث هو، وقد بينتُ كل ما حدث حتى يلمّ به السلطان، وإني أتوقع الجواب سريعاً؛ لأعمل حسب أمر مولاي، إن شاء الله تعالى**)[83].

وبعد أن قرأ السلطان مسعود هذه الرسالة، استشار وزيره بعد عودته إلى غزنة، قائلاً له: (**يجب أن نبدأ ببورتكين، فإنه عدو وابن عدو، ولم يكن له موضع بجانب أخيه ...، وليس له من الجرأة ما يتيح له المرور بأطراف ولاية أبناء علي تكين، فهو يخشاهم، وكذلك يخشى والي الصغانيان، لهذا هو يتجه إلينا، فإن بلادنا أضعف من غيرها، ولذلك؛ يلوذ بها كل مَن لا يجد له موضعاً**)[84].

81- البيهقي، تاريخ، ص597 - ص598 ؛ بارتولد، تركستان، ص445.

82- هلبك: هي قصبة الختل، وبها مستقر السلطان، وهي أصغر من الصغانيان، الجامع فيها يقع وسط البلد، وشربهم من ماء عذب. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص291.

83- البيهقي، تاريخ، ص608 - ص609.

84- البيهقي، تاريخ، ص609 - ص610.

ولهذا؛ قرر السلطان مسعود مواجهة بورتكين بنفسه، فجهز جيشه لمقاتلته، وقد نصح الوزير السلطان مسعود بعدم قيادة الحملة بنفسه ضد بورتكين، وأن يبقى في مدينة بلخ، ريثما يصل إليه رسول من بورتكين، فإن دخل في طاعة السلطان، واستقام أمره، يتم عقد الصلح معه[85].

إلا أن السلطان مسعود أصرّ على قيادة الحملة بنفسه قائلاً لوزيره: **(إن كل ما يقوله الوزير بجانب الصواب، وسوف أقوم بنفسي بهذه الأعمال، ولهذا؛ جئت؛ لأن الجند كما أقول، لا يؤدّون واجبهم، ولكنْ؛ حين أكون معهم يبذلون أرواحهم رخيصة أمامي، أرادوا، أو لم يريدوا، وأن بورتكين لأكثر شراً ...، فإنه قد انتهز الفرصة، وزحف بجنده .....، ولو تأخرنا قليلاً، لخرب تلك النواحي، وسوف أتعقبه أولاً حتى إذا فرغت من أمره، اتجهت إلى الآخرين)**[86].

إلا أن وزير السلطان وخواصه حاولوا إقناع السلطان بعدم قيادة هذه الحملة بنفسه؛ ولأن بورتكين لا يستحق أن يخرج لقتاله السلطان بنفسه، أو ابنه الأمير مودود، وقد اقتنع السلطان برأيهم، وتم الاتفاق على اختيار أحد كبار القادة المحنكين لقيادة هذه الحملة، وأرسل عشرة آلاف فارس لقتال بورتكين وجيشه[87].

وسرعان ما وردت الأخبار إلى السلطان مسعود من أن بورتكين قد هرب، فأمر السلطان مسعود قائد جيشه بالعودة، وتلقّي أوامره الجديدة، واتخاذ التدابير اللازمة لذلك[88].

ونتيجة لكل ذلك، قرر السلطان مسعود الخروج بنفسه هذه المرة لمواجهة بورتكين، وإنقاذ البلاد من شره، إلا أن وزيره وخواصّه نصحوه بعدم الخروج لتساقط الثلوج ولسوء الأحوال المناخية، ونصحه وزيره بأن يبعث رسالة إلى والي الصغانيان وإلى أبناء علي تكين طالباً منهم مطاردة بورتكين وأتباعه، إلا أن السلطان مسعود أصر على رأيه في الخروج لمقاتلة بورتكين بنفسه[89].

85- البيهقي، تاريخ، ص610.
86- البيهقي، تاريخ، ص611.
87- البيهقي، تاريخ، ص611.
88- البيهقي، تاريخ، ص615.
89- البيهقي، تاريخ، ص616.

وقد أمر السلطان مسعود أمير ترمذ بأن يقيم جسراً على نهر جيحون، وبعد اتخاذ كل الإجراءات اللازمة للمعركة، توجّه السلطان مسعود إلى ترمذ، ومنها رحل إلى الصغانيان، وكان الطقس شديد البرودة، ولم ينقطع تساقط الثلوج، وواجه السلطان مع جيشه معاناة كبيرة جراء هذه الظروف المناخية الصعبة، ووردت إلى السلطان أخبار، مفادها أن السلطان السلجوقي داود قد قام بتدمير الجسر الذي بُني بأمر من السلطان مسعود على نهر جيحون، وقطع الطريق أمامه، فاضطر السلطان في إثر ذلك العودة إلى أدراجه، فاستغل بورتكين ذلك، وهاجم جيشه، ونهب ما معه من الأموال والأمتعة والخيول[90].

كان بورتكين حليفاً مخلصاً للسلاجقة ضد الغزنويين؛ إذ شارك مع السلاجقة في المعركة التي حدثت بين الغزنويين والسلاجقة في بيداء سرخس[91] سنة 429هـ/ 1037م والتي انتصر فيها الغزنويين انتصاراً ساحقاً على السلاجقة[92].

وشارك بورتكين إلى جانب السلاجقة في المعركة التي خاضها السلطان مسعود ضد السلاجقة في مرو سنة 431هـ/ 1039م، وهي معركة داندنقان[93]، والتي ألحق السلاجقة فيها الهزيمة بجيش السلطان مسعود[94].

90- البيهقي، تاريخ، ص616 – ص620.

91- سرخس: وهي مدينة كبيرة عامرة، تقع بين مدينتي نيسابور ومرو، وهي مدينة الحبوب والأنعام، ولسرخس مدينة، فيها جامع، ومعظم الأسواق تقع في الربض، شربهم من آبار، ومنها تُسقى مزارعهم، ليس لها ماء جار، إلا نهر يجري في بعض السنة، ولا يدوم ماؤه، الغالب على نواحيها المراعي، وهي قليلة القرى، وهي مطرح لحمولات ما يحيط بها من مدن خراسان. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص154 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص313.

92- البيهقي، تاريخ، ص623 – ص634.

93- داندنقان: هي مدينة من نواحي مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها، وهي تقع بين مدينتي سرخس ومرو في وسط الصحراء، وهي محاطة بسور يبلغ طوله خمسمائة قدم، ويوجد في خارجها أماكن استراحة القوافل. ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم، ص81 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص477.

94- البيهقي، تاريخ، ص680 – ص691 ؛ ابن النظام الحسيني، العر اضة، ص35 – ص36.

وبذلك؛ نجح بورتكين في تثبيت أقدامه في بلاد ما وراء النهر، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال المسكوكات التي تشير إلى أنه حكم مدينة بخارى منذ عام 432هـ/ 1040م، ولربما بوصفه تابعاً لبغراخان[95].

أما السلطان مسعود؛ فبعد هزيمته في معركة داندنقان، تمكن من النجاة مع عدد من أتباعه، وأخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى محاولاً الوصول إلى مدينة غزنة، وبعث رسالة إلى الأمير أرسلان خان طالباً منه المساعدة[96].

وقد تضمنت الرسالة الأمور الآتية: (**بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاء الخان الأصل الحميم، هذا كتاب مني إليه برباط كروان[97] على سبع مراحل من غزنة، ... وبعد؛ فإنه لا يخفى على الخان أن لله تقادير كالسيف البتار الذي لا يستطاع إدراك سيرة ومضاته ... إن الخان قد اطلع على كل ما مر بنا منذ قرابة سنتين ... وقد حفظ الخان العهد معنا في الشدة والرخاء. فإن شرط الود الخال بين الأصدقاء هو أن لا يخفى بينهم شيء، صغر أو كبر.. فقد سرنا إلى مرو ... وكان الطريق غير ما كنا نتوقع من الافتقار إلى العلف والماء، ومن شدة الحر ووعورة المسالك ... إذا بفوج من الأعداء يبرز على حافة الطريق، فانقضوا علينا، وأرادوا أن ينهبوا ما عندنا، فردوهم رجالنا، ولم يمكنوهم من شيء، ... وقال لنا الادلاء أن المياه الجارية على مسيرة فرسخ واحد من قلعة داندنقان، فلما بلغنا هذه القلعة ... وجدنا الأعداء قد ردموا الآبار التي عند المدخل، وجعلوها قبوراً... أما نحن؛ فسرنا فرسخاً حتى بلغنا حوض ماء كبيراً راكداً، وهناك جاء أولياؤنا وحشمنا ...**

95- بارتولد، تركستان، ص450.

96- البيهقي، تاريخ، ص697 - ص700.

97- رباط كروان: يقع هذا الرباط في ناحية كروان، واسم مدينتها نجم، تقع بالقرب من مدينة بلدى دَاوَر، بالقرب من هراة القريبة من بلاد الغور، وذكر أنها تقع على حدود جوزجانان، ويوجد في جبالها معدن الذهب. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص154 ؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص83 ؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص313 وص523.

وقد أشاروا علينا بوجوب المسير ... وسرنا حتى بلغنا قصبة غرجستان[98]... ومن هناك؛ بلغنا هذا الرباط ... فلدينا من وفير الآلات والعدد ما لا يحصى، وخاصة أن لنا صديقاً حليفاً كالخان الذي تعهد بألا يبخل علينا بشيء من الجيش والرجال، والذي إذا التمسنا منه أن يشق على نفسه، فإنه لا يضنّ علينا بجهده، حتى يبعد عنا ما نكبنا الدهر به ...، متّعنا الله بصداقته وإخلاص قلبه بمَنّه وفضله ...)[99].

وقد استجاب الأمير أرسلان خان لطلب مساعدة السلطان مسعود، وبعد عودة السلطان مسعود إلى غزنة، أوفد رسوله إلى الأمير أرسلان خان، يحمل معه كتباً ومشافهات، تتعلق بطلب المدد وعقد العقود والعهود[100].

وبعث السلطان مسعود إلى الأمير أرسلان خان طالباً المساعدة منه للوقوف ضد السلاجقة بعد أن وصلته الأخبار بأن السلطان السلجوقي داود يستعد للتوجه باتجاه مدينة بلخ، وقد استجاب الأمير أرسلان خان لطلب السلطان مسعود، وبعث إليه المدد وعدداً من المقاتلين، لرد أي هجوم قد تتعرض إليه المدينة من قبل السلاجقة[101].

ومن هنا؛ يتضح لنا طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين الإمارة الغزنوية والقراخانية والتي اتسمت بخضوعها لتيارات المصالح السياسية لكلا الإمارتين.

98- غرجستان: وهي ناحية واسعة القرى، بها عشرة منابر، وفيها مستقر الشار، وهو اسم ملوكها، ولها نهر هو مرو الروذ، ولهذه المدينة دروب وأبواب حديد، لا يمكن الدخول إليها، إلا بإذن، ولها مدينتان: هما بشير وسورمين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص193.

99- البيهقي، تاريخ، ص697 – ص701.

100- البيهقي، تاريخ، ص709.

101- البيهقي، تاريخ، ص709 – ص717 وما بعدها.

الفصل الرابع

نهاية القراخانيين وصراعهم السياسي والعسكري مع السلاجقة والخطا والخوارزميين (389 ـ 607هـ/998 ـ 1210م)

* أولاً: الموقف السياسي والعسكري للسلاجقة من القراخانيين (394 – 507هـ)/ (1003 – 1113م).
* ثانياً: التدهور السياسي للإمارة القراخانية وسيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر وتركستان سنة 536هـ/ 1141م.
* ثالثاً: الخوارزميون ودورهم في القضاء على الإمارة القراخانية سنة 607هـ/ 1210م.

الفصل الرابع
نهاية القراخانيين وصراعهم السياسي والعسكري
مع السلاجقة والخطا والخوارزميين (389 ـ 607هـ/998 ـ 1210م)

أولاً: الموقف السياسي والعسكري للسلاجقة من القراخانيين (394 ـ 507هـ)/(1003 ـ 1113م):

تباينت المواقف والعلاقات السياسية والعسكرية للسلاجقة مع الإمارة القراخانية، فقد كانت قائمة على أساس تبادل المنافع والمصالح السياسية، وعلى هذا الأساس، فقد كانت هذه العلاقات خاضعة لمتغيرات عدة، فنجدها تارة مستقرة، ومضطربة تارة أخرى.

ففي سنة 389هـ / 998م وبعد نجاح القراخانيين في القضاء على الإمارة السامانية، - وكما ذكرنا في الفصل الثاني - تمكن الأمير الساماني المنتصر أبوإبراهيم إسماعيل بن الأمير الساماني نوح بن منصور من الفرار من معتقله في مدينة أوزكند، متنكراً بزي امرأة متوجهاً إلى بخارى، ومنها إلى خوارزم، وانضم إليه عدد من المؤيدين[1].

وقد تمكن هذا الأمير من إلحاق الهزيمة بالجيش القراخاني، وبقيادة جعفر تكين وتكين خان، ودخل المنتصر مدينة بخارى، واستبشر أهلها بذلك، إلا أنه أدرك أنه ليس باستطاعته الصمود أمام الجيش القراخاني طويلاً، فهرب إلى بلاد

1 - النرشخي، تاريخ بخارى، ص148 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص472؛ بارتولد، تركستان، ج2، ص119.

ما وراء النهر، وهناك طلب المساعدة من سلجوق بن دقاق، فاستجاب له، ونجحوا في إلحاق الهزيمة بالجيش القراخاني قرب ضفاف نهر زرفشان، وألحقوا بهم هزيمة أخرى قرب سمرقند سنة 394هـ/ 1003م، فوقع عدد كبير من القراخانيين أسرى لدى الجيش السلجوقي، إلا أن سلجوق بن دقاق رفض تسليمهم للأمير المنتصر طمعاً في الفدية، وقد أثار هذا التصرف الشكوك والمخاوف في نفس الأمير المنتصر معتقداً أن هناك اتفاقاً بين السلاجقة والقراخانيين ضده، ففر هارباً إلى مدينة آمل[2].

وقد قدم السلاجقة المساعدة له – أيضاً – في المعركة التي خاضها ضد القراخانين قرب مدينة بورنمذ سنة 394هـ/ 1003م والتي تمكّن فيها من إلحاق الهزيمة بالقراخانيين، إلا أن هذا النصر لم يستمر طويلاً، فسرعان ما تمكّن الجيش القراخاني من إلحاق الهزيمة بالأمير المنتصر، فهرب السلاجقة من جيشه مدركين الهزيمة التي لحقت بالمنتصر[3].

كان لظهور السلاجقة على مسرح الأحداث السياسية قد أثار مخاوف القراخانيين، خاصة بعد اشتراك السلاجقة في عدة معارك حربية ضدهم، ونجاحهم في تحقيق النصر عليهم[4]. وازدادت مخاوفهم من السلاجقة خاصة بعد أن اتجهت أنظارهم إلى آسيا الوسطى التي كانت خاضعة لسلطة القراخانيين[5].

وقد حاول السلاجقة العمل على إثارة النزاع بين أفراد الأسرة القراخانية والاستفادة من الصراعات السياسية التي كانت تنشب بينهم بأستمرار.

2- النرشخي، تاريخ بخارى، ص148 وص149 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص472؛ بارتولد، تركستان، ص407 – ص409 ؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص123 – ص124.

3- النرشخي، تاريخ بخارى، ص149 ؛ ابن خلدون، ج4، ص472 ؛ بارتولد، تركستان، ص409.

4- إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص66.

5- إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص66.

لهـذا؛ عقـد إسـرائيل بن سـلجوق حلفـاً مع الأميـر القراخانـي علي تكيـن لخوض حـرب ضـد الأميـر القراخاني ايلك خـان ناصر الحق، فقـد كان الأمير علي تكين مسـجوناً عنـد الأميـر أرسـلان خـان أخـي الأمير ايلك خـان ناصـر الحق، إلا أنـه تمكن مـن الهرب مـن سـجنه متوجهـاً إلـى بخـارى، وظـل خارجـاً علـى سـلطة القراخانييـن، وكان طامعـاً بالانفـراد فـي الحكـم فـي بـلاد مـا وراء النهر، وقـد تمكّن إسـرائيل بـن سـلجوق وحليفة علي تكين من إلحاق الهزيمة بالأمير ايلك خان ناصر الحق، وبقيا في بخارى[6].

وحـاول الأميـر القراخانـي ايلـك خان ناصـر الحق سـنة 422هـ/ 1030م بذر بـذور الخـلاف بين الأسـرة السـلجوقية، فأرسـل حملـة عسـكرية بقيـادة القائد ألب قـرا الـذي اشـتبك مـع السـلاجقة في عـدة معـارك ضاريـة، إلا أن السـلاجقة نجحوا في إلحاق الهزيمة بالجيش القراخاني وتمكنوا من قتل القائد ألب قرا[7].

واشتبك الأمير القراخاني هارون بن سليمان شهاب الدولة ظهير الدعوة بغراخان مع السلطان السلجوقي طغرلبك وأخيه داود ؛ إذ كانا قد أقاما في بلاده، واحتموا به، واتفقا على أن لا يجتمعا معاً عنده خوفاً من أن يغدر بهما، وقد كان توقعهما صحيحاً، فقد غدر الأمير القراخاني بالسلطان السلجوقي طغرلبك، وألقى القبض عليه، وأخذه أسيراً، فأثار ذلك غضب أخيه داود، وفي إثر ذلك، سار بنفسه لإنقاذ أخيه من الأسر، فأرسل الأمير القراخاني بغراخان جيشه لمواجهة السلطان السلجوقي داود ومحاربته، وقد تمكن السلطان داود من إلحاق الهزيمة بجيش الأمير القراخاني، وإنقاذ أخيه من الأسر، فكانت هذه أول مواجهة عسكرية حدثت بين السلاجقة والقراخانيين في تركستان[8].

6- ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص495 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص66.

7- فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص130 – ص131.

8- ابـن الـوردي، تاريـخ، ص481؛ مسـتوفي قزوينـي، تاريـخ كزيـدة، ص9 ؛ أبـو الفـداء، المختصـر، ج3، ص64 ؛ المقريزي، السـلوك لمعرفة دول الملـوك، ط1، طبعة 1378هـ/ 1958م، ج1، ص31؛ فامبري، أرمينوس، تاريخ بخارى، ص129 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص163.

وفي إثر هزيمة الأمير القراخاني في هذه المعركة، عمل على تحسين العلاقة بينه وبين السلاجقة، فتحالف الأمير بغراخان معهم، وأخذ يحرضهم على شن الغارات العسكرية على أملاك السلطان مسعود الغزنوي[9].

وبعد دخول السلطان طغرلبك مدينة خراسان، أرسل الأمير القراخاني بغراخان رسالة له، وعده فيها بأن يبعث له المال والرجال والعتاد، قائلاً له: **(اصمدوا، ورابطوا حتى نرسل لكم أي عدد من الرجال تريدون)**[10].

إلا أن السلطان الغزنوي مسعود سعى جاهداً للحيلولة دون تحقيق هدف القراخانيين والسلاجقة، فعمل على عرقلة وصول الإمدادات من القراخانيين إلى السلاجقة، وقد نجح في تحقيق ذلك من خلال عقد اتفاق مع أخ الأمير بغراخان، وهو الأمير أرسلان خان[11].

وفي عهد الأمير طفغاج خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر ايلك الملقب عماد الدولة المتوفى سنة460هـ/ 1067م سعى جاهداً على إصلاح الأمور والانشقاقات التي حدثت داخل الأسرة القراخانية، وسعى جاهداً على تحسين العلاقة بينه وبين السلاجقة.

وتمت المصاهرة بينه وبين السلطان السلجوقي ألب أرسلان، فقد تزوج ابنه ملكشاه من ابنة الأمير طمغاج خان[12].

إلا أن العلاقات بين الطرفين توترت من جديد ؛ إذ شن السلطان السلجوقي ألب أرسلان بقواته العسكرية الغارات على أراضي الإمارة القراخانية في

9- البيهقي، تاريخ، ص571 – ص574 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص163.

10-البيهقي، تاريخ، ص571 – ص574 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص163.

11-البيهقي، تاريخ، ص 574 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص163 – ص164.

12-حسنين، د. عبد النعيم محمد، سلاجقة إيران والعراق، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1380هـ/ 1970م، ص53 ؛ حلمي، د. أحمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، الكويت، بلا. ت، ص34.

سنة 453هـ/ 1061م، إلا أن الأمير القراخاني لم يحل هذه الأزمة بالطرق العسكرية، بل بالطرق الدبلوماسية، فبعث رسالةً مع رسوله إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-463هـ) / (1030-1074م) يطلب فيها من الخليفة أن يوقف اعتداءات السلطان ألب أرسلان على أملاك الإمارة القراخانية، وقد استجاب الخليفة لطلبه، وكف الأذى عنه، وبعث له الخلع، ومنحهُ الألقاب الفخمة[13].

لقد كان لهذا الأمير اهتمامٌ كبير في تثبيت قواعد النظام والاستقرار والأمن في بلاده ؛ إذ لاحق اللصوص في كل مكان لحماية السكان وممتلكاتهم، وتم في عهده القبض على أكبر العصابات خطراً على أمن البلاد، ووضع حداً لجشع التجار وارتفاع أسعار البضائع[14].

وفي عهد ابنه الأمير شمس الملك الذي تولى الإمارة القراخانية سنة 460هـ/ 1067م، توترت العلاقات بينه وبين السلطان ألب أرسلان ؛ إذ حاول الأمير شمس الملك أن يستقل بإمارته عن سلطة السلاجقة، وهذا الأمر دفع بالسلطان ألب أرسلان إلى التوجه إلى بلاد ما وراء النهر، ونجح في إحباط معظم محاولات هذا الأمير في الاستقلال بإمارته، وتمكن من محاصرة العديد من القلاع والحصون، وتمكن من فتحها سنة 465هـ/ 1072م[15].

وفي نفس هذه السنة، شن السلطان ألب أرسلان حملة عسكرية أخرى على بلاد ما وراء النهر، إلا أن هذه الحملة قد توقفت بسبب وفاته، بينما تمكن الأمير شمس الملك من فرض سيطرته على مدينة ترمذ وبلخ، وفي طريق عودة

13- ابن الأثير، الكامل، ج7، ص297 ؛ بارتولد، تركستان، ص462.

14- بارتولد، تركستان، ص459 - ص461 وص463.

15- حلمي، د. أحمد كمال الدين، السلاجقة، ص36.

هـذا الأميـر هاجـم أهالـي مدينـة ترمـذ فرقـة عسـكرية مـن جيشـه، فأمـر بإحـراق المدينة، إلا أنه امتنع عن فعل هذا تحت ضغط وطلبات سكانها[16].

وفـي عام 466هـ/ 1073م قام السـلطان ملكشـاه بهجوم عسـكري على مدينة ترمـذ، إلا أنـه فشـل فـي تحقيـق أهدافـه، بسـبب غـرق أعـداد كبيـرة مـن جنـده فـي النهـر[17]. غيـر أن هـذه المدينة قد استسـلمت له في سـنة 467هـ/ 1074م، فقد كان وإليهـا هـو أخـو الأمير شـمس الملك الـذي قام باسـتقبال السـلطان ملكشـاه، وعقد الصلح معه، ثم عاد السلطان ملكشاه إلى خراسان[18].

إلا أن الخلافـات حـول السـلطة بيـن أفـراد الأسـرة القراخانيـة قـد أضعفـت أركانها وأسسها، وأطمعت الأعداء فيها.

فقـد نشـب خلاف بيـن الأمير شـمس الملـك وأبناء الأميـر قدر خان يوسـف، وهمـا طغـرل قراخان يوسـف وبغراخان هـارون، غير أنه سـرعان ما تـم عقد الصلح بينهمـا، علـى أن تكـون مدينـة خجنـدة هـي الحـد الفاصل بيـن أملاك الأمير شـمس الملـك وخانـات تركسـتان، وهـذا يعنـي أن الأميـر شـمس الملـك قـد تنـازل عـن فرغانـة، وعـن أراضي بلاد مـا وراء النهـر، ولهذا؛ فإن السـكة التي ضربـت في مدينة مرغينـان[19]، واخسـكيت[20]، كانـت باسـم طغـرل قراخـان وابنه طغرل تكيـن، بينما

16- ابـن كثيـر، البدايـة والنهايـة، ج12، ص106؛ بارتولـد، تركسـتان، ص462 - ص463 ؛ الغامدي، سـعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص360.

17- بارتولد، تركستان، ص463.

18- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص106 ؛ بارتولد، تركستان، ص463.

19- مرغينان: هي مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر، ومن أشهر نواحي فرغانة، وهي صغيرة، وجامعها ناءٍ عن الأسواق، وعلى بابه نهر. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص272 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص108.

20- اخسـيكت: هـي قصبـة فرغانة، وهي مدينـة كبيرة، تحيط بها الأشـجار والأنهـار الفائضة إليهـا مع عمارة، وهـي خصبـة، ولهـا مدينـة داخلـة، يتخللها عدد مـن القنى، فتنقـل في حيـاض مصهرجة مبنيـة من الآجر والجـص، فيهـا جامـع، ولهـا ربـض، وبناؤهـا مـن الطيـن، وهـي مـن أنـزه بـلاد مـا وراء النهـر. ينظـر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص271 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص121.

ضربت السكة في مدينة تونكث[21] وغيرها باسم الأمير شمس الملك وأسماء أبنائه[22].

وقد استغل السلاجقة استمرار الخلافات بين أفراد الأسرة القراخانية لتحقيق أهدافهم، فقد نجح السلطان ملكشاه في فرض سيطرته على مدينة أوزكند[23].

وفي سنة 481هـ/ 1088م، نقض الأمير هارون بغراخان بن يوسف قدرخان حاكم كاشغر المواثيق التي عقدها مع السلطان السلجوقي ملكشاه، مما دفع السلطان ملكشاه للتوجه نحو مدينة كاشغر، وتمكن من إخضاعها[24].

وقد بقي القراخانيون يحكمون بلاد ما وراء النهر مستقلين دون أن يخضعوا لأية قوة خارجية حتى عام 482هـ/ 1089م[25].

ففي عهد الأمير أحمد بن الخضر الذي تولى الإمارة بعد وفاة والده خضر خان بن طمغاج خان بن إبراهيم سنة 474هـ/ 1081م، اشتد العداء بينه وبين رجال الدين، لما ارتكبه من ظلم بحق الرعية ؛ إذ استنجد أحد الفقهاء وباسم الرعية بالسلطان السلجوقي ملكشاه[26]، وقد استجاب السلطان السلجوقي لطلبه، وسار مع جيشه نحو مدينة بخارى سنة 482هـ/ 1089م، وفرض سيطرته عليها، ثم فرض سيطرته على مدينة سمرقند، على الرغم من المقاومة الكبيرة التي واجهها[27].

21- تونكث: وهي قصبة بلد ناحية إيلاق من بلاد ما وراء النهر من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك على نحو عشرة فراسخ، وهي تقع على جرف، وهي كبيرة عامرة، ولها قهندز، ودار الإمارة يقع في القهندز، والجامع خارجه، وفيها أسواق، وفيها ماء جار، يدخل المدينة. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص277 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص297.

22- بارتولد، تركستان، ص463.

23- بارتولد، تاريخ الترك، ص11 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص164.

24- محمود، حسن أحمد، الإسلام في آسيا الوسطى، ص88 ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ العراق، ص165.

25- الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص365.

26- ابن الأثير، الكامل، ج8، ص148 ؛ بارتولد، تركستان، ص465 ؛ الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص361.

27- ابن الأثير، الكامل، ج8، ص149 ؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص66 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص135، بارتولد، تركستان، ص465.

أما الأمير أحمد بن الخضر؛ فقد أوكل مهمة الدفاع عن أبراج المدينة لعدد من أمرائه، إلا أن أحد هؤلاء الأمراء غدر بالأمير أحمد، وساعد السلاجقة في اختراق أحد هذه الأبراج، ومن ثم؛ فرضوا سيطرتهم على المدينة بأكملها[28]. وبعد أن تمكن السلطان ملكشاه من فرض سيطرته على سمرقند، اضطر الأمير أحمد إلى الاختباء في أحد المنازل، إلا أنه سرعان ما تم العثور عليه، وأخذ أسيراً إلى أصفهان، ثم عاد السلطان ملكشاه إلى خراسان تاركاً في سمرقند مَن ينوب عنه في إدارة أمورها[29].

إلا أن الاضطرابات عمت أرجاء مدينة سمرقند ومدن أخرى، وثار عدد من المقاتلين من الجكل، والذين كانوا يمثلون النواة الرئيسة في الجيش القراخاني، وأعلن هؤلاء عن سخطهم نتيجة إهمالهم وعدم تكريمهم، وقد اضطر نائب السلطان ملكشاه في سمرقند إلى الانسحاب إلى خوارزم نتيجة اشتداد ثورتهم[30].

ونتيجة لذلك، أرسل مقدم المقاتلين من الجكل كتاباً إلى حاكم مدينة اتباش[31]، يعقوب تكين طالباً منه الحضور إلى سمرقند؛ ليتولى حكمها، وما إن وصل هذا إلى مدينة سمرقند حتى قام بقتل مقدم الجكل، وقد أثار هذا غضب المقاتلين من الجكل، وقد وصلت أخبار هذه الأحداث إلى مسامع السلطان ملكشاه، فسارع متوجهاً إلى سمرقند، وما إن وصلت أخبار دخول السلطان ملكشاه إلى بخارى، سارع يعقوب تكين عائداً إلى مدينة اتباش، أما مَن بقي من جيشه في سمرقند؛ فقد انضموا إلى الجيش السلجوقي، وفرض السلطان ملكشاه سيطرته على مدينة سمرقند للمرة الثانية، وعاد – بعدها – إلى خراسان تاركاً في سمرقند مَن ينوب عنه في تنظيم أمورها[32].

28 – ابن الأثير، الكامل، ج8، ص149 ؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص66 ؛ بارتولد، تركستان، ص465.

29 – ابن الأثير، الكامل، ج8، ص149 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص518؛ بارتولد، تركستان، ص465.

30 – ابن الأثير، الكامل، ج8، ص149 ؛ بارتولد، تركستان، ص465 – ص466.

31 – أتباش: لم أتمكن من العثور على معلومات عن هذه المدينة.

32 – النرشخي، تاريخ بخارى، ص49 ؛ بارتولد، تركستان، ص466.

إلا أنه – ولأسباب غامضة – أمر السلطان ملكشاه بإعادة الأمير أحمد بن خضر إلى امارته سنة 485هـ/ 1092م، إلا أن حكمه لم يستمر طويلاً نتيجة لنزاع هذا الأمير مع رجال الدين الذين اتهموه بالإلحاد، وأفتى الفقهاء والقضاة في سمرقند فتواهم بوجوب إعدامه، فألقوا القبض عليه، وقُدم للمحاكمة متهمين إياه بالإلحاد، وعلى الرغم من أنه قد أنكر بما اتهم به، إلا أن حكم الإعدام قد صدر بحقه، فأعدم سنة 488هـ/ 1095م[33].

ويعد هذا الحادث دليل على النفوذ السياسي الكبير الذي كان يتمتع به رجال الدين والفقهاء في بلاد ما وراء النهر، وفي عهد الإمارة القراخانية[34].

وفي عهد أمير سمرقند القراخاني قدرخان جبريل بن عمر، الذي استغل فرصة تدهور الحالة الصحية للسلطان سنجر، وكذلك الخلاف الذي نشب بين السلطان بركياروق وأخيه محمد، ولشدة العداوة بين بركياروق وسنجر، في تحقيق طموحاته السياسية، خاصة أن أحد أمراء السلطان سنجر، ويدعى كند غدي قد بعث رسالةً إلى الأمير القراخاني قدرخان يشجّعه ويحثّه فيها على فرض سيطرته على أملاك السلاجقة[35].

وقد استعد الأمير القراخاني قدرخان لمواجهة السلطان سنجر، وسار مع جيشه الذي يقدّر بمئة ألف جندي إلى مدينة بلخ سنة 497هـ/ 1103 محاولاً فرض سيطرته عليها، ونجح أولاً في فرض سيطرته على مدينة ترمذ، أما السلطان سنجر؛ فقد سار ومعه ستة آلاف جندي إلى بلخ لمواجهة الأمير قدرخان، وقد

33 – النرشخي، تاريخ بخارى، ص49 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص297 و ج8، ص175 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج3، ص119 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص518 ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة العاني، القاهرة، ط2، 1383هـ/ 1964م، ص426 ؛ بارتولد، تركستان، ص466.

34 – بارتولد، تركستان، ص466.

35 – ابن الأثير، الكامل، ج8، ص121 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص519؛ بارتولد، تركستان، ص467.

تمكن السلطان سنجر من إلحاق الهزيمة بجيش الأمير قدرخان مستغلاً فرصة خروجه للصيد، وقد وقع الأمير القراخاني أسيراً بيد السلاجقة، ثم قتل بأمر من السلطان سنجر، أما الأمير كند غدي؛ فقد فر هارباً إلى مدينة غزنة[36].

أما السلطان سنجر؛ فقد بعث إلى الأمير محمد أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان الذي كان في مرو وولاه سمرقند؛ إذ كانت امه ابنة السلطان السلجوقي ملكشاه[37].

ومن الجدير بالذكر أن الأمير قدر خان كان قد انتزع الملك من الأمير أرسلان خان بن محمد سنة 494هـ/ 1100م، ولصلة القرابة التي كانت تربط هذا الأمير بالسلطان السلجوقي ملكشاه، فقد أعاده إلى منصبه[38].

ولكنْ؛ سرعان ما اضطربت العلاقات بين السلطان سنجر والأمير أرسلان خان من جديد، ففي سنة 507هـ/ 1113م، وصلت إلى مسامع السلطان سنجر سوء سيرة الأمير أرسلان خان مع رعيته وإهماله لشؤونهم وعدم تنفيذه لأوامره، فسار إليه، إلا أن الأمير أرسلان خان خشي مواجهته، فبعث إلى الأمير قماج أعظم أمراء السلطان سنجر طالباً منه أن يشفع له عند السلطان سنجر، والاعتذار له عما بدر منه، فاشترط الأمير قماج عليه أن يحضر عند السلطان سنجر، ويعتذر له بنفسه، فوافق على ذلك، وعقد الصلح بين الطرفين[39].

36- ابن الأثير، الكامل، ج8، ص212 - ص213 و ج9، ص2 ؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص240؛ حلمي، د. أحمد كمال الدين، السلاجقة، ص108 ؛ بول، ستانلي لين، الدول الإسلامية، ج1، ص313.

37- ابن الأثير، الكامل، ج8، ص213 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص519.

38- ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص521 ؛ حلمي، د. أحمد كمال الدين، السلاجقة، ص108.

39- ابن الأثير، الكامل، ج8، ص266 - ص267 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص520.

ثانياً: التدهور السياسي للإمارة القراخانية وسيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر وتركستان سنة 536هـ/1141م

كانت البوادر الأولى لضعف الإمارة القراخانية قد ظهرت منذ أن بدأت الخلافات والصراعات السياسية بين أفراد هذهِ الأسرة.

إن حدوث الانقسامات في داخل الأسرة القراخانية كان قد بدأ منذ عام 433هـ/ 1041م، فقد انتهى منذ بداية هذهِ السنة نظام الخانية المزدوج، والذي كان يقوم على أساس وجود خان كبير يتولى رئاسة الإمارة القراخانية، ويشاركه في ذلك خان آخر، وهذا ما حدث بعد وفاة الأمير قدرخان يوسف في سنة 424هـ/ 1032م، ونجاح الأمير القراخاني محمد بن أيلك نصر الملقب محمد عين الدولة من فرض سيطرته على مدينة أوزكند كخان أكبر منافساً في ذلك الأمير القراخاني سليمان بن قدرخان يوسف أكبر أعضاء الأسرة القراخانية الحاكمة سناً، والذي كان يُقيم في مدينة ختن وكاشغر[40].

بينما تمكن الأمير القراخاني إبراهيم بن ايلك وهو أخو الأمير محمد عين الدولة من فرض سيطرته على مدينة سمرقند كخان مشارك، ومنذ ذلك الوقت، ظهرت إلى حيّز الوجود إمارتان للقراخانيين: إحداهما شرقية، ومركزها في مدينة بلاساغون ومن ثم؛ انتقل مركزها إلى مدينة كاشغر والتي ضمت مدينة فرغانة الشرقية وكاشغر وبلاساغون وغيرها، أما الأخرى؛ فهي الإمارة الغربية، مركزها في مدينة أوزكند، ومن ثم؛ انتقل مركزها إلى مدينة سمرقند، والتي ضمت بلاد ما وراء النهر وفرغانة الغربية وخجندة وأوزكند[41].

40- بارتولد، تركستان، ص450.

41- بارتولد، تركستان، ص450؛ بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص402.

والفرع الشرقي للإمارة القراخانية أُطلق عليه الفرع الحسني نسبةً إلى جدهم الذي انحدروا منه، وهو الأمير هارون أو حسن بغراخان حفيد الأمير ستق بغراخان، أما الفرع الغربي للإمارة القراخانية؛ فأطلق عليه اسم الفرع العلوي نسبة إلى الأمير علي حفيد الأمير ستق بغراخان[42].

وازداد ضعف الإمارة القراخانية منذ أن تمكن الخطا من فرض سيطرتهم على بلاد تركستان وبلاد ما وراء النهر سنة 536هـ/ 1141م. ففي عهد الأمير القراخاني أرسلان خان محمد بن سليمان تعرضت بلاده لغزو الخطا ؛ إذ حاول هذا الأمير جاهداً حماية الحدود الفاصلة بين بلاده والصين، وذلك لمنع تعرض بلاده لأي خطر من جهة الصين، إلا أن ملك الخطا كوخان أو (كورخان) – الصين وهو لقب لأعظم ملوكهم – قد خرج من بلاده متوجهاً إلى تركستان وبلاد ما وراء النهر، وانضم إليه عدد من الأتراك والخطا[43].

وعندما اقتربوا من حدود مدينة خجندة سنة 531هـ/ 1136م دخلوا في معارك ضارية مع الجيش القراخاني، إلا أن الهزيمة لحقت به، وتمكن جيش الخطا من فرض سيطرته على مدينة سمرقند وبخارى وغيرها من مدن بلاد ما وراء النهر[44].

وبعث الأمير القراخاني أرسلان خان رسوله إلى السلطان السلجوقي سنجر طالباً منه العون، فلبّى نداءه، وجمع عساكره، وبصحبته70 ألف فارس، وقد شارك أمير خراسان وسجستان والغور[45] وغزنة ومازندان وغيرهم في مساعدة الأمير

42– بوزورث، الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص402.

43– ابن الأثير، الكامل، ج9، ص3 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص521 – ص522.

44– ابن الأثير، الكامل، ج9، ص3 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص522.

45– بلاد الغور: هي ولاية تقع بين مدينتي هراة وغزنة، وهي بلاد باردة واسعة موحشة، وفيها قلعة، تسمّى فيروزكوه، يسكن ملوكها فيها، اتخذها الغوريون قاعدة لحكمهم، فيها جبال عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار، وهي خصبة ومنيعة. ينظر: الأصطخري، مسالك الممالك، ص153 وص157 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص218.

القراخاني، فبلغ عدد الجيش مائة ألف فارس، فسار السلطان السلجوقي سنجر قائداً هذا الجيش، فعبر بلاد ما وراء النهر سنة 536هـ/ 1141م، وما إن وصل إلى مدينة سمرقند، فأقام بها، وهناك وصله كتاب من كورخان ملك الخطا، يطلب منه الشفاعة في الأتراك القارغلية أو (القارلوق) والعفو عنهم، الا أن السلطان سنجر لم يرض بذلك، وكتب رسالةً إلى كورخان ملك الخطا داعياً إياه لاعتناق الدين الإسلامي، ويهدده، ويتوعده، إن لم يستجب لذلك[46].

إلا أن كورخان ملك الخطا لم يستجب لذلك، واستعد لخوض المعركة ضد السلطان سنجر، فالتقى الطرفان في منطقة قطوان، وقد نجح كورخان ملك الخطا في فرض حصاره على الجيش السلجوقي، ودفعهم إلى التجمع في واد، يدعى وادي ديرغم[47]، وبدأ القتال بينهما، وكان الأتراك القارغلية هم أشد الناس قتالاً مع جيش الخطا، وقد تمكن هذا الجيش من إلحاق الهزيمة بجيش السلطان سنجر، وقتل أعداد كبيرة من جيشه، وأسر آخرون، وأسرت زوجة السلطان، سنجر ثم أطلق سراحها فيما بعد مقابل دفع الفدية، وبذلك استقرت دولة الخطا والترك الكفار في بلاد ما وراء النهر[48].

46- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص3 – ص4 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص522.

47- وادي ديرغم، أو (الدرغم): هو أزكى الرساتيق الشمالية يتاخم أشروسنة، تكثر فيه المراعي والمزارع. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص279.

48- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص4 ؛ البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص254 – ص255 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص522 – ص523.

ثالثاً: الخوارزميون ودورهم في القضاء على الإمارة القراخانية سنة 607هـ/1210م:

بعد أن فرض الخطا سيطرتهم على تركستان وبلاد ما وراء النهر سنة 536هـ/ 1141، واجهوا عدة تحديات سياسية وعسكرية هددت كيانهم السياسي في هذه البلاد.

ففي سنة 604هـ/ 1207م توجه خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاد ما وراء النهر للإطاحة بالخطا بعد ما نشروا في هذه البلاد الظلم والفساد والطغيان، وذلك استجابة لطلب المساعدة التي بعث بطلبها إليه الأمير القراخاني نصرة الدين قلج أرسلان خاقان عثمان بن قلج طمغاج خان إبراهيم الملقّب بلقب خان خانات – أي سلطان السلاطين –[49].

وقد تضمّنت رسالته ما يأتي: **(إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار، وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الأموال والأبشار، ونحن نتفق معك على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما تحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة، وعلى السكة)**[50]، **فأرسل إليه خوارزمشاه محمد رسالة، يقول له فيها: (أخاف أنكم لا توفون لي)**[51].

49- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص291 ؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص82؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص314 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص122 ؛ العبود، د. نافع توفيق، الدولة الخوارزمية، ص36؛ الغامدي، سعد بن محمد، الفتوحات الإسلامية، ص454.

50- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص291 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص314 ؛ العبود، د. نافع توفيق، الدولة الخوارزمية، ص36.

51- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص291 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص314 ؛ العبود، د. نافع توفيق، الدولة الخوارزمية، ص36 – ص37.

وكدليل على صدق نوايا الأمير القراخاني، بعث إليه بوجوه أهل بخارى وسمرقند مؤكدين على صدق ووفاء الأمير القراخاني بوعده له، فأمن خوارزمشاه محمد لنوايا الأمير القراخاني، وجمع عساكره عابراً نهر جيحون، والتقى بالأمير القراخاني في مدينة سمرقند، وقد وصلت أخبار تحشداتهم إلى الخطا، فحشدوا عساكرهم، والتقى الطرفان في معارك ضارية[52].

وقد وقع خوارزمشاه محمد أسيراً بيد الخطا في إحدى هذه المعارك، إلا أنه تمكن من النجاة بمساعدة أحد الأمراء المدعو ابن شهاب الدين مسعود الذي كان معه في الأسر، فعاد إلى خوارزم، واستبشر أهلها بقدومه[53].

وتجددت الحروب بين القراخانيين والخطا، في سنة 606هـ/ 1209م، واجتمع خوارزمشاه محمد مع الأمير القراخاني سلطان السلاطين عثمان لملاقاة جيش الخطا عسكرياً، وجرت حروب، لم يكن لها مثيل في الشدة، وتمكن جيش خوارزمشاه محمد والأمير القراخاني فيها من إلحاق الهزيمة بالخطا، وقتل أعداداً كبيرة منهم، ووقع آخرون في الأسر، وأسر قائدهم طانيكو، وأُحضر إلى خوارزمشاه، فأحسن إليه، وأكرمه، وتوجه خوارزمشاه محمد إلى بلاد ما وراء النهر، وفرض سيطرته عليها، وعلى جميع مدنها حتى بلغ مدينة أوزكند، وأقام نوابه فيها، وعاد هو إلى مدينة خوارزم، وعقدت مصاهرة سياسية بين الطرفين؛ إذ تزوج الأمير القراخاني من إحدى بنات خوارزمشاه محمد، ووفى الأمير القراخاني بجميع وعوده لخوارزمشاه محمد[54].

52- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص291 - ص292 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص47 - ص49 ؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص82؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص122 - ص123.

53- لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص48 ؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص82 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص317 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص122 - ص123.

54- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294 ؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص83 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص124.

إلا أن الأمير القراخاني سرعان ما شعر بالندم لاستنجاده بخوارزمشاه محمد وطرد الخطا، وذلك بسبب سوء سيرة المقاتلين الخوارزميين في سمرقند مع أهلها، فبعث رسالة إلى ملك الخطا، يدعوه للحضور إلى مدينة سمرقند، وتسليمها له، وليدخل في طاعته من جديد، وأمر بقتل الخوارزميين الموجودين في مدينة سمرقند، وأراد قتل زوجته، وهي ابنة خوارزمشاه محمد، إلا أنها طلبت منه أن يعفو عنها، ويتركها وشأنها، فاستجاب لها، وتركها[55].

ووصلت أخبار كل ذلك إلى خوارزمشاه محمد، فأمر بقتل كل مَن في خوارزم من الغرباء، ولاسيما من أهل سمرقند، إلا أن والدته منعته من ذلك، فاستجاب لطلبها، ثم أمر بتجهيز الجيش، وسار نحو بلاد ما وراء النهر متوجهاً نحو مدينة سمرقند[56]. وبعث رسالة إلى الأمير القراخاني قائلًا له فيها: **(قد فعلت ما لم يفعله مسلم، واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل ولا مسلم ولا كافر، وقد عفا الله عما سلف، فاخرج من البلاد، وامض حيث شئت. فقال: لا أخرج، وافعل ما بدا لك)**[57].

فأصدر خوارزمشاه محمد أوامره لجيشه باقتحام مدينة سمرقند، وإقامة السلالم على سورها، وتمكن من فرض سيطرته عليها، وأذن لعسكره بنهبها وقتل من يجدونه في سمرقند، واستمر النهب فيها لمدة ثلاثة أيام، وتوجه بعدها نحو القلعة، فطلب الأمير القراخاني الأمان من خوارزمشاه محمد، إلا أنه رفض ذلك، وتمكن جيشه من فرض سيطرته على قلعة المدينة، وأسر الأمير القراخاني الذي قتل صبراً تنفيذاً لأوامر خوارزمشاه محمد، وقتل معه عدد من أقاربه، وبذلك فرض خوارزمشاه محمد سيطرته على جميع أملاك القراخانيين منهياً

55- لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص124 -ص125.
56- لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294 - ص295.
57- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص295.

بذلك السلطة الفعلية لإمارتهم سنة 607هـ/ 1210م وذُكر سنة 609هـ/ 1212م – وذكر غير ذلك –، وبذلك خضعت تركستان وبلاد ما وراء النهر لسلطة الإمارة الخوارزمية[58].

إن اختلاف المصادر التاريخية في تحديد السنة التي انتهت فيها الإمارة القراخانية بمقتل آخر أمرائها، وهو الأمير عثمان يعود إلى الغموض الذي يكتنف تاريخ هذهِ الإمارة.

إلا أن بوزورث ذكر أن مقتل الأمير القراخاني عثمان ونهاية الإمارة القراخانية كان في سنة 607هـ/ 1210م[59].

وأنا أرجح هذهِ الرواية رغم انفراد بوزورث بذكرها، وخير دليل على ذلك أن بعض المصادر التاريخية ذكرت أن الأمير القراخاني عثمان وبعد تحالفه مع خوارزمشاه محمد وانتصارهما على الخطا سنة 606هـ/ 1209م، أقام الأمير عثمان القراخاني سنة كاملة في خوارزم بعد زواجه من إحدى بنات خوارزمشاه محمد، وبعدها؛ عاد معها إلى سمرقند[60]؛ أي أنه أمضى طوال سنة 606هـ/ 1209م وربما عدة أشهر من سنة 607هـ/ 1210م في خوارزم، ومن ثم؛ عاد مع زوجته في هذهِ السنة إلى سمر قند، وبعدها؛ أعلن تمرده على خوارزمشاه محمد، واستنجد بالخطا ضده.

وأضاف بوزورث أن عدداً من الأمراء القراخانيين بقوا يحكمون في مدينة فرغانة بعد نهاية السلطة الفعلية للإمارة القراخانية في معظم مدن تركستان وبلاد

58 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص141 ؛ محمدعوفي، لباب الألباب، ص570؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص295 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص125؛ سليمان، د.أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية، ج1، ص282 ؛ بول، ستانلي لين، الدول الإسلامية، ج1، ص277 ؛ زامباور، إدورد فون، معجم الأنساب، ص313 وص315.

59 – الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص405.

60 – لمزيد من التفاصيل، ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص338 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص124 – ص125.

ما وراء النهر سنة 607هـ/ 1210م، وأن فرعاً مستقلاً منهم قد أسس مركزاً في مدينة فرغانة بعد أن فرض الخطا سيطرتهم على بلاد ما وراء النهر سنة 536هـ/ 1141م، وتمكن أحد الأمراء القراخانيين المدعو أرسلان الذي بقى يحكم هذا الفرع من الإمارة القراخانية في فرغانة من الإطاحة بسلطة الخطا، واعترف بسلطة زعيم المغول جنكيزخان، والظاهر أن هذا الفرع استمر بوصف أعضائه حكاماً على فرغانة تحت إمرة وسلطة المغول لسنواتٍ عدة[61].

إن انفراد بوزورث بذكر هذهِ الرواية تثير الشك حول صحّتها ؛ إذ لم أعثر على رواية مماثلة لها في المصادر التاريخية الأخرى.

ومهما يكن الأمر، فإننا نعدُّ مقتل الأمير القراخاني عثمان وعلى يد خوارزمشاه محمد سنة 607هـ/ 1210م هي النهاية الحقيقية والفعلية لسلطة الإمارة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر.

61 – الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص405.

الفصل الخامس

الحياة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية (350-607هـ/ 961-1210م)

* أولاً: اهتمام الأمراء القراخانيين بالعلم والعلماء.
* ثانياً: تطور العلوم الإنسانية والعقلية في عهد الإمارة القراخانية (350 – 607هـ/ 961 – 1210م).
* ثالثاً: التواصل الثقافي بين مدينة بغداد وبلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية (350-607هـ/ 961-1210م).

الفصل الخامس
الحياة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية
(350 ـ 607هـ/ 961 ـ 1210م)

أولاً: اهتمام الأمراء القراخانيين بالعلم والعلماء:

كان سبب تطور الحياة العلمية في عهد الإمارة القراخانية هو اهتمام أمراء هذه الإمارة بالعلم والعلماء، ولما يمتلكه هؤلاء الأمراء من حس وذوق علمي وفكري رفيع، وثقافة اكتسبوها نتيجة تعمقهم في الدين الإسلامي وأحكامه ومبادئه العظيمة.

وسوف أتناول في هذا الفصل تطور الحياة العلمية في عهد الإمارة القراخانية بعد اعتناقهم الإسلام، مقتصرة على توضيح أهم ملامح تطور العلوم في عهدهم في بلاد ما وراء النهر فقط لسعة الموضوع وتشعبه.

فقد كان الأمير القراخاني إيلك خان ناصر الحق بن علي بن ستق شمس الدولة الذي تولى الحكم بعد وفاة عمه بغراخان هارون سليمان سنة 383هـ/ 993م، محباً للعلم ولأهله، وقد ضربت النقود باسمه في بخارى وسمرقند ومدن أخرى من بلاد ما وراء النهر[1][1].

ومما يؤكد اهتمام هذا الأمير بالناحية العلمية من خلال الاطلاع على السفارة التي تبودلت بين هذا الأمير وبين السلطان محمود الغزنوي، والتي أشرنا إليها سابقاً في استعراضنا للعلاقات التي كانت تربط القراخانيين مع الإمارة الغزنوية في الفصل الثالث، ونجد هنا من الضروري الإشارة إليها مرة أخرى.

1 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص114 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص268.

إذ بعث السلطان محمود رسوله إلى الأمير القراخاني ايلك خان ناصر الحق حاملاً معه رسالة تضمنت ما يأتي: (**قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[2]، **وقد اتفق أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق على أن المراد التقوى من الجهل، فليس نقصان لأرواح الناس أسوأ من نقصان الجهل، وأدنأ من قلة العلم، والكلام القديم يشهد بصحة هذه القضية وصدق هذا الخبر) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[3]، **فنحن نريد من أئمة ما وراء النهر وعلماء الشرق وأفاضل الحضرة الخاقانية أن يبينوا لنا ضروريات هذه المسائل: ما النبوة؟ وما الولاية؟ وما الدين؟ وما الإسلام؟ وما الإحسان؟وما التقوى؟ وما الأمر بالمعروف؟ وما النهي عن المنكر؟ وما الصراط؟ وما الميزان؟ وما الرحمة؟ وما الشفقة؟ وما العدل؟ وما الفضل؟)**[4].

وعندما وصلت هذه الرسالة إلى الأمير القراخاني، واطلع على مضمونها، دعا جميع أئمة وعلماء وفقهاء بلاد ما وراء النهر، وناقشهم، وجادلهم في هذه المضامين جميعاً، وأمر عدداً منهم بتصنيف كتاب في هذا الباب، على أن يضعوا أجوبةً واضحة لجميع ما ورد في الرسالة التي بعث بها السلطان محمود الغزنوي له، وقد امتثل جميع علماء وفقهاء وأئمة بلاد ما وراء النهر لأوامر الأمير القراخاني، على أن يُنجزوا ذلك خلال أربع أشهر[5].

2- سورة الحجرات، آية 13.

3- سورة المجادلة، آية 11.

4- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص32 -ص33.

5- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

ومـن بيـن مَـن حضر مـن الفقهـاء فـي بـلاط الأميـر القراخانـي الفقيـه محمد عبـدة الـذي أجـاب على أسـئلة السـلطان محمـود الغزنـوي الـواردة في رسـالته إلى الأميـر القراخانـي، وقـد استحسـن اجابتـه معظـم مَـن حضر مـن علماء وفقهـاء بلاد مـا وراء النهـر، ونـال - أيضـاً - استحسـان كل مـن الأميـر القراخانـي والسـلطان محمود[6].

وهـذا يـدل دلالـة واضحـة علـى اهتمـام الأميـر القراخانـي بالعلم وتشـجيعه للعلماء والفقهاء بتصنيف المصنفات العلمية الشاملة.

أمـا الأميـر القراخانـي شـمس الملك؛ فقـد اهتـم - أيضـاً - بالعلـم والعلماء، فقـد وهـب أمـلاكاً سـلطانية عائـدة لـه لأهـل العلـم[7]. كان هـذا الأمير مـن أفاضل أمـراء الإمـارة القراخانيـة علمـاً ورأيـاً وسياسـة، وكان فصيح اللسـان، وهذا سـاعده علـى دراسـة العديـد من العلـوم؛ منها علـم الحديث النبـوي الشـريف، وكان له ذوق رفيع في الخط، فقد خطّ بقلمه القرآن الكريم[8].

واهتـم الأميـر القراخانـي خضـر خـان بـن طفغـاج خـان بـن إبراهيـم الـذي تولى الإمـارة بعـد وفاة أخيه شـمس الملك في سـنة 472 هـ / 1079م، بالشـعر والأدب، وكان يسـتضيف فـي بلاطه العديد من الشـعراء مثل الشـاعر نجيبـي الفرغاني وعمعـق البخاري ورشيدي السمرقندي وغيرهم، وكانت له معهم مجالس ومناظرات شعرية عديدة[9].

واهتـم الأمير أبو شـجاع أرسـلان خـان بأهـل العلـم، وكان ديِّناً محبـاً ومكرِّماً للعلماء وأهل الدين، وكان يقصد بلاطه العديد من العلماء والأدباء[10].

6- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص33.

7- الداقوقي، د.حسين، الحركة الفكرية، بحث منشور في مجلة دراسات، ص14.

8- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم الملايين، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ج6، ص 331.

9- النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص54 -ص55 -وص144؛ محمد عوفي، لباب الألباب، ص784.

10- ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص297 -ص298 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4، ص516.

أما الأمير نصرة الدين قلج أرسلان خاقان عثمان بن قلج طمغاج خان إبراهيم الذي تولى الإمارة بعد وفاة والده ولقب بلقب خان خانات؛ أي – سلطان السلاطين –[11]، فقد اهتم بأهل العلم من العلماء والفقهاء مشجّعاً إياه على تصنيف عدد من المصنفات، وفي المجالات كافة، وأُلف في عهده كتاب – نماذج السياسة في أهداف الرئاسة – للفقيه محمد بن علي السمرقندي[12].

أما الأمير طفغاج خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر ايلك الملقب عماد الدولة؛ فقد اهتم – أيضاً – بمَن عاصره من العلماء والفقهاء، وكان لا يتخذ قراراً إدارياً، لاسيما ما يتعلق بفرض ضرائب جديدة، إلا بعد أن يستفتي فيه كبار فقهاء وعلماء بلاد ما وراء النهر[13].

ومن أهم الشواهد على مدى اهتمام الأمراء القراخانيين بالعلم وأهله، أن أميراً من أمرائها قد ترك إمارته وسلطته؛ ليتفرغ في طلب العلم، وهو الأمير محمد مجد الدين الختني، فقد ترك إمارته لأخيه الأصغر، وبدأ يتنقل بين سمرقند وبخارى وبلاد الشام طلباً للعلم، وقد قلّده السلطان نور الدين زنكي إدارة المدرسة الصادرية عندما كان هذا الأمير في بلاد الشام لتلقّي العلم، وفي مصر، تولى إدارة المدرسة السيوفية، وهو أول مَن درَّس فيها، وواصل رحلته إلى الأندلس، ثم عاد بعدها إلى مصر، وأقام فيها حتى وفاته، ودُفن في جبل المقطم في سنة 576هـ/ 1180م[14].

11 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص142 ؛ محمد عوفي، لباب الألباب، ص45، بارتولد، تركستان، 81 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص151.

12 – بارتولد، تركستان، ص82

13 – ابن الأثير، الكامل، ح7، ص297 ؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص517 ؛ بارتولد، تركستان، ص459 وص462.

14 – القرشي، محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1332هـ/ 1913م، م، ج2، ص125 – ص126.

وفي مجال الخط، برع الأمير جلال الدين قلج طمغاج خان سلطان سمرقند، وشجع الخطاطين بخط القرآن الكريم بخط جميل، وواصل ابنه من بعده مسيرة أبيه في هذا المجال[15]. [16]

واهتم الأمير قلج طمغاج خان بالعلم وأهله ؛ إذ أُلف في عهده، وبتشجيع منه، عدد مهم من المصنّفات؛ منها – تاريخ ملوك تركستان – الذي قام بتصنيفه بهاء الدين أعراض الرياسة في أغراض السياسة[17].

وظهر في عهد هذا الأمير الشاعر رضي الدين النيسابوري، وهو من أفاضل شعراء خراسان، وقد مدح الأمير القراخاني قلج طمغاج خان في إحدى قصائده[18].

وشجع الأمير قدرخان أبو المعالي جبرائيل بن أحمد الشعراء لتنظيم أروع القصائد، وقد حظي الشاعر الرشيدي السمرقندي باهتمام هذا الأمير أيضاً[19].

15 – محمد عوفي، لباب الألباب، طبعة سعي واهتمام وتصحيح: إدورد بروز انكليسي، بريل، ليدن، 1906 م، ج1، ص228 وص229.

16 – الداقوقي، د. حسين، الحركة الفكرية، بحث منشور في مجلة دراسات، ص13.

17 – الزركلي، الأعلام، ج9، ص22وص23 ؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1376 هـ/ 1957 م، ج12، ص137.

18 – الداقوقي، د. حسين، الحركة الفكرية، بحث منشور في مجلة دراسات، ص13.

19 – الداقوقي، د. حسين، الحركة الفكرية، بحث منشور في مجلة دراسات، ص13.

ثانياً: تطور العلوم الإنسانية والعقلية في عهد الإمارة القراخانية (350 ـ 607هـ/961 ـ 1210م):

تطورت كافة العلوم الإنسانية منها والعقلية في عهد الإمارة القراخانية، وظهر العديد من الفقهاء والعلماء في مجال اللغة العربية والأدب والتفسير والحديث النبوي الشريف والفقه والتاريخ والرياضيات والفلك والهندسة وعلم الفلسفة والأخلاق والطب في بلاد ما وراء النهر في عهد هذه الإمارة القراخانية. وسوف أتناول في هذا الفصل أهم مَن ظهر منهم في هذه المجالات.

1 ـ علوم اللغة العربية والنحو:

ظهر عدد من علماء اللغة العربية والنحو في بلاد ما وراء النهر، وكانت لهم إنجازات كثيرة في هذا المجال، نذكر منهم:

أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير الشافعي المتوفى سنة 365هـ/ 975م أو سنة 366هـ / 976 م[20]، وهو فقيه وأديب في الوقت نفسه[21]، كان إمام عصره في بلاد ما وراء النهر، وأعلمهم بالأصول،

20 – الشاشي، نسبة إلى مدينة الشاش هي مدينة وإقليم واسع، تقع على ضفاف نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك، وهي من أعمال سمرقند. ينظر، ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1967، ص294 ؛ البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949، ج3، ص775 ؛ ص776، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص308

21 – ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، عني بنشره: القدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1347هـ / 1928م، ص182 ؛ ابن هداية الله، أبو بكر، طبقات الشافعية، حقّقه وعلّق عليه: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1971، ص89

وأكثرهم سفراً، في طلب العلم، بمختلف مجالاته[22]، فضلًا عن كونه كان لغوياً ومحدثاً ومفسراً وأصولياً[23]، وسوف أذكر في صفحات قادمة من هذا الفصل دوره في مجال علم التفسير والفقه..

وظهر أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى سنة393هـ / 1002م، وهو إمام عصره في اللغة والأدب، وبرع - أيضاً - في مجال الخط، سافر إلى عدة بلدان طلباً للعلم، وتوجّه إلى العراق، وقرأ علم العربية على شيخي زمانه أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى الحجاز، ومنها إلى خراسان، ثم إلى نيسابور، ودرس وتعلّم الخط وكتابة المصاحف، فضلاً عن تأليفه لعدد مهم من المصنفات؛ من أهمها الصحاح في اللغة[24].

أما اللغوي أبي الوفا محمد بن محمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خذيو الاخسيكثي[25] المعروف بذي المناقب لكثرة مناقبه المتوفي

22- ابن عساكر، تبيين كذب المفترى، ص182.

23- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حقّقه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970 م، ج4، ص200 ؛ السيوطي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت، ص49.

24- الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، حقّقه وفصّله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2، 1375 هـ / 1956م، ج4، ص406 ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، بلا.ت، ج6، ص152 - ص153؛القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1374هـ / 1995م، ج1، ص194 - ص195؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص330 ؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط2، 1390هـ/ 1971، ج1، ص401 ؛ ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر 1929، ج4، ص207

25- الأخسيكثي: نسبة إلى مدينة أخسكيث من بلاد ما وراء النهر، وهي قصبة ناحية فرغانة، تقع على شاطئ نهر الشاش، وعلى أرض مستوية، ولها حصن وربض، وفيها مياه جارية وحياض كثيرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص121

سنة 520هـ/ 1126م؛ فقد كان إماماً في اللغة صالحاً عارفاً بالأدب والتاريخ، فضلاً عن كونه كان حسن الشعر، له مصنفات عدة، من أشهرها كتاب التاريخ[26].

وظهر اللغوي أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خذيو الإخسيكثي الملقب بذي الفضائل المتوفي سنة 528هـ / 1133م، والذي كان له دور كبير في إغناء اللغة العربية بإنجازاته، وكان شاعراً أديباً مُصنفاً، كاتباً، وله مصنفات عدة، من أشهرها كتاب في التاريخ عُرف بتاريخ أبي رشاد، وسُمي - أيضاً - تاريخ فرغانه[27].

ومن مصنفاته الأخرى، كتاب شرح ديوان سقط الزند للمعري، وسمّاه الزوائد، فضلاً عن ديوان للشعر[28].

وظهر عبد الله بن علي بن صاين الفرغاني النحوي المتوفى سنة 615/ 1218م، والذي كان إماماً في النحو واللغة، وخطيباً في سمرقند[29].

2 ـ الأدب والشعر:

وفي مجال الأدب والشعر، ظهر العديد من الأدباء والشعراء؛ من أشهرهم:

أبو الفتح أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن أحمد بن عبد الله الشاشي الخرقاني المتوفى سنة 550هـ / 1155م، كان

26- السمعاني، الأنساب، ج1، ص95 ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج19، ص44 ؛ البغدادي، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة وكالة المعارف، اسطنبول، 1951 - 1995 م، ج2، ص85.

27- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص53 ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص83.

28- السمعاني، الأنساب، ج1، ص95 ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص53؛ البغدادي ؛ هدية العارفين، ج1، ص83 ؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج2، ص- 144 ص145.

29- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1964 م، ج1، ص374

شيخاً أديباً عالماً سديد الرأي جواد النفس، من أشهر تلاميذه أبو سعد عبد الكريم السمعاني[30].

وظهر كذلك الأديب أثير الدين الأخسيكثي المتوفى سنة 577هـ / 1181م، وهو من أشهر شعراء المديح، وله فضل كبير في النثر، فشعرهُ مليء بالمعاني والصياغة اللفظية، وبفضل شعره، أصبح من مشاهير الشعر والأدب الفارسي في أواخر القرن 6هـ/ 11م[31]، تغلب على أشعاره مشاهداته الشخصية، فله أبيات شعرية كثيرة بالفارسية، أغلبها في المدح، فضلاً عن قصائده في الوصف، مثل وصفه لما شاهده من معارك مهمة، وقعت بين الخطا والسلاجقة مثل معركة قطوان في سنة 536هـ/ 1141م[32].

ومن الشعراء المشهورين ضياء الدين بن جلال الدين بن مسعود الخجندي المعروف بالبارسي المتوفى سنة 610هـ/ 1213م، وهو من أشهر الشعراء في القرن 6هـ/ 11م، وكان قاضياً عادلاً، وله شروح متعددة ؛ إذ إنه تكفّل مدة من الزمن بالأمور الشرعية في مدينة بخارى[33]، له مصنفات عدة؛ من أشهرها شرح بعض نتاجات الرازي، فضلاً عن قصائد باللغة الفارسية[34].

وظهر الشاعر علي بن محمد الشاشي الذي ترك بلاده الشاش متوجهاً إلى ميافارقين، وأنشد فيها شعره[35].

30- السمعاني، كتاب المعجم، وهو المنتخب بالتقييد، مخطوط محفوظ في المجمع العلمي العراقي تحت رقم 1100، ق1، ورقة 10 أ.

31- محمد عوفي، لباب الألباب، ص93 ؛ براون، إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله العربية: د. إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر، 1373 هـ/ 1954م، ص435 وص543.

32- صفا، دكتر ذبيح الله، تاريخ أدبيات در إيران، ج2، ص1150.

33- صفا، دكتر ذبيح الله، تاريخ ادبيات در إيران، ج2، ص827 وص828

34- دهخذا، علي أكبر، لغت نامة، معجم اللغة، تهران، 1337 هـ/ 1918م، مج حرف خ، ص299.

35- الثعالبي، يتيمة الدهر، ج 1، ص301

أما الشاعر ابن فرغون الشاشي؛ فكان له حضور واضح المعالم في مجال الشعر، وكان له من الشعر بمقدار 30 ورقة[36]، وظهر الشاعر نجيبي الفرغاني الذي حظي باهتمام الأمير القراخاني خضر خان بن طمغاج بن إبراهيم الذي استضافه في بلاطه[37]. وله أشعار عديدة، بقيت بفضلها بعض الأسماء التي تعود لعدد من الأمراء القراخانيين[38].

3 ـ علم القراءات:

وفي علم القراءات[39] ظهر العديد من الفقهاء والعلماء ممّن أغنوا هذا العلم بإسهاماتهم العلمية، من أهمهم:

أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان الطرازي المتوفى سنة 385هـ / 995م، وهو مقرئ محقق كامل، ومحدث، أخذ القراءة عرضاً عن ابن مجاهد وأحمد بن أبي بكر الزيتوني وغيرهم، روى عنه أبو جعفر بن مسرور وأبو سعد الكنجرودي[40].

وكان لأبي الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن نصر بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عبد الجبار بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الخواقندي المخزومي

36 – ابن النديم، الفهرست، طبعة من تحقيق: رضا تجدد، مطبعة دانشكاه، طهران، 1971، ج4، ص187.

37 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص53–54.

38 – النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص56.

39 – علم القراءات: وهو العلم الذي يبحث عن نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، والغرض منه ضبط هذه الاختلافات وصون كلام الله تعالى من أي تحريف، وقد يبحث هذا العلم – أيضاً – عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات غير المتواترة. ينظر: القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الرومي، كشف الظنون عن سامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1982، مج 2، ص1317.

40 – ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: – ج. برجسترا سر، مكتبة الخانجي، مصر، 1933 هـ / 1952 م، ج2، ص237.

المتوفى سنة 501هـ / 1107 م، دور مهم في هذا المجال، كان أديباً مقرئاً، سمع عن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وروى عنه ابنه محمد بن طاهر[41].

وظهر محمد بن يعقوب بن أبي طالب الكاساني المتوفى سنة555هـ/ 1160م، في هذا المجال، وهو من أهل الخير والقرآن، نشأ في مدينة بخارى، وسكن في مدينة سرخس[42].

وكان لأبي حفص عمر بن محمد بن طاهر الأندكاني الفرغاني فضل كبير في إغناء هذا العلم، فقد كان شيخاً صالحاً كثير التلاوة والدرس له، عالماً بالروايات والقراءات[43]، سمع في بخارى من أبي الفضل بكر بن محمد، وفي مرو، سمع من أبي الرجاء المؤمل بن مسرور الشاشي وأبي الحسن علي بن محمد الهراس الواعظ[44].

4 ـ علم التفسير

وفي علم التفسير، ظهر عدد من المفسرين ممّن أغنوا هذا العلم بآرائهم وتفسيراتهم السديدة؛ من أهمّهم:

أبو بكر محمد علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير – سبق وأن أشرنا إلى دوره في مجال اللغة العربية والنحو – كان فقيهاً مفسراً، وإماماً في التفسير[45]، كان ميالاً إلى الاعتدال في مذهبه، إلا أنه سرعان ما عاد إلى مذهب الأشعري، أخذ القفال علم الكلام عن الأشعري[46]، وتفقّه على يديه عدد من المفسرين؛

41 – السمعاني، الأنساب، ج2، ص412 ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص 399.

42 – القرشي، الجواهر المضيئة، ج2، ص145.

43 – السمعاني، الأنساب، ج2، 412 و417.

44 – السمعاني، الأنساب، ج1، ص–217ص218 ؛ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص262.

45 – السيوطي، طبقات، ص94.

46 – ابن عساكر، تبيين كذب المفترى، ص183 ؛ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1، 1970–1971 م، ج2، ص89.

من أشهرهم والد إمام الحرمين عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد البوشنجي وغيرهم كثير، ومن أهم مصنفاته التفسير الكبير[47].

وظهر إسماعيل بن أبي زياد الشاشي، له تفسير، حدّث به أبو علي أحمد بن محمد المعروف بابن الشيخ الهمذاني المتوفى سنة 504هـ/ 1110م[48].

5 ـ علم الحديث النبوي الشريف:

وفي مجال علم الحديث النبوي الشريف، ظهر العديد من المحدثين ممّن اهتموا برواية الحديث النبوي الشريف وسماعه؛ من أشهرهم:

أبو سعيد بن ميكائيل بن حنيفة البدخكشي[49] المتوفى سنة 324هـ / 935م، وقد روى عن صالح بن محمد الترمذي، وروى عنه الحسن بن منصور المقرئ[50].

وكان لأبي سعيد سعد بن عبد الرحمن بن حميد الخرشكتي[51] المتوفى سنة 340هـ / 951م دور كبير في هذا المجال، فقد روى عنه يوسف بن يعقوب القاضي ومحمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، وروى عنه أبو سعيد الحسن بن محمد بن سهل الفارسي[52].

47 ـ الداودي، شمس الدين محمد، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م، ج2، ص199؛ ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر، طبقات الشافعية، اعتنى بتصحيحه وعلّق عليه ورتّب فهارسه:د. عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1398 هـ / 1978، ج1، ص131.

48 ـ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأسماء، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، 1384هـ / 1965م، ج5، ص97.

49 ـ البدخكشي: نسبة إلى قرية بدخكش من بلاد الشاش في بلاد ما وراء النهر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص358.

50 ـ السمعاني، الأنساب، ج1، ص295.

51 ـ الخرشكتي: نسبة إلى بلد في بلاد الشاش في بلاد ما وراء النهر. ينظر: السمعاني، ج1، ص295

52 ـ السمعاني، الأنساب، ج2، ص345 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص359.

أما المحدث أبو القاسم المظفر بن حاجب بن أركين الفرغاني المتوفى سنة363هـ/ 973م، فكان له دور مهم في إغناء هذا العلم بانجازاته، فلقد روى عن أبي علي إسماعيل بن محمد الدمشقي وأبي يعلى الموصلي ومحمد بن يزيد بن عبد الصمد وغيرهم[53].

ومن المحدثين ممّن ظهروا في هذهِ المرحلة التاريخية أبو منصور بدر بن زياد بن عبد الله بن محمد بن محمد الخجندي المتوفى سنة 514هـ/ 1120م، الذي حدث في سمرقند عن أبي حفص عمر بن منصور الحافظ، وروى عنه عمر محمد النسفي[54].

والمحدث أبو حامد أحمد بن حمزة بن محمد بن إسحاق بن أحمد المطوعي المتوفى 526هـ/ 1131 م، حدث في سمرقند عن أبيه حمزة، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي[55].

فضلاً عن أعداد كبيرة أخرى من المحدثين اللامعين، ولا يسعني ذكرهم جميعاً في هذا الفصل.

6ـ علم الفقه

وفي مجال علم الفقه، ظهر العديد من الفقهاء، كان لبصماتهم ومصنفاتهم أثر كبير في تطور هذا العلم في بلاد ما وراء النهر، من أشهرهم:

الفقيه أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير – الذي سبق وأن أشرنا إلى إنجازاته في علم اللغة العربية والتفسير – كان إمام عصره

53–ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له: د.سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1988 م، ج4، ص1812 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق:د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1988، حوادث ووفيات سنة 351-380 هـ، ص314 –ص315.

54–السمعاني، الأنساب، ج2، ص328.

55–ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص57.

بلا منـازع فقيهـاً أصوليـاً محدثاً ومفسـراً لغوياً[56]. من أشـهر شـيوخه في علـم الفقه فـي العـراق أبـو بكـر محمـد بـن إسـحاق بـن خزيمـة، وأبـو العبـاس السـراج، وأبو القاسـم البغـوي، وغيرهـم[57]. أمـا شـيوخه فـي بـلاد مـا وراء النهـر؛ أبـو عبـد اللـه محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ومحمد بن بيان الكازروني، وغيرهم[58].

وكان للفقيه بكر محمد بن سـفيان الأسـبانيكثي المتوفى سـنة 375 هـ/ 985م أو سـنة 376 هــ/ 986م، دور كبيـر فـي إغنـاء هـذا العلـم ؛ إذ يُعـد من أشـهر الفقهاء الشـافعيين، ومـن أهـم أصحـاب الإمام الشـافعي، وكان مـن رجال الحكم فـي مدينة نسف، ومن أفضلهم، درس الفقه على يد أبي بكر أحمد بن الحسن الفارسي[59].

وظهـر – أيضـاً – فـي عهـد الإمـارة القراخانيـة الفقيه أبـو الربيع طاهـر بن عبد اللـه الإيلاقـي الشاشـي المتوفـى سـنة 465 هــ/ 1072م، كان إماماً فقيهـاً، تفقّه على يـد عـدد مـن الشـيوخ المشـهورين؛ منهم الشـيخ أبو بكـر عبد اللـه بن أحمـد القفال المـروزي فـي مدينـة مـرو، أما فـي نيسـابور؛ فقد تفقّـه على يـد أبي طاهـر محمد بن محمـد الزيـادي، وفـي بخـارى، تفقّـه علـى يـد الشـيخ أبـي عبـد اللـه الحسـين بـن الحسن الحليمي، وغيرهم[60].

56– الشـيرازي، أبـو إسـحاق إبراهيـم بن علي، طبقـات الفقهاء، حققـه وقدم له:د. إحسـان عبـاس، دار الرائد العربـي، بيـروت، ط2، 1401 هـ/ 1981 م، ص112 ؛ ياقوت الحمـوي، معجم الأدباء، ج3، ص308؛ النـووي، أبـو زكريـا محيـي الديـن بـن شـرف، تهذيـب الأسـماء واللغـات، عُنيـت بنشـره وتصحيحـه والتعليـق عليـه ومقابلـة أصولـه: شـركة العلمـاء بمسـاعدة إدارة الطباعـة المنيريـة، مصر، بـلا. ت، ج2، ق1، ص383 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص200

57– ابـن الأثيـر، اللباب في تهذيب الأنسـاب، أعـادت طبعه بالأوفيسـت، مكتبـة المثنى، بغداد بـلا.ت، ج3، ص250، النووي، تهذيب الأسماء، ج2، ق1، ص382.

58– ابـن خلـكان، وفيـات الأعيان، ج4، 281 ؛ السـبكي، تـاج الدين أبو نصـر عبد الوهاب، طبقات الشـافعية الكبرى، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، بلا.ت، ج4، ص57.

59– السمعاني، الأنساب، ج1، ص128.

60– السـمعاني، الأنسـاب، ج1، ص238، السـبكي، طبقـات الشـافعية، ج3، ص197، الأسـنوي، طبقـات الشافعية، ج1، ص62.

ومـن الفقهـاء المشـهورين ممّن ظهروا فـي عهد الإمـارة القراخانيـة أبو جعفر محمـد بـن الحسـن بـن المحسـن الأشروسـني[61] المتوفى سـنة 470هـ/ 1077م، قَـدِمَ إلـى بغـداد في سـنة 430هـ/ 1038 م، تفقّـه فيها على يـد عدد من الفقهـاء؛ مثل الفقيـه الصيمـري وقاضـي القضـاة أبي عبـد اللـه الدامغاني، واسـتقرّ - بعدهـا - في بيـت المقـدس، وعـاد - بعدهـا - إلـى بغـداد، تفقّـه علـى يديـه القاضـي عبيـد اللـه أبوزيد الدبوسي[62].

أمـا الفقيه أبو المظفر بـن محمد ثابت الخنجدي المتوفى سـنة496هـ/ 1102م ؛ فقـد كان لـه دور مهـم فـي هـذا المجـال، كان فقيهـاً شـافعياً، درس فـي أصفهـان، وكان الوزير السلجوقي نظام الملك يزوره باستمرار، وحظي باهتمامه وكرمه[63].

وكان للفقيـه ظهيـر الديـن أبـو الحسـن علـي بـن عبـد العزيز بـن عبـد الرزاق المرغينانـي المتوفـى سـنة 506هـ / 1112م إنجـاز مهم في هـذا المجال، وقـد تفقّه علـى يـد أبيـه عبد العزيـز، وعلى يد الشـيخ ابن شـجاع محمد بـن أحمـد، وغيرهما، ومن أشـهر مصنفاتـه، الفتاوى الظهيـرة، وفوائـد عليالجامع الصغير، والحسـامي في الفروع المسماة الفوائد الظهيرية[64].

ومـن مدينـة الشـاش، ظهـر الفقيه فخـر الإسـلام أبو بكـر محمد بـن أحمد بن الحسـين بن عمـر الشاشـي المسـتظهري المتوفى سـنة 507هـ / 1113 م، تفقّه على

61- الأشروسـني: نسـبة إلى مدينة أشـرو سـنة، وهي بلـدة كبيرة في بـلاد مـا وراء النهر، تقع بين نهر سـيحون وسـمرقند، وبينهـا وبيـن سـمرقند 20 فرسـخ، الغالـب عليهـا الجبـال، من شـرقيها ومـن غربيهـا حدود سـمرقند، وشـماليها الشـاش، مـن أهم مدنهـا بنجيكت وسـاباط وزامين وديـزك وغيرها. ينظـر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص197.

62- القرشـي، الجواهـر المضيئـة، ج2، ص46؛ اللكنـوي، محمـد عبـد الحـي، الفوائـد البهيـة مـن تراجـم الحنفيـة، مطبعـة الخزانـة، قـزان بطـر سـبرج، 1321هـ، ص-57ص58 ؛ كحالـة، عمر الرضـا، معجم المؤلفين، ج7، ص123.

63- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص163.

64- اللكنوي، الفوائد، ص148؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج7، ص123.

يد أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني، وأبي منصور الطوسي، قام ببناء مدرسة، عُرفت باسم الشاشي في بغداد الشرقية شافعية المذهب، و درَّس في المدرسة التاجية والنظامية في بغداد[65].

ومن الفقهاء المشهورين ممّن ظهروا في عهد الإمارة القراخانية الفقيه شيخ الإسلام علاء الدين علي بن محمد بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأسبيجابي[66] السمرقندي المتوفى سنة 535 هـ/ 1140 م، وهو من الفقهاء الحنفيين، سكن مدينة سمرقند، وتفقّه على يديه عدد كبير من الفقهاء؛ منهم السمعاني وعلي بن أبي بكر الفرغاني، من أهم مصنفاته؛ شرح مختصر الطحاوي في فروع الحنفية[67].

وبرع في هذا العلم - أيضاً - الفقيه أبو نصر أحمد بن منصور القاضي المطهري الأسبيجابي المتوفى سنة 480هـ/ 1087م، وهو من فقهاء الحنفية الكبار، سافر إلى سمرقند، وذكر فتاوى، وأقام عدة مناظرات، فضلاً عن تدريسه لعدد من التلاميذ، من أهم مصنفاته، شرح الجامع الكبير في الفروع للإمام

65- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حقّقه وقدّم له: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995 م، ج9، ص4401 وص 4845 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص219 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص77، وج 13، ص182 ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص57 -ص58.

66- الأسبيجابي: نسبة إلى مدينة اسبيجاب من بلاد ما وراء النهر، وهي مدينة عامرة، مكانها في مستو من الأرض، ولها مدن، منها بذخكت واسبانيكث وغيرها. انظر: الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق من اختراق الآفاق، ، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989م، ج2، ص704؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص171.

67- القرشي، الجواهر المضيئة، ج2، ص371 ؛ ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين قاسم، تاج التراجم في طبقات الحنيفة، مطبعة العاني، بغداد، 1962، ص44، طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق:كامل كامل بكري، عبدالوهاب أنور، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1968م، ج2، ص276 ؛ اللكنوي، الفوائد، ص124؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج7، ص183.

أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني وشرح الكافي في فروع الحنفية لمحمد بن محمد الحنفي وغيرها[68].

ومن مدينة طراز، ظهر الفقيه سديد الدين أبو الرضاء محمد بن محمود بن علي بن الحسن بن يوسف الطرازي المتوفى سنة 570 هـ/ 1174 م، وهو أحد مشايخ بخارى، وأفاضلها، تفقّه في بخارى على يد عدد من الفقهاء؛ من أشهرهم عبد العزيز بن عمر بن مازة، وسمع بكر بن محمد الزرنجري، وغيره[69].

7 ـ علم التاريخ

ظهر عدد من المؤرخين في بلاد ما وراء النهر، كان لبصماتهم أثر كبير في تطور علم التاريخ، من أشهرهم:

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر بن خذيان الفرغاني، كان مؤرخاً ومحدثاً، ذكر عدة روايات تاريخية عن مصر في عهد الطولونيين والأخشديين[70] وكانت له روايات عدة عن شيخه الطبري، مما يدل على أنه حظي باهتمامه، ومن التلاميذ الملازمين له[71]، من أهم مصنفاته – تاريخ مذيل على تاريخ الطبري، عُرف بالصلة أو تاريخ الفرغاني أو كتاب التاريخ؛ إذ أكمل فيه كتاب الطبري[72].

68 – القرشي، الجواهر المضيئة، ج1، ص127 ؛ القسطنطيني، كشف الظنون، ج8، ص567 وج 2، ص1378؛ اللكنوي، الفوائد، ص42.

69 – القرشي، الجواهر المضيئة، ج2، ص131.

70 – ابن العديم، بغية الطلب، ج5، ص2068 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 173 ؛ كحالة، عمر الرضا، معجم المؤلفين، ج6، ص22 –ص23.

71 – العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق وشرح وترجمة: كلاس لشل، مطبعة راين جولد ماينز، ويسبادن، 1968م، ج5، ص181 ؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ص83.

72 – الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، باعتناء: دورو تياكرافوسكي، دار الأندلس، بيروت، 1982م، ج17، ص30، البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص449 ؛ القسطنطيني، كشف الظنون، مج1 ص298 وص 299 ؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج6، ص23

وظهر في هذا المجال - أيضاً - أبو منصور أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن خذيان الفرغاني المتوفى سنة 398هـ / 1007م، عاش في مصر، كان والده مقرباً للطبري، وروى عن أبيه تصانيف الطبري[73] من أشهر مصنفاته، كتاب التاريخ، أكمل به تاريخ والده، وكتاب سيرة العزيز سلطان مصر المنتسب إلى العلويين، وكتاب كافور الأخشيدي[74].

8- علم الطب

وفي مجال علم الطب، ظهر عدد قليل من الأطباء في بلاد ما وراء النهر في هذه المرحلة التاريخية، من أشهرهم:

الطبيب شرف الدين أبو عبد الله السيد محمد بن يوسف الإيلاقي المتوفى سنة 536هـ / 1141 م، وهو من أشهر الأطباء في بلاد ما وراء النهر، كان فاضلاً جامعاً لفنون العلم، وخبيراً في علم الطب والعلوم الأخرى، كان من تلاميذ الرئيس أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا[75]. له مصنفات عدة في مجال علم الطب منها - الفصول الإيلاقية في كليات الطب - وكتاب الأسباب والعلامات في الطب - وغيرها[76].

73- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص106 ؛ الصفدي، الوافي، ج4، ص87 ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص69 ؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص156.

74- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص106 ؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص156.

75- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق:د.نزار رضا، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص459؛ الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: السيد خورشيد أحمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف، العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1396 هـ / 1976م، ج2، ص55-56.

76- القسطنطيني، كشف الظنون، مج 2، ص1266 -ص1267.

وظهر الطبيب أبو نصر فخر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندي المتوفى سنة 552هـ / 1157م، كان بارعاً في علم الطب، وله إنجازات طبية واضحة المعالم، وله مصنّفات عدة، من أشهرها - التلويح إلى أسرار التنقيح - وكتاب تنقيح المكنون من مباحث القانون لابن سينا، وغيرها من المصنفات الطبية المهمة[77].

والطبيب محمد بن عمر بن علي بن عمر السمرقندي نجيب الدين المتوفى سنة 619 هـ / 1222م من أهم مصنفاته - أغذية المرضى - والأسباب والعلامات وكتاب الأقر باذين الكبير والصغير[78].

9 ـ علم الهندسة:

اختص عدد قليل من العلماء في مجال علم الهندسة، وساهموا في تطوره، نذكر منهم:

شمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي المتوفى حدود سنة600هـ/ 1203م، كان رياضياًمنطقياً وفلكياً، وله إنجازات مهمة في علم الهندسة، وله رسالة في أدب البحث والمناظرة[79].

وظهر القاضي الفيلسوف عبد الرزاق التركي الذي كان عالماً كاتباً، وله باع طويل في علم الهندسة، فضلاً عن تدريسه لعلم الطب والحساب في بخارى[80].

77 - البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص92 ؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج1، ص192.
78 - الصفدي، الوافي، ج4، ص184 ؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص169.
79 - القسطنطيني، كشف الظنون، مج1، ص110 ؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج9، ص63.
80 - الداقوقي، د.حسين، الحركة الفكرية، بحث منشور في مجلة دراسات، ع2، ص20.

10 ـ علم الرياضيات والفلك

وفي مجال علم الرياضيات والفلك، ظهر عدد قليل من العلماء ممّن كانت لهم إنجازات مهمة في هذا المجال، كان من أشهرهم:

أبو محمود حامد بن الخضر الخجندي المتوفى سنة 390 هـ / 999 م، وذكر سنة 382 هـ/ 992م، ويُعدّ من كبار علماء الرياضيات ممّن ظهروا في القرن 4هـ/ 9م، كان له دور كبير في علم المثلثات، وله فضل كبير في تقدم هذا العلم، وتمكن من إيجاد حلول مهمة للعديد من المسائل التي تتعلق بعلم المثلثات الكروية، ونظم الجداول الرياضية للمماس والجيوب والقاطع وإنجازات عدة مهمة، أسهمت في تطور هذا العلم[81]. [82]

ونجح الخجندي من تحديد حركة الشمس الوسطى من خلال متابعته المستمرة لأحوال الطقس، فضلاً عن بنائه لمرصد فلكي في بغداد، تمكن من خلاله من متابعة بحوثه ودراساته المتعلقة بعلم الفلك، وهذا ساعده على تصنيف كتاب – الآلة الشاملة – وكتاب العمل بالزرقالة – فضلاً عن بحوث عدة في علم المثلثات الكروية وغيرها[83].

81 – طوقان، قدري حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار القلم، القاهرة، 1963 م، ص273؛ الشحات، علي أحمد، مكانة العلم والعلماء في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بلات، ص133.

82 – طوقان، قدري حافظ، تراث العرب، ص273؛ كحالة، عمر رضا، العلوم البحتة في العصور الإسلاميه، مطبعة الترقي، دمشق، 1972، ص120.

83 – البيروني، القانون المسعودي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1374 هـ/ 1955م، ج2، ص643 ؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص261 ؛ طوقان، قدري حافظ، تراث العرب، 232؛ الورد، باقر أمين، معجم العلماء العرب، راجعه: الأستاذ كوركيس عواد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1406 هـ / 1986م، ج1، ص100.

11 ـ علم الفلسفة السياسية والأخلاق

وفي مجال علم الفلسفة السياسية والأخلاق، ظهر عدد قليل ممّن صنّفوا في هذا المجال، نذكر منهم:

يوسف الحاجب الخاص للأمير القراخاني بغراخان حسن بن سليمان أرسلان، ومن أشهر مصنفاته، كتاب قوتادغو - بيليك، ومعناه " العلم الذي يسعد" أو " علم السعادة "، أو "العلم اللائق بالملوك" كُتب باللغة التركية، وبالحروف العربية والأويغورية، وكان يوسف رجل دولة من الطراز الأول، مزج بين خبراته السياسية وبين ثقافته الإسلامية، وأضاف إلى كل ذلك التقاليد والأعراف والتراث التركي الموروث من الآباء في ربوع أسيا الوسطى والسهوب، فقد كانت مجالاً واسعاً للبدو من الترك، وللحضر منهم[84].

وظهر أبو بكر النوجاباذي البخاري المتوفى سنة 533هـ/ 1138 م، الذي صنف كتاباً في فضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق بعنوان - مرتع النظر -[85].

أما بهاء الدين الظهيري السمرقندي، الذي كان كاتب الانشاء لدى الأمير القراخاني قلج طمغاج خان؛ فكان له دور مهم في هذا المجال، فقد صنف كتابه - أعراض الرياسة في أغراض السياسة[86]. وصنف المفسر محمد بن يوسف

84-لمزيد من التفاصيل حول هذا الكتاب، ينظر:بارتولد، تركستان، ص553 وص554 وص557 وص558 وص459 ؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص45 -ص56 وص135 -ص137 ؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2، ص278؛ الداقوقي، د. حسين، يوسف الحاجب الخاص، بحث منشور في مجلة كانت تصدر عن نادي الإخاء التركماني في بغداد، ص5 -ص6؛ بوزورث الإيلكخانية أو القره خانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مج5، مادة الإيلكخانية، ص403.

85-كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج2، ، ص137؛ الزركلي، الأعلام، ج9، ص22 -ص23.

86-كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج2، ص137؛ الزركلي، الأعلام، ج9، ص23.

السمرقندي المدني كتاباً بعنوان - رياضة الأخلاق - والذي يُعدّ من أهم المصنفات في هذا المجال[87].

ثالثاً: التواصل الثقافي بين مدينة بغداد وبلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية (350 ـ 607هـ/961 ـ 1210م)

زار عدد من علماء وفقهاء بلاد ما وراء النهر، وفي عهد الإمارة القراخانية مناطق عدة من العالم الإسلامي، ولا يسعني ذكر جميع مَن ورد منهم تلك المناطق، وسأكتفي بذكر مَن زار منهم مدينة بغداد، ومَن ورد منها إلى بلاد ما وراء النهر، لما كانت تمثله بغداد من مركز علمي وحضاري في العصر العباسي.

فمن أهم مَن زار مدينة بغداد من المحدثين:

المحدث أبو الليث نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل الشاشي التنكتي المتوفى سنة 486 هـ/ 1093 م، سمع الحديث الشريف عن مجموعة من الشيوخ المشهورين في نيسابور مثل المحدث أبي الفتح ناصر العمري، وفي مصر عن الشيخ أبي الحسن محمد، وفي الشام، سمع الحديث الشريف عن نصر الزاهد المقدسي وغيرهم[88].

وزار بغداد المحدث السيد العالم عبد الله بن قائد بن عقيل بن الحسين الأخسيكثي المتوفى سنة 515هـ/ 1121م[89].

87- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج2، ص137؛ الزركلي، الأعلام، ج9، ص23.

88- ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص4883 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ص50.

89- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد، القند في ذكر علماء سمرقند، قدم له واعتنى به: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط1، 1412هـ/ 1991م، ص222 و223.

ومن أشهر فقهاء بلاد ما وراء النهر ممّن زاروا بغداد:

الفقيه أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي[90] - الذي سبق أن تحدثت عنه عدة مرات في صفحات سابقة من هذا الفصل -.

ووفد إلى بغداد الفقيه أبو الحسن القاسم بن أبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي المتوفى سنة 400هـ/ 1009م، كان إماماً حافظاً، ذاع صيته في حياة أبيه، له مصنفات عدة؛ منها التقريب، وشرح مختصر المزني، وكلاهما في الفروع[91].

وزار بغداد الفقيه أبو بكر محمد بن ثابت بن الحسن بن علي الخجندي المتوفى سنة 483هـ/ 1090م، كان فقيهاً وواعظاً أصولياً، وله صيت واسع في علم الفقه، فهو من أشهر أئمة وشيوخ المدرسة النظامية في بغداد، برع في النظر والأصول، له مصنفات عدة؛ منها: كتاب زواهر الدرر في بعض أو نقض جواهر النظر، وكتاب روضة المناظر[92].

ووفد إلى بغداد الفقيه أبو عبد الله محمد بن موسى بن عبد الله البلاساغوني التركي اللامشي[93]، المتوفى سنة 506هـ/ 1112م، كان من أشهر العلماء والأئمة في الفقه، تولى القضاء في القدس، درس الفقه على يد عدد من الشيوخ في بغداد مثل الشيخ أبي عبد الله الدامغاني، من أهم مصنفاته كتاب أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة[94].

90- لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عساكر، تبيين كذب المفترى، ص182 ؛ ابن الأثير، اللباب، ج3، ص50 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص200؛ السبكي، طبقات، ج2، 178.

91- الأسنوي، طبقات، ج1، ص303-ص304 ؛ ابن قاضي شهبة، طبقات، ج1، ص182؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص827.

92- السبكي، طبقات، ج3، ص50؛ الأسنوي، طبقات، ج1، ص478 ؛ القسطنطيني، كشف الظنون، ج2، ص956 ؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج9، ص143.

93- اللامشي: نسبة إلى لامش، وهي من قرى فرغانة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص8.

94- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص476 ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص204.

وحظيت مدينة بغداد بزيارة الفقيه أبو علي الحسين بن علي بن أبي القاسم اللامشي المتوفى سنة 515هـ / 1121م حاملاً رسالة من خاقان ملك بلاد ما وراء النهر محمد بن مسلم إلى الخليفة العباسي المسترشد بالله (512-529هـ)/ (1118-1134م)، له عد مصنفات منها: الواقعات وكتاب الفتاوى[95].

ومن أشهر علماء اللغة العربية والنحو ممّن زاروا مدينة بغداد:

اللغوي محمود بن أحمد الخجندي الدمشقي المتوفى سنة 621 هـ / 1224م، ولد في دمشق، ونشأ بها، رغم أن أصله من مدينة خجندة، كان عالماً في اللغة العربية والفقه، ورعاً ديّناً، برع - أيضاً - في الشعر، وله عدة مجالس للوعظ[96].

ووفد إلى بغداد أبو المكارم رزق الله بن محمد بن أبي الحسن بن عمر القباوي المتوفى سنة 471 هـ / 1078 م، كان أديباً مشهوراً، كان كثير الدرس للقرآن الكريم، سمع الحديث الشريف عن أبي الفضل بكر بن محمد بن علي وغيره، وسمع عنه أبو إسحاق إبراهيم بن علي القباوي[97].

وزار بغداد الأديب أبو الفتح أحمد بن الحسين الشاشي الخرقاني، قرأ عليه السمعاني كتباً من تصانيف أبي الحسن محمد بن محمد الحافظ البغدادي بالإجازة عنه[98].

وزارها - أيضاً - الأديب فخر الدين إبراهيم بن محمد بن علي الخجندي، ثم البغدادي الكاتب المؤدب، برع - أيضاً - في مجال الخط، ونسخ بقلمه عدداً كبيراً من الكتب[99].

95-ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص5138؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص8؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ج1، ص215؛ اللكنوي، الفوائد، ص81.

96-القفطي، إنباه الرواة، ج3، ص264.

97-السمعاني، الأنساب، ج4، ص442 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص302.

98-السمعاني، الأنساب، ج2، ص125.

99-الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج10، ص349.

وقد ورد عدد من علماء وفقهاء مدينة بغداد إلى بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية؛ من أشهرهم:

أبو بكر أحمد بن العباس بن عبيد الله البغدادي المعروف بابن الامام المتوفى سنة 355هـ/ 965م، الذي برع في علوم القرآن الكريم، كان يقرأ بطريقة التجويد، سافر إلى خراسان، ومنها إلى فرغانة، كان دائم اللقاء مع المتصوفة وأصحاب الجدل والكلام، سافر - أيضاً - إلى مرو وبخارى، وقرأ على الأمير الساماني نوح بن نصر، وجاء على لسانه أنه سمع من عبد الله بن ناجية ومن الفريابي، وقرأ أبو بكر القرآن الكريم على الأشناني وأبي بكر بن مجاهد[100].

ومن مدينة بغداد، زار عدد من المحدثين للحديث النبوي الشريف بلاد ما وراء النهر، من أشهرهم:

المحدث أبو محمد الحسن بن عثمان بن محمد بن عثمان التمتامي المتوفي سنة 345هـ/ م956، حدث في خراسان وبلاد ما وراء النهر، سافر إلى نيسابور، ومنها توجه إلى بلاد ما وراء النهر، وحدّث فيها، روى عن جبير بن محمد الواسطي وأحمد بن محمد بن عبد الرزاق، وحدّث عن عبد الله بن إسحاق المدائني وطبقته[101].

والمحدث أبو العباس محمد بن الحسن بن العباس بن محمد بن علي بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور المتوفى سنة 357 هـ/ 985م، بغدادي الأصل، كان يحفظ ويعلّم عدداً من كتب العلماء والفقهاء، سافر إلى سمرقند، وحدّث بها، ومنها سافر إلى بخارى، واتجه - بعدها - إلى

100 - الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة 351-380 هـ، ص119-120.

101 - الخطيب البغدادي، أبو بكر محمد بن علي، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وورد لها، حقّقه وضبط نصبه وعلق عليه، د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ/ 2001 م، ط1، ج8، ص346؛ السمعاني، الأنساب، ج5، ص478.

بـلاد التـرك، واسـتقر هنـاك حتـى وفاتـه[102]. وزار بـلاد مـا وراء النهـر الأديـب أبو الحسـين محمـد بـن أحمـد بـن ثابـت التاجـر، كان فصيـح اللسـان متكلّمـاً كثير الاختـلاف لصحبـه، كتـب فـي مدينـة بغـداد عـن أبـي عمـر محمد بـن عبـد الواحد الزاهد وغيره[103].

102- الخطيـب البغـدادي، تاريـخ بغـداد، ج4، ص359 -ص360 ؛ الذهبـي، تاريـخ الإسـلام، حـوادث ووفيات سنة 351-380 هـ، ص170.

103- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، 110 -ص111.

الخاتمة

الخاتمة

تمخّضت عن دراستي هذه جملة من النتائج المهمة، وسوف أحاول هنا استعراض أهمها:

1 – أن القراخانيين قبائل تركية، استقروا في تركستان، ونجحوا في فرض سيطرتهم – فيما بعد – على معظم بلاد ما وراء النهر.

2 – تُعدّ الإمارة التي أسسوها في بلاد ما وراء النهر من أهم الإمارات الإسلامية، والتي عاصرت إمارات مهمة؛ مثل السامانية والغزنوية والخوارزمية.

3 – امتدّ حكم إمارتهم زهاء 230 سنة (380–609هـ/ 990–1212م)، وذكر أن إمارتهم استمرت أكثر من 230 سنة، على اعتبار أنها تأسست (315–609هـ/ 927–1212م)، وذلك نسبة إلى حكم أول أمرائهم، وهو الأمير ستوق، أو "سبق " بغراخان عبد الكريم(ت 344هـ/ 955م).

4 – اتخذ القراخانيون من مدينة كاشغر عاصمة لهم في المراحل الأولى من تأسيس إمارتهم، ثم استقروا في مدينة أوزكند، واتخذوها عاصمة لهم، لكونها كانت أكثر أمناً وأقل خطراً من غيرها من المدن الأخرى.

5 – كانت الإمارة القراخانية تنعم بالاستقلال في حكم معظم المناطق التابعة لها، غير أنهم خضعوا – فيما بعد – لسيطرة السلاجقة، ومن ثم؛ للخطا، ومن ثم؛ للخوارزميين.

6 – اختلف المؤرخون في انتماء القراخانيين لعدد من القبائل التركية، ومنها الياغما والتغزغز والقارلوق والتوخسي وغيرها. وقد تناولت تفاصيل ذلك في الفصل الأول.

7 – تلقَّب الأمراء القراخانيون بألقاب عدة؛ منها قراخان الذي يتألف من مقطعين: الأول هو"قرا"، والثاني "خان"، وتعني صاحب السلطة الرئيسة، ثم تطور هذا اللقب، وأصبحوا يلقّبون بلقب خاقان، ثم ايلك خان معناه الملك أو الأمير.

8 – كانت لغة القراخانيين هي اللغة التركية الأويغورية، فضلاً عن الفارسية.

9 – اعتنق القراخانيون ديانات عدة؛ منها الشامانية والبوذية والمانوية والزرادشتية والمسيحية والإسلام، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام بين عدد كبير من القبائل التركية الوثنية.

10 – اهتم الأمراء القراخانيون بالبناء والعمران، على الرغم من أسلوب حياتهم الرعوية، فبنوا القصور الفخمة والربط والقلاع والمساجد والحمامات وغيرها.

11 – اتسمت العلاقات السياسية بين الإمارة القراخانية والخلافة العباسية بالاستقرار وتبادل السفارات ؛إذ حصل الأمراء القراخانيين على ألقاب فخمة من قبل عدد من الخلفاء العباسيين.

12 – اتخذت العلاقات السياسية والعسكرية بين الإمارة القراخانية والسامانية بالاضطراب وعدم الاستقرار، وذلك حسب ما يتوافق مع مصالحمها المتبادلة، وقد انتهت – بنجاح – الإمارة القراخانية والغزنوية في القضاء على الإمارة السامانية واقتسام أملاكها بينهما.

13 – ولا تختلف العلاقات بين الإمارة القراخانية والغزنوية عن سابقتها الإمارة السامانية ؛إذ تارة يسودها الاستقرار وتبادل السفارات التجارية والعلمية مع تبادل الهدايا بين الطرفين، مع توتر العلاقات بينهما وبين السلاجقة القوة المنافسة الأخرى التي ظهرت على المسرح السياسي.

14 – وقد بدأت الإمارة القراخانية بالضعف على إثر الضربات المتوالية التي تعرضت لها على أيدي السلاجقة والخطا والخوارزميين، وأخيراً؛ خضعت أملاكها له، ويُعدّ مقتل الأمير عثمان على يد السلطان علاء الدين خوارزمشاه سنة 607هـ/ 1210م هي البداية الحقيقية لنهاية الإمارة القراخانية.

15 – اهتم الأمراء القراخانيين بالعلم والعلماء؛إذ وهب أحد أمرائهم أملاكه لأهل العلم، والتفرغ للتعلم والدراسة تاركاً الحياة السياسية بكل تفاصيلها، وخير دليل على ذلك هو التطور العلمي الذي شهدته بلاد ما وراء النهر في عهدهم.

ومن الله التوفيق

الملاحق

ملحق رقم (1)

أسماء الأمراء القراخانيين ممن حكموا في بلاد ما وراء النهر[1]

1. عبد الكريم سَتوق بُغْراخان [الأول] تولى الإمارة سنة 315هـ/ 927م.
2. شمس الدولة موسى بن ستوق تولى الإمارة سنة 344هـ/ 955م.
3. شهاب الدولة أبو موسى هارون بغراخان [الثاني] بن سليمان تولى الإمارة سنة ---
---
4. أبو الحسين نصر [الأول] بن علي، الأمير السيد، ناصر الحق تولى الإمارة سنة 382هـ/ 992م.
5. قطب الدولة أبو نصر أحمد [الأول] بن علي، قراخاقان تولى الإمارة سنة400هـ/ 1009م.
6. سنا (ء) الدولة محمد بن علي تولى الإمارة سنة 403هـ/ 1012م.
7. شرف الدين طغان خان بن علي تولى الإمارة سنة 404هـ/ 1013م.
8. نور الدولة أبو المظفر آرسلان خان [الأول] إيلك بن علي تولى الإمارة سنة 404هـ/ 1013م.
9. ناصر الدولة يوسف قدرخان [الأول] بن هارون بغراخان تولى الإمارة سنة 404هـ/ 1013م.
10. الملك المنصور محمد بن علي تولى الإمارة سنة 412هـ/ 1021م.
11. شرف الدولة أبو شجاع آرسلان خان [الثاني] بن يوسف قدرخان تولى الإمارة سنة 423هـ/ 1031م.
12. محمود (أو محمد) بغراخان [الثالث] بن يوسف قدرخان تولى الإمارة سنة 425هـ/ 1033م

1- . لمزيد من التفاصيل ينظر: زامباور، إدوردفون، معجم الأنساب، ص312.

ملحق رقم (2)

أسماء الأمراء القراخانيين ممّن حكموا في الغرب (بخارى)[2]:

1. جغراتكين، أبو علي الحسين بن بغراخان [الثاني] تولى الإمارة سنة 406هـ/ 1015م.
2. عماد الدولة أبو المظفر إبراهيم تقغاج أو (طفغاج خان) خان بن نصر تولى الإمارة سنة 433هـ/ 1041م.
3. شمس الملوك نصر [الثاني] بن تفغاج، أو (طفغاج) تولى الإمارة سنة 460هـ/ 1067م.
4. خضر خان بن تفغاج أو (طفغاج) تولى الإمارة سنة 472هـ/ 1079م.
5. أحمد خان [الثاني] بن خضر تولى الإمارة سنة473هـ/ 1080م.
6. محمود خان [الثاني] بن نصر [الثاني] تولى الإمارة سنة 488هـ/ 1095م
7. قدرخان [الثاني] جبرائيل بن عمر بن أحمد تولى الإمارة سنة490هـ/ 1096م.
8. محمد آرسلان خان[الثالث] بن سليمان بن داود بن بغرا [الثالث] تولى الإمارة سنة 495هـ/ 1101م.
9. أبو المعالى حسن تكين قلج بن علي بن عبد المؤمن تولى الإمارة سنة

---

10. ركن الدين محمود خان [الثالث] بن آرسلان تولى الإمارة سنة 536هـ/ 1141م.
11. ركن الدين قلج تفغاج خان أو(طفغاج خان) بن محمد آرسلان خان تولى الإمارة سنة558هـ/ 1162م.

2- . لمزيد من التفاصيل ينظر: زامباور، إدوردفون، معجم الأنساب، ص312 – ص313.

12. معز الدين قلج خان تولى الإمارة سنة ----------

13. جلال الدين محمد بن نصر تولى الإمارة سنة 578هـ/ 1182م.

14. نصرة الدين إبراهيم كوج آرسلان بن الحسين تولى الإمارة سنة 582هـ/ 1186م.

15. جلال الدين أُلُغْ سلطان قدرخاقان تولى الإمارة سنة 597هـ/ 1200م.

ملحق رقم (3)

أسماء الأمراء القراخانيين ممّن حكموا في الشرق: (كاشغر وختن وبلاساغون)[3].

1. طغرل خان بن يوسف قدرخان [الأول] تولى الإمارة سنة449هـ/ 1057م.
2. طغرل قراتكين بن طغرل. تولى الإمارة سنة 467هـ/ 1074م.
3. هارون بغراخان بن يوسف قدرخان [الأول] تولى الإمارة سنة467هـ/ 1074م.
4. نور الدولة أحمد بن حسن بن آرسلان خان تولى الإمارة سنة 496هـ/ 1102م.
5. إبراهيم بن أحمد تولى الإمارة سنة522هـ/ 1128م.
6. محمد بن إبراهيم تولى الإمارة سنة ----------
7. يوسف بن محمد تولى الإمارة سنة ----------
8. محمد بن يوسف تولى الإمارة سنة 601هـ/ 1204م.

3- . لمزيد من التفاصيل ينظر: زامباور، إدوردفون، معجم الأنساب، ص313.

ملحق رقم (3)

ملحق رقم (4)

مخطط يوضح اسماء الامراء القراخانيين (315 – 607هـ)/(937 – 1210م)

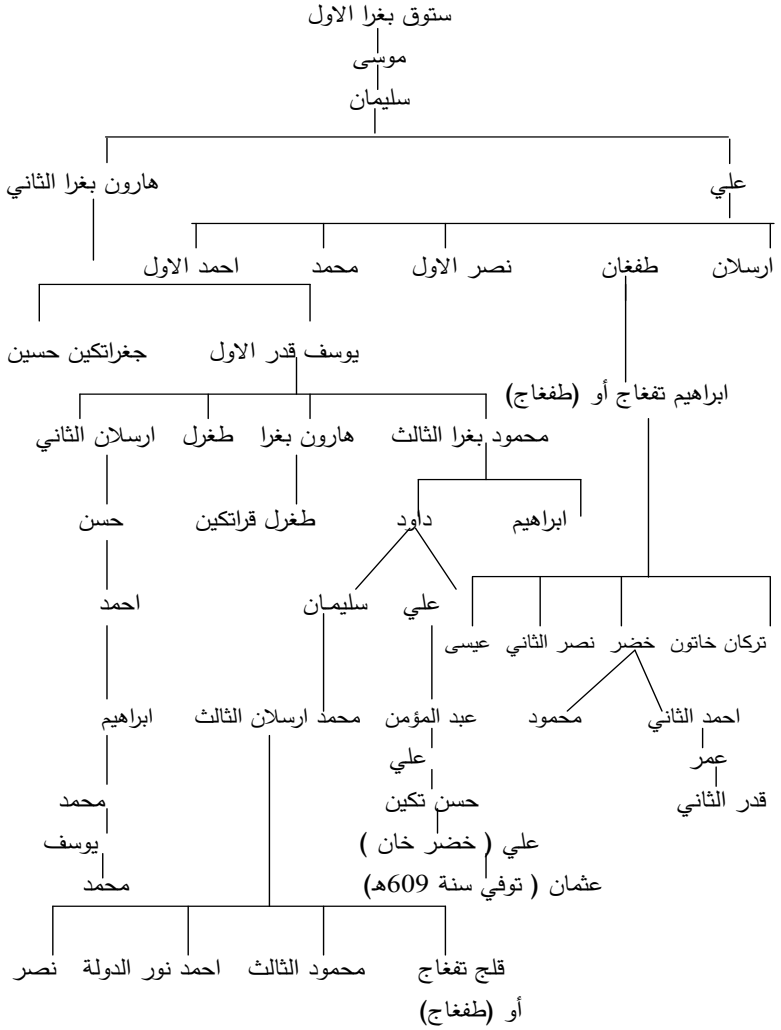

لمزيد من التفاصيل انظر :زامباور ،دأوردفون، معجم الأنساب،ص 419 وص420 – ص421.

ملحق رقم (5)

مخطط يوضح أسماء أهم الأمراء السامانيين

ممّن حكموا الإمارة السامانية (261 ـ 389هـ)/(874 ـ 999م)

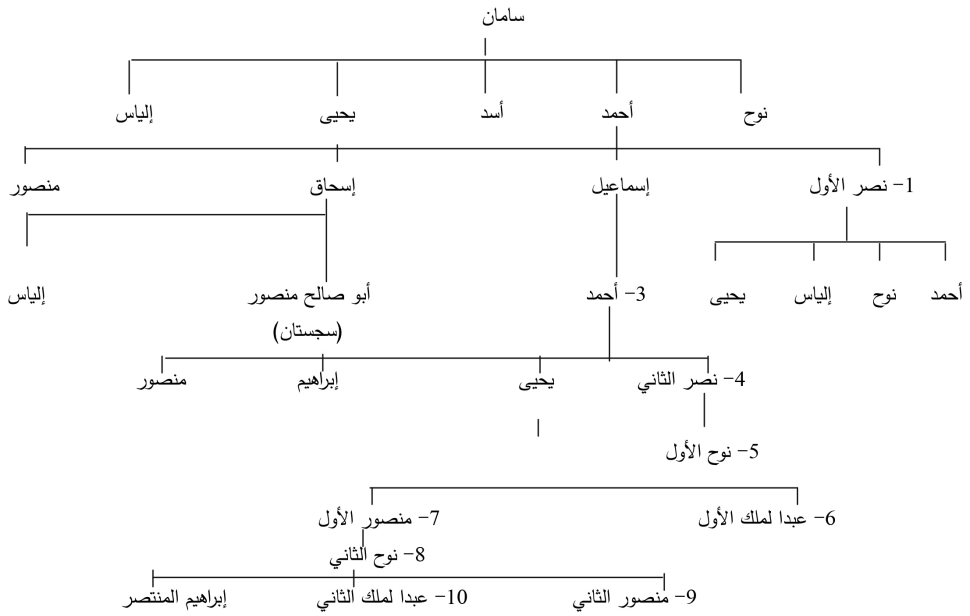

ينظر: سليمان، د. أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية، ج1، ص278.

ملحق رقم (6)

مخطط يوضح أسماء أهم الأمراء الغزنويين

ممّن حكموا الإمارة الغزنوية (351 ـ 582هـ)/(962 ـ 1186م)

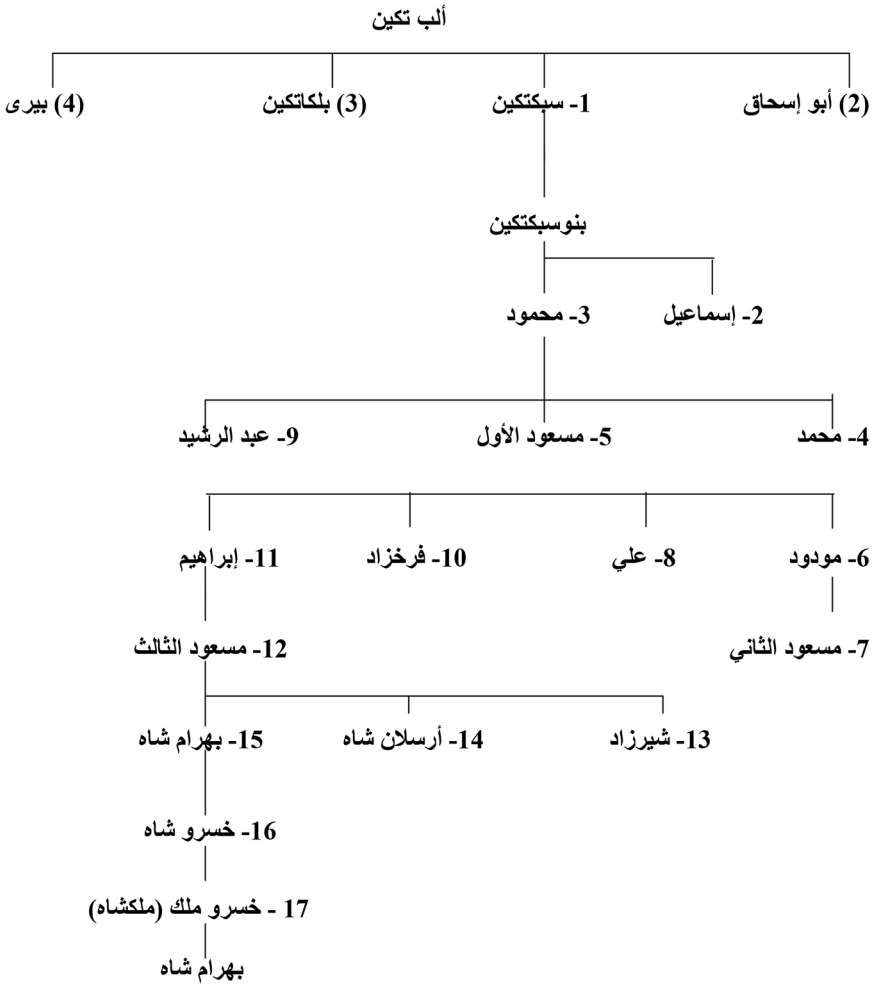

ملحق رقم (7)

مخطط يوضح أسماء أهم السلاطين السلاجقة

(447 ـ 590هـ)/(1055 ـ 1193م)

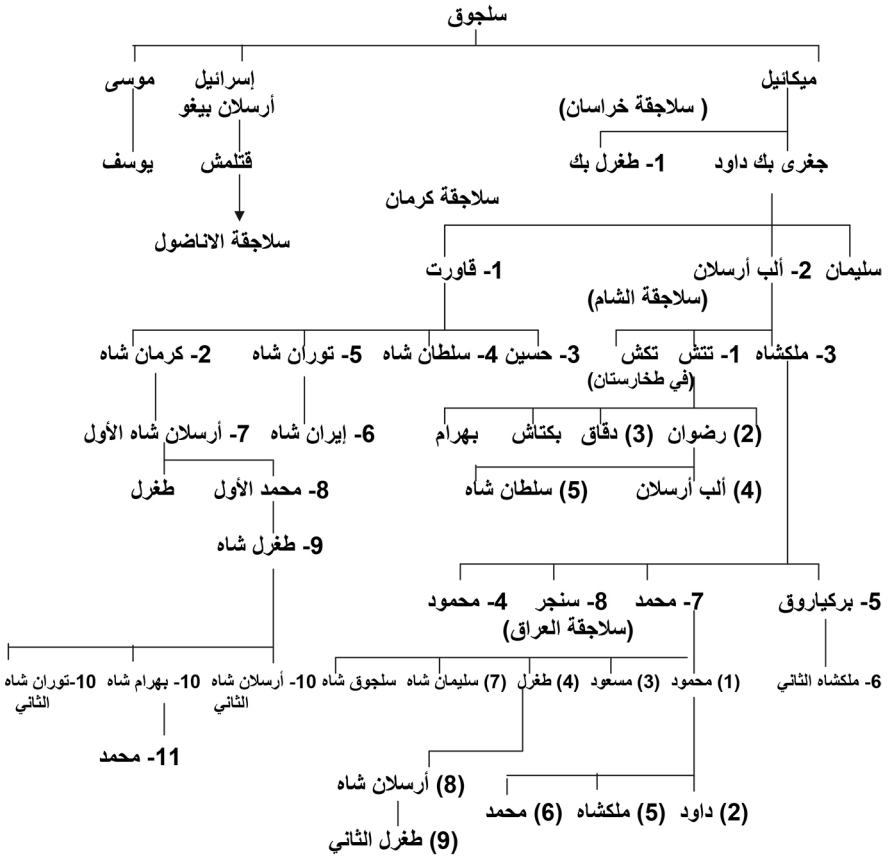

ينظر: سليمان، د. أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية، ج1، 324 وص325.

ملحق رقم (8)

خارطة توضح مناطق استقرار القراخانيين

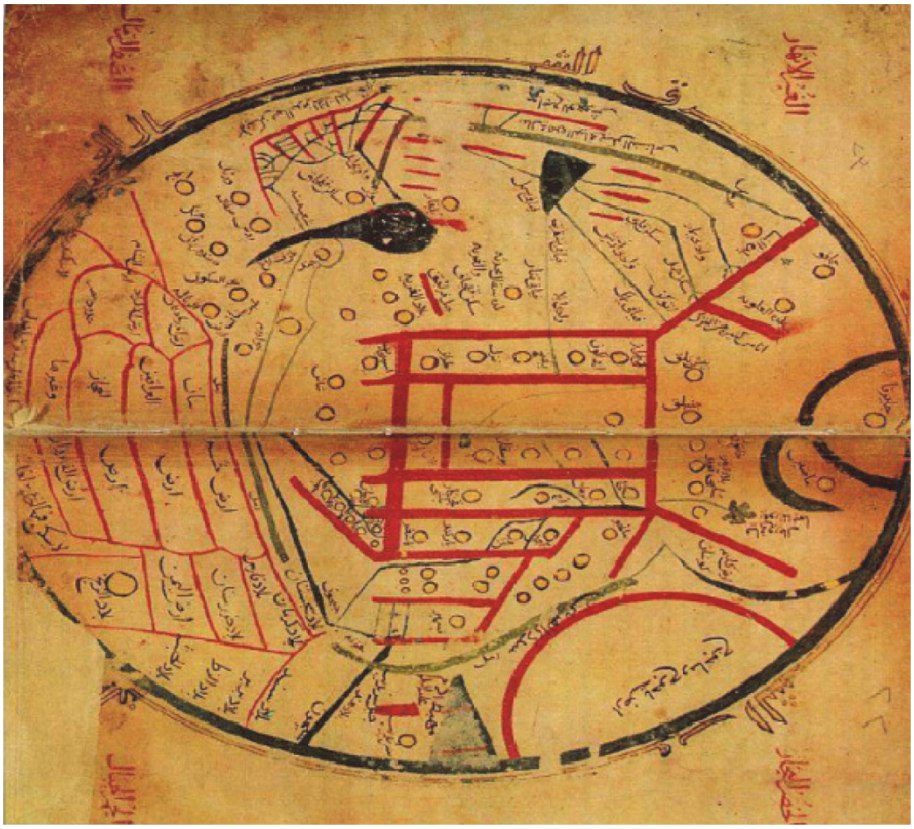

ينظر: الكاشغري، ديوان لغات الترك، ج1، بعد ص28

ملحق رقم (9)

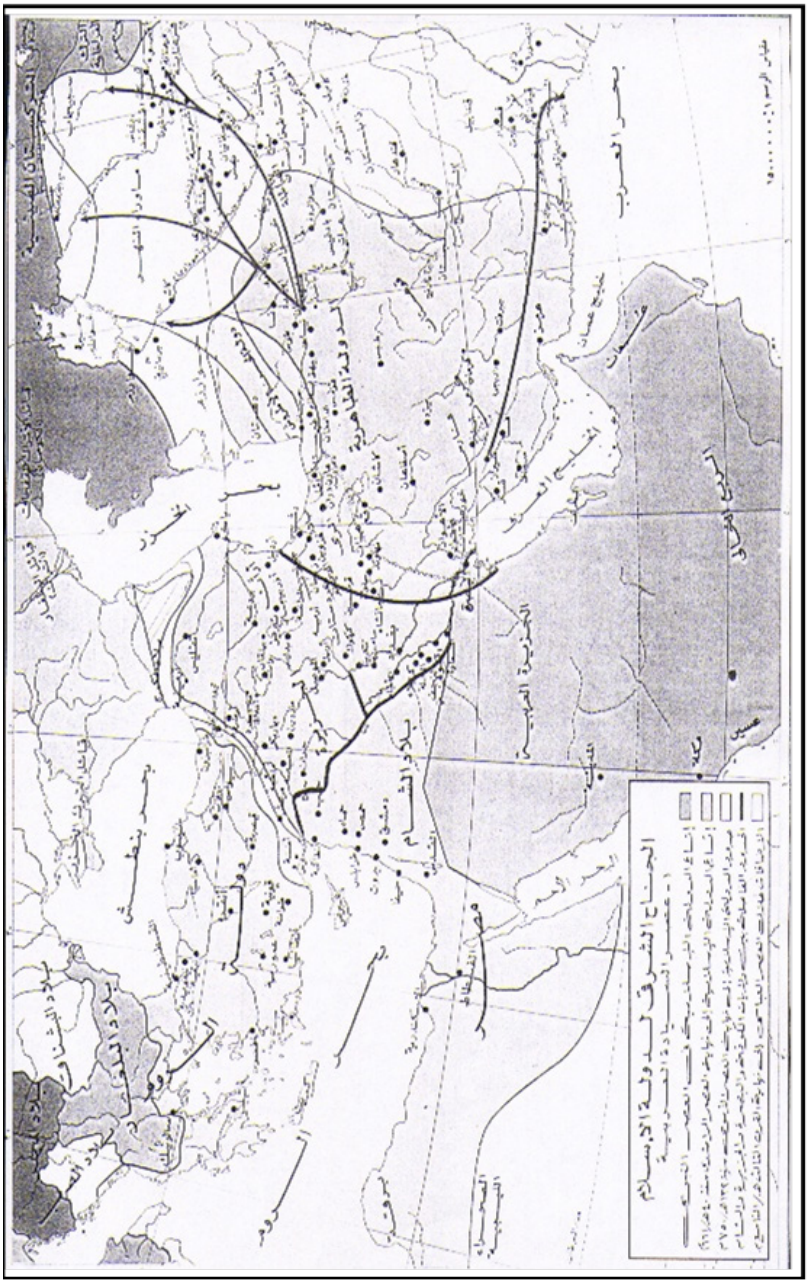

ينظر : مؤنس ، د. حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص216 .

ملحق رقم(10)

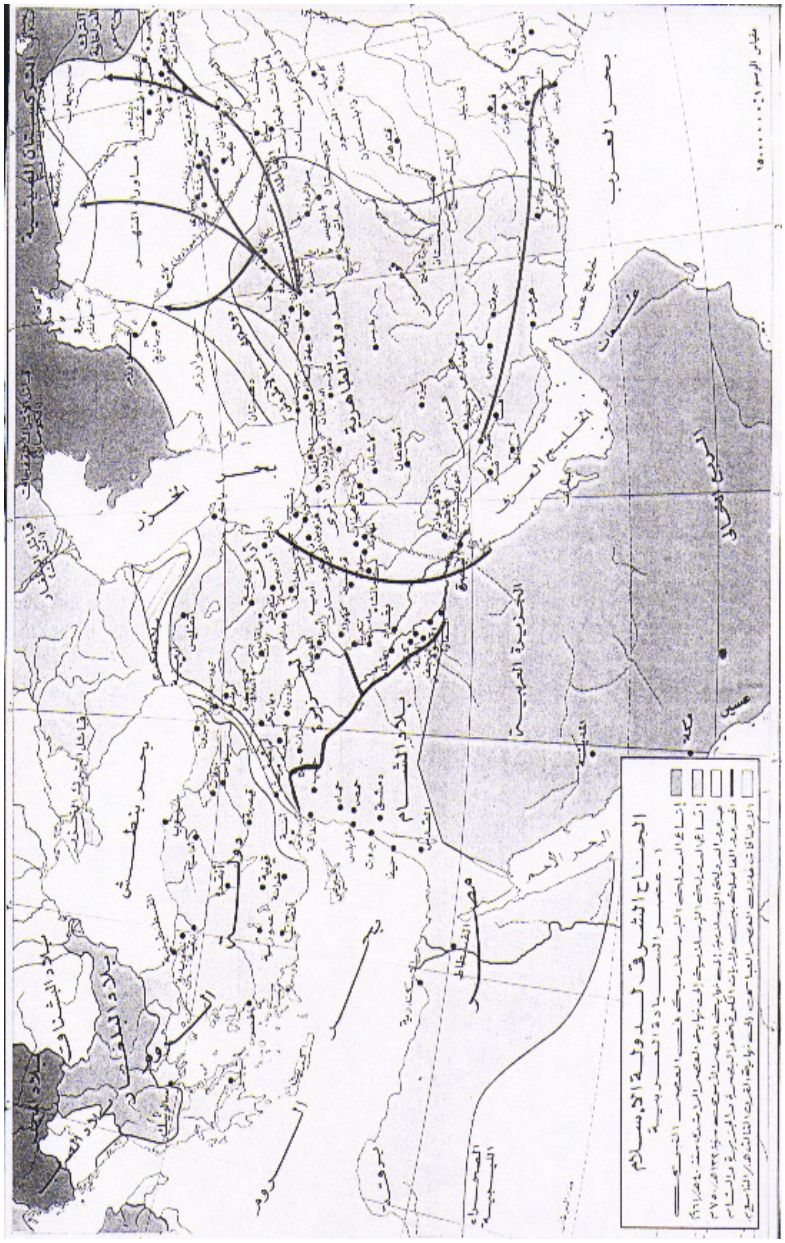

ينظر: مؤنس، د. حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ص216.

ملحق رقم(11)

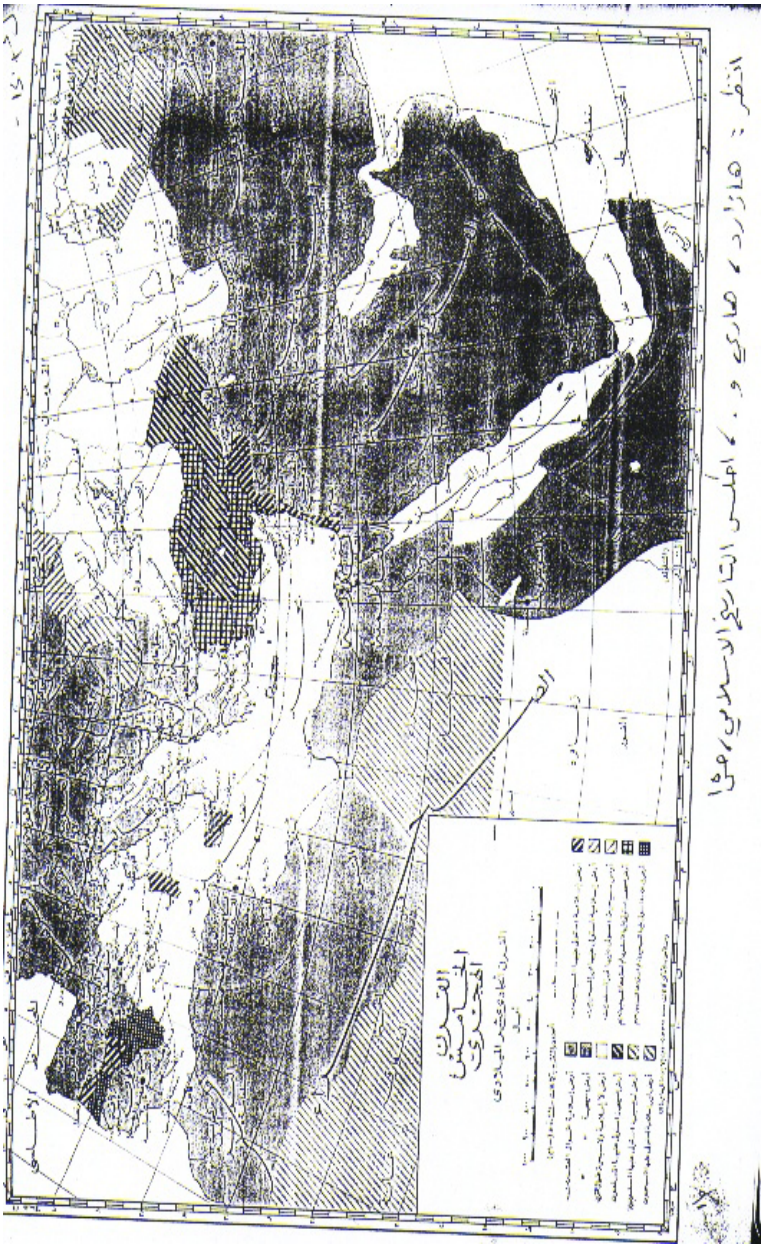

ينظر: هازارد، هاري و.، أطلس التاريخ الإسلامي، ص15.

ملحق رقم(12)

ينظر: هازارد، هاري و.، أطلس التاريخ الإسلامي، ص17.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر الأصيلة المخطوطة:

- **السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ/ 1166م):**
1 - كتاب المعجم وهو المنتخب بالتقييد، مخطوط محفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي، تحت رقم 1100.

ثانياً: المصادر الأصيلة المطبوعة:

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ/ 1232م):**
1 - الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م، وطبعة من تحقيق: د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.

- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 560هـ/ 1164م).**
2 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب بيروت، ط1، 1989م.

- **الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت772هـ/ 1370م):**
3 - طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970م - 1971م.

- **الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الرحيم (ت430هـ/ 1038م).**
4 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

- **الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 340هـ/ 951م).**
5 - مسالك الممالك، بريل، ليدن، 1346هـ/ 1927م، وطبعة من تحقيق: د. محمد جابر عبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/ 1961م.

- **ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس (ت 668هـ/ 1269م).**
6 – عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

- **ابن أعثم الكوفي، أبو محمد رضا (ت 314هـ/ 927م).**
7 – الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط1، بلا.ت.

- **البغدادي، أبو منصور القاهر بن طاهر (ت 429هـ/ 1037م).**
8 – الفَرْق بين الفِرَق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، بلا.ت.

- **البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/ 1094م):**
9 – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949.

- **البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/ 892م).**
10 – فتوح البلدان، بإشراف لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م.

- **البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت641هـ/ 1243م).**
11 – تاريخ دولة آل سلجوق، اختصره عن عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني، مطبعة الموسوعات، مصر، 1318هـ/ 1900م.

- **البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ/ 1048م):**
12 – القانون المسعودي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1374هـ/ 1995م.
13 – تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1377هـ/ 1958م.
14 – الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزك، 1342هـ/ 1923م.

- **البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين (ت 470هـ/ 1077م).**
15 – تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، مصر، بلا.ت.

- **ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/ 1469م):**
16 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، 1929م.

- **الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت 469هـ/ 1076م):**
17 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، حقّقه وفصّله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1375هـ/ 1956م، وطبعة دار الفكر، بيروت، بلا.ت.

- **ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت 833هـ/ 1429م):**
18 - غاية النهاية في طبقات القرّاء، عني بنشره: ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، 1933 - 1952م.

- **ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت 597هـ/ 1200م):**
19 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حقّقه وقدّم له: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، وطبعة مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1358هـ.

- **الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت658هـ/ 1208م)**
20 - تاريخ جهانكشاي، بسعي واهتمام وتصحيح: محمد بن عبد الوهاب قزويني، بانضمام حواشي وفهارس، دار مطبعة بريل درليدن - أزبلاد هلاند بطبع رسيد، 1334هـ/ 1916م.

- **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/ 1063م):**
21 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، المطبعة الأدبية، مصر، ط1، 1317هـ.

- **ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت852هـ/ 1248م)**
22 - لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط2، 1390هـ/ 1971م.

- **حمد الله المستوفي، بن أبي بكر بن أحمد (ت 730هـ/ 1329م)**
23 – تاريخ كزيدة، اهتمام وتصميم الحواشي والفهارس، د. عبد الحسين نوائي، مؤسسة طبع ومنشورات، أمير كبير، تهران، 1339هـ.

- **الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م):**
24 – معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بلا.ت.
25 – معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، بلا.ت.

- **ابن حوقل، أبو القاسم بن علي الذهيبي النصيبي (ت367هـ/ 977م):**
26 – صورة الأرض، بريل ليدن، ط2، 1387هـ/ 1977م، وطبعة دار صادر، بيروت، ط2، 1938م.

- **الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ / 1494م):**
27 – الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط1، 1984م.

- **ابن خلدون، محمد بن عبد الرحمن (ت808هـ/ 1405م):**
28 – العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1407هـ/ 1986م.

- **ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت300هـ/ 1912م):**
29 – المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بلا.ت.

- **الخطيب البغدادي، أبو بكر محمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/ 1070م):**
30 – تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وورد لها، حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ/ 2001م.

- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ/ 1282م):**
31 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حقّقه: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970م.

- **خواندمير، غياث الدين بن همام (ت942هـ/ 1535م):**
32 – تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد بشر، ازانتشارات، كتابخانة خيام خيابان ناصر خسرو، تهران، 1333هـ.

- **الداودي، شمس الدين محمد (ت549هـ/ 1154م):**
33 – طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م.

- **ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي (ت 633هـ/ 1235م):**
34 – النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، صحّحه وعلّق عليه: عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1365هـ/ 1946م.

- **الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت 982هـ/ 1574م):**
35 – تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، المطبعة الوهبية، مصر، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، 1283هـ/ 1866م.

- **الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/ 895م):**
36 – الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، بلا.ت.

- **الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م):**
37 – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م.
38 – سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1986م، وط 9، 1993م.
39 – دول الإسلام، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1364هـ/ 1944م.

- **الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت606هـ/ 1209م):**
40 – اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

- **الراوندي، محمد بن علي بن سلمان (ت599هـ/ 1202م):**
41 – راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تصحيح: محمد إقبال، مؤسسة مطبوعات أمير كبير، اصفهان، 1333هـ.

- **ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290هـ/ 902م):**
42 – الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن ن 1967م.

- **السبكي، تاج الدين أبيو نصر عبد الوهاب (ت771هـ/ 1369م):**
43 – طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بلا.ت.

- **السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ/ 1166م):**
44 – الأنساب، تقديم وتحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988م.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/ 1505م):**
45 – طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.
46 – بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1964م.
47 – تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة العاني، القاهرة، ط2، 1383هـ/ 1964م، أبو شجاع، محمد الحسين.

- **أبو شجاع، محمد بن الحسين (389هـ/ 998م)**
48 – ذيل كتاب تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، 1334هـ/ 1916م.

- **الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود (ت بعد سنة 687هـ/ 1288م):**
49 – نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: السيد خورشيد أحمد، مطبعة مجلس، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1396هـ/ 1976م.

- **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/ 1153م):**
50 – الملل والنحل، مطبوع بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1320هـ.

- **الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت476هـ/ 1083م)**
51 – طبقات الفقهاء، حقّقه وقدّم له: د.إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/ 1981م.

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (ت764هـ/ 1362م):**
52 – الوافي بالوفيات، اعتناء: دورو تياكرا فوسكي، دار الأندلس، بيروت، 1982م.

- **طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (ت 968هـ/ 1560هـ)**
53 – مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق: كامل كامل بكري، عبد الوهاب أنور، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1968م.

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م):**
54 – تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1389هـ/ 1969م، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ.

- **الطوسي، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق (ت 485هـ/ 1092م)**
55 – سياست نامة "سير الملوك" ترجمة: د.يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت، بلا.ت.

- **ابن طيفور، أحمد بن طاهر (ت280هـ/ 893م):**
56 – بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المثنى، بغداد، مكتبة المعارف، بيروت، 1388هـ/ 1968م.

- **العتبي، أبو نصر محمد عبد الجبار محمد (ت427هـ/ 1035م):**
57 – تاريخ اليميني على هامش الفتح الوهبي للشيخ أحمد المنيني، جمعية المعارف، القاهرة، 1286هـ.

- **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت 660هـ/ 1261م):**
58 – بغية الطلب في تاريخ حلب، حقّقه وقدّم له: د.سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1988م.

- **ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت517هـ/ 1175م):**
59 – تبيين كذب المفترى فيما نُسب إلى الأمام أبي الحسن الأشعري، عُني بنشره القدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1347هـ/ 1988م.

- **ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/ 1678م):**
60 – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.

- **ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/ 1184م):**
61 – الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم ودراسة: د. قاسم السامرائي، بريل، ليدن، 1393هـ/ 1973.

- **العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ/ 1348م):**
62 – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق وشرح وترجمة: كلاس لشل، مطبعة ": راين جولدماينز، وديبسان، 1968م.

- **عوفي، سديد الدين محمد (توفي في حدود النصف الأول من ق 7هـ/ 13م):**
63 – لباب الألباب، طبعة بسعي واهتمام وتصحيح: إدوارد بروز انكليسي، مطبعة بريل، ليدن، 1906، وطبعة بالتصحيحات جديد وحواشي وتعيقات: كامل بكوشش وسعيد نفيسي، بسرماية، كتابفروشى، ابن سينا، كتابخانه حاج علي علمي، اسفند، 1333هـ.

- **الغساني، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت 830هـ/ 1400م):**
64 – العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، ودار البيان، بغداد، 1395هـ/ 1975م.

- **أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن السلطان الأفضل نور الدين أبي الحسن (ت732/ 1331م):**
65 – المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا.ت. وطبعة علق عليها ووضع حواشيها: محمود ديوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م.
66 – تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود وكوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1256هـ/ 1840م.

- **ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد (مجهول الوفاة):**
67 – رسالة ابن فضلان، حقّقها وعلّق عليها وقدّم لها: د. سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1960م.

- **ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر (ت851هـ/ 1447م):**
68 – طبقات الشافعية، اعتنى بتصحيحه وعلّق عليه ورتّب فهارسه: د. عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1398هـ/ 1978م.

- **القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر (ت 775هـ/ 1373م):**
69 – الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1332هـ/ 1913م.

- **القرطبي، عريب بن سعد (ت بعد سنة 331هـ/ 942م):**
70 – صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، بلا.ت.

- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/ 1283م):**
71 – آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بلا.ت.

- **ابن قطلو بغا، أبو العدل زين الدين قاسم (ت879هـ/ 1474م):**
72 – رتاج التراجم في طبقات الحنفية، مطبعة العاني، بغداد، 1962م.

- **القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي (ت646هـ/ 1048م):**
73 – أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1374هـ/ 1955م.

- **القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م):**
74 – صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، بلا.ت.

- **القنوجي، صديق بن حسن (ت1307هـ/ 1889م).**
75 – أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.

- **الكاشغري، محمود بن الحسين بن محمد (ت466هـ/ 1073م):**
76 – ديوان لغات الترك، أنقرة، 1939م.

- **ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل (ت 774هـ/ 1372م):**
77 – البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت، 1408هـ/ 1988م، والطبعة ط2، 1977م، وطبعة بلا.ت.

- **الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي (ت أواسط القرن 5هـ/ 11م):**
78 – زين الأخبار، ترجمة: محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية، فاس، 1972م.

- **اللكنوي، محمد عبد الحي (1304هـ/ 1886م):**
79 – الفوائد البهية من تراجم الحنفية، مطبعة الخزانة، قزان بطرسبرج، 1321هـ.

- **ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت475هـ/ 1082م):**
80 – الأكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1384هـ/ 1965م.

- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/ 1508م):**
81 – الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/ 957م):**
82 – مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط3، 1377هـ/ 1964م وطبعة المكتبة العصرية، بيروت، 1408هـ/ 1988م.
83 – التنبيه والأشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطباعة والنشر، القاهرة، 1938م.

- **مسكويه، أبو علي، أحمد بن محمد (ت421هـ/ 1030م).**
84 – تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، 1333هـ/ 1915م.

- **المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت375هـ/ 985م):**
85 – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن، 1906م.

- **المقدسي، المطهر بن طاهر (ت355هـ/ 965م):**
86 – البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا.ت.

- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/ 1441م):**
87 – السلوك لمعرفة دول الملوك، صحّحه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1956م.

- **مؤلف مجهول:**
88 – العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: أ.نبيلة عبد المنعم داود، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973م.

- **مؤلف مجهول (ت بعد سنة 372ه/ 982م):**
89 – حدود العالم من المشرق إلى المغرب، اهتمام: د.منوجهر ستوده، ترجمة من الفارسية إلى العربية: أسراء سبهان فرحان القيسي، قدمتها كمشروع ترجمة إلى مجلس كلية اللغات في جامعة بغداد، وهو جزء من متطلبات نيل درجة الدبلوم العالي للترجمة باللغة الفارسية، كلية اللغات، جامعة بغداد، 1423هـ/ 2002م.

- **ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت385هـ/ 995م):**
90 – الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، مطبعة دانشكاه، طهران، 1971م، وطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا.ت.

- **النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت348هـ/ 959م):**
91 – تاريخ بخارى، ترجمه وقدّم له وحقّقه وعلّق عليه: د.أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، بلا.ت.

- **النسفي، نجم الدين عمر بن محمد (ت537هـ/ 1142م):**
92 – القند في ذكر علماء سمرقند، قدّم له واعتنى به: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط1، 1412هـ/ 1991م.

- **النسوي، محمد بن أحمد (ت639هـ/ 1241م):**
93 – سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، 1953م.

- **ابن النظام الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الله (ت743هـ/ 1342م)**
94 – العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: عبد النعيم محمد حسنين و د. حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1979م.

- **النظامي العروضي السمرقندي، أحمد بن عمر بن علي (ت 550هـ/ 1155م):**
95 – جهار مقالة (المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب)، وعليه خلاصة حواشي العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة: عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1368هـ/ 1949م.

- **النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت676هـ/ 1277م):**
96 – تهذيب الأسماء واللغات، عُنيت بنشرة وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، مصر، بلا.ت.

- **ابن هداية الله، أبو بكر (ت 1014هـ/ 1605م):**
97 – طبقات الشافعية، حقّقه وعلّق عليه: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1971م.

- **ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/ 1348م):**
98 – تتمة تاريخ المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحيدرية، النجف، ط2، 1969م.

- **اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت428هـ/ 897م):**
99 – تاريخ اليعقوبي، قدّم له وعلّق عليه: محمد الصادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، 1384هـ/ 1964م، وطبعة علّق عليها ووضع حواشيها: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1423هـ/ 2002.
100 – البلدان، بريل، ليدن، 1309هـ/ 1891م، وطبعة وضع حواشيها: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م.

ثالثاً: المراجع الحديثة:

- **إدريس، محمد محمود:**
1 – تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985م.

- **بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش:**
2 – تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد السعيد سليمان، راجعه: إبراهيم صبري، مكتبة الإنجلو المصرية، بلا.ت.
3 – تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه: قسم التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1401هـ/ 1981م.

- **باقر د.طه:**
4 – مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، جزيرة العرب وبلاد الشام – بعض الحضارات والأمم القديمة – بلاد إيران والإسكندر والسلوقيون – اليونان والرومان، من مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة المحدودة، بغداد، ط2، 1375هـ/ 1956م.

- **براون، إدوارد جرانفيل:**
1 – تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية: د.إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر، 1373هـ/ 1954م.

- **بروكلمان، كارل:**
2 - تاريخ الشعوب الإسلامية - الإمبراطورية العربية وانحلالها، ترجمة:د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1961.

- **البغدادي، إسماعيل بن محمد:**
3 - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة وكالة المعارف، اسطنبول، 1951 - 1955م.

- **بول، ستانلي لين:**
4 - الدول الإسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلّق عليه:محمد أمين دهمان، مع إضافات وتصحيحات بارتولد، وخليل أدهم، مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق، بلا.ت.

- **حسن أبراهيم حسن:**
5 - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1987م.

- **حسن، د. زكي حسن:**
10 - الصين وفنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1941م.

- **حسنين، د. عبد النعيم محمد:**
11 - سلاجقة إيران والعراق، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1380هـ/ 1970م.

- **حلمي، د. أحمد كمال الدين:**
12 - السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، الكويت، بلا.ت.

- **حيدر، د. محمد علي:**
13 - الدويلات الإسلامية في المشرق، عالم الكتب، القاهرة، بلا.ت.

- **دهخدا، علي أكبر:**
14 - لغت نامة، معجم اللغة، تهران، 1337هـ/ 1918م.

- **الدوري، د. عبد العزيز:**
15 - دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، 1945م.

- **رايس، تامارا تالبوت:**
16 – السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، مراجعة: عبد الحميد العلوجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م.

- **زامباور، أدوردفون:**
17 – معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: د. زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، اشترك في ترجمة بعض فصوله: د. سيدة إسماعيل كاشف، حافظ أحمد مهدي وأحمد ممدوح، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م.

- **الزركلي، خير الدين:**
18 – الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

- **زيعور، د. علي:**
19 – الفلسفات الهندية – قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط1، 1980م.

- **الساداتي، د. أحمد محمود:**
20 – تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1987م.

- **السامر، د. فيصل:**
21 – الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، وزارة الإعلام، العراق، ط1، 1977م.

- **سليمان، د. أحمد السعيد:**
22 – تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، نقله عن التركية بزيادات وتعليقات: د. أحمد السعيد سليمان، دار المعارف، مصر، بلا.ت.

- **الشحات، علي أحمد:**
23 – مكانة العلم والعلماء في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بلا.ت.

- **صفا، دكتر ذبيح الله:**
24 – تاريخ أدبيات درإيران، ازميانه قرن بنجم تا آغا زقرت مفتم بجرى، كتابفروشى، ابن سينا، تهران، 1339هـ.

- **الصياد، د. فؤاد عبد المعطي.**
25 – المغول في التاريخ من جنكيزخان إلى هولاكو، دار القلم، بلا.ت.

- **الصيني، بدر الدين حي:**
26 – العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1370هـ/ 1950م.

- **طلس، د. محمد أسعد:**
27 – تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بلا.ت.

- **طوقان، قدري حافظ:**
28 – تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار القلم، القاهرة، 1963م.

- **العبود، د. نافع توفيق:**
29 – الدولة الخوارزمية نشأتها وعلاقاتها مع الدول الإسلامية – نظمها العسكرية والإدارية 490 – 628هـ/ 1097 – 1231م، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م.

- **عطا، زبيدة:**
30 – الترك في العصور الوسطى – بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، بلا.ت.

- **الغامدي، سعد بن محمد:**
31 – الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدولة الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي 92 – 629هـ/ 711 – 1231م، الرياض، 1999 – 2000م.

- **فامبري، أرمينوس:**
32 – تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر المتأخر، ترجمه وعلّق عليه: د. أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدّم له: د. يحيى الخشاب، مطابع الإعلانات الشرقية، القاهرة، بلا.ت.

- **القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الرومي:**
33 – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1982.

- **كتابجي، زكريا:**
34 – الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، بيروت، بلا.ت.

- **كحالة، عمر رضا:**
35 – معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1376هـ/ 1957م.
36 – العلوم البحتة في العصور الإسلامية، مطبعة الترقي، دمشق، 1972م.

- **كريستنسن، آرثر:**
37 – إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م.

- **لسترنج، كي:**
38 – بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية، ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/ 1954م.

- **لوبون، د. غوستاف:**
39 – حضارات الهند، نقله عن العربية: عادل زعيتر، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1367هـ/ 1948م.

- **ماجد، د. عبد المنعم:**
40 – الأطلس الإسلامي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، حقّقه: د.عبدالمنعم ماجد، ورسم خرائطه وحقّقه: د. علي البنا، دار الفكر العربي، ط2، 1967م.

- **مؤنس، د.حسين:**
41 – أطلس تاريخ الإسلام، تصميم ورسم الخرائط، جيوفاني دي أجوستين، مطابع تين واه – سنغافورة، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م.

- **محمود، حسن أحمد:**
42 – الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر، بلا.ت.

- **الندوي، محمد إسماعيل:**
43 – تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، بلا.ت.
44 – الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، 1970م.

- **هازارد، هاري و.:**
45 – أطلس التاريخ الإسلامي، رسم لستركوك و ج. ماك سميلي، مطبوعات جامعة برنستون، مؤسسة فارنكلين للطباعة والنشر، 1954.

- **الورد، باقر أمين:**
46 – معجم العلماء العرب، راجعه الأستاذ: كوركيس عواد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/ 1986.

رابعاً: المصادر الأجنبية:

- Sankrityayana, mahapandita Bahula:

- History of central Asia - Bronze Age (2000 B. C.) Tochengiz khan (1227 A. D.) , New Age publishers private LTD, Calcutta: Ne Delhi.

خامساً: البحوث العربية المنشورة في المجالات ودوائر المعارف العربية:

- **بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش:**
1 – الترك، إلمامة تاريخية وجنسية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية، أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي وعبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف د. محمد مهدي علام، مادة الترك، بلا.ت.
2 – الإيلكخانية، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية، أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي وعبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزراء المعارف: د. محمد مهدي علام، مادة الإيلكخانية، بلا.ت.

- **الداقوقي، د. حسين:**
3 – الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات، تصدر عن عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، ع2، م. 2، 1413هـ/ 1993م.
4 – يوسف الحاجب الخاص، بحث منشور في مجلة، كانت تصدر عن نادي الإخاء التركماني، بغداد، بلا.ع، بلا.ت.

- **زغلول، سعد:**
5 – الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، م10، ع2، بلا.ت.

من إصدارات
دار صفحات

1) الاتصال اللغوي الشفهي «الصعوبات والتشخيص والعلاج»، د. عوض هاشم، 2015م.

2) الأناجيل الأربعة - دراسة نقدية، ، 2015م.

3) التجربة الجمالية في الفكر العربي، د. عبد القادر فيدوح، 2015م.

4) النظام المعرفي للعلوم الإنساني لدى ميشال فوكو، رايس زواوي، 2015م.

5) المؤامرة الأولى على الإسلام: الفتنة الكبرى وانعكاساتها سنة 35للهجرة، دحمور منصور، 2015م.

الكل يسميها الفتنة والكثير يضيف إليها كلمة الكبرى لتكون في عرف العالم الإسلامي على أنها الفتنة الكبرى، وأغلبهم يحكّم فيها خلفياته الذهنية وينظر إليها بنظرة الدونية في تاريخ تكتبه يد الحكمة الإلهية، ومنها يبتدر السبّ واللعن وتحكيم العين الشيطانية، ولكن لا أحد يتعظ ولا أحد يعتبر ويرى بعين الحقيقة عين الواقع عين العقل، لماذا يصفق الكثيرون لما لا يرون، ويحيون من لا يعرفون ويهتفون لما لا يدركون ويتراكضون إلى ما يجهلون، يقولون أننا في عصر غريب عن عصر الراشدين وبعيد عن مواطئ المهديين ويتناسون قول النبي الأمي الذي قال له ربّ العصر الأول والآخر: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)" التوبة، الآية: 47-48، "عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"، وقوله صلوات ربي وسلامه عليه: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وصحيح أن كلامنا فيما جرى سنة **35** للهجرة هو منطلق دراسة الأحداث من خلال صاحب "المروج" وصاحب "العبر" ولكنه في أصله حديث إلى عصر قيل عنه عصر تقدّم، ولكنه تقدّم في الحروب والأعراض والشرف الانساني، لا نكاد نسمع فيه إلا إراقة دماء المسلمين وتتويه ذهنيةغيرنا من شعوب الأرض، عصر تناسى فيه الناس قول ربهم: "سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)" الرعد، الآية: 10-11، ليعود فيه الإسلام غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء.

6) التطورات السياسية الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب الاستقلال، د.نغم طالب عبد الله، 2015م.

7) سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الفيليبين، د. رجاء الموسوي، 2015م.

8) نلسون مانديلا حياته ودوره السياسي، د. عفراء الريس، 2015م.

9) المتيم – رواية، محمد شيخ تراب، 2015م.

10) يوماً ما – رواية، ريم الجرف، 2015م.

11) أحمد مطر سيرة ـ شاعر انتحاري (الأعمال الشعرية)، أوس داوود يعقوب، ط4 -2015.

12) محمود درويش - مختارات شعرية ونثرية، أوس داوود يعقوب، 2010م.

13) مظفر النواب شاعر الثورات والشجن (الأعمال الشعرية)، أوس داوود يعقوب، 2010م.

14) نهاية الدولة العثمانية وتشكيل الشرق الأوسط، ديفيد فرومكين - قراءة وتقديم د.منذر الحايك - ترجمة: وسيم حسن عبده، 2015م.

قام تشرشل، الذي كان بوش يحتفظ له بتمثال في مكتبه البيضاوي، بالدور الأكبر لتأسيس معظم دول الشرق الأوسط، وقد تأتى لواحد من أنجب تلامذته في المدرسة الاستعمارية، أن يسعى لتقليده في إعادة تكوين شرق أوسط جديد، وذلك من خلال ما قام به بوش من مغامرات لم يصلحها ضعف وتردد وانسحابات أوباما، ربما لترافقها بمرحلة، سيطر عليها العنف بمقاييس غير مسبوقة ولم تنته حتى الآن، عرفت بالربيع العربي. كل ذلك أضعف قدرة أنظمة دول الشرق الأوسط على البقاء، وفضح حججها في تسويغ شرعية وجودها . وبرؤية شمولية لتكوين الشرق الأوسط جمع هذا الكتاب لأول مرة إجابات كاملة عن أسئلة كانت ولا تزال رمز الحيرة والتعمية والتضليل، منها: كيف شكلت بريطانيا الكيانات الجغرافية والسياسية

للشرق الأوسط؟ ولماذا كانت تلك الكيانات وتلك الشخصيات تحديداً؟ وماذا كانت تريد أن تحقق وهي تتخذ قرارات مصيرية لملايين الناس؟ ومن هم أولئك الرجال الذين صاغوا أخطر القرارات؟ ويبقى الجزء الأهم من الكتاب وضعه لحدود الواقع والخيال لما كنا نعرفه عن تلك المرحلة: الجمعيات العربية، ابن سعود، الشريف حسين، الملك فيصل والأمير عبد الله، وعد بلفور وغيرهم. حيث سيدرك القارئ معنى المصادفة في التاريخ، وسيعرف معنى التآمر لتمرير السياسات حتى ضمن الجهاز الواحد للدولة، وسيصعب عليه أن يصدق كثيراً مما ورد، ولذلك قد يخلق الكتاب أزمة ثقافية، فهو يقلب كل ما تعلمناه أو جله، ولكن الأخطر هو الأزمة الروحية التي سيخلفها بعد قراءته، مما يفسر لماذا عده كثيرون عملاً غير مسبوق.

15) اعترافات بهائي مرتد، د. منذر الحايك، 2015م.

ارتبطت البهائية بالإسلام بعلاقة فريدة، فقد ظهرت في صميم العالم الإسلامي، وكان أكثر أتباعها الأوائل من المسلمين. ورغم توجهها العالمي لم تتمكن البهائية من الفكاك من كونها خرجت من الإسلام الذي نلاحظ أثره الكبير في تعاليمها وطقوسها. فقد نبتت في الصوفية الإسلامية، وهناك من يعدها واحدة من شطحاتها، فمبدأ وحدة الأديان الذي هو صلب المعتقد البهائي يتماثل مع ما طرحه أعمدة الصوفية الذين سبقوا البهائية بمئات الأعوام. وفي سياق التجاذب والتنافر بين البهائية والإسلام، يأتي هذا الكتاب الذي يضعنا أمام حالة نادرة، لشخص مسلم اعتنق البهائية ثم ارتد عنها، وكتب عن تجربته معها عدة مجلدات، وعلى ما فيها من الحشو والتحامل، جاءت في بعض جوانبها بعمق الإيمان والعقيدة البهائية لتدلنا على أنه قطع شوطاً كبيراً بإيمانه البهائي، وقد أمدنا بكم هائل من المعلومات غير المسبوقة من الداخل المقدس للبهائية، ومن العمق المحرم لمعتقداتها. ومع ذلك لا ندعي أنها الحقيقة الكاملة، فمهما كان رأيه، تبقى البهائية فرقة دينية لها وجودها، وطالما هي تكتسب الأتباع فلديها إذن ما تقنع به الناس، ويستحق التفكير والقبول به أو رفضه، وخاصة أنها من أشد الفرق تأكيداً على حرية المعتقدات الدينية.

16) معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، إعداد: سائر بصمه جي، 2015م.

إن مفهوم العقيدة في اللغة مأخوذ من العقد والربط والشّدّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرامُ، والتماسك والمراصة، والإثباتُ ؛ ومنه اليقين والجزم. أما مفهوم العقيدة اصطلاحاً فهو يطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌ. وعليه فإن دراسة ألفاظ العقيدة، ومصطلحاتها، وتحديد معانيها على مذهب أهل السنة والجماعة، وبيان مراد الطوائف بها، كل ذلك ضرورته ماسة، وأهميته لا تخفى، يحوي هذا العمل على أكثر من 950 مصطلح ، والتي حاولنا أن نشمل فيها معظم مصطلحات العقيدة الإسلامية.

17) معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي، سائر بصمه جي، 2009م، ط2- 2015م.

يحتوي هذا العمل أكثر من (5000) لفظ من ألفاظ الفقه الإسلامي في كل من الأقسام التالية: الصلاة، الصيام، الحج والعمرة، الزكاة، الطهارة، الأحوال الشخصية، المعاملات، المواريث، الجنايات و العقوبات، الجهاد، الأقضية و الأحكام، الأطعمة و الأشربة، اللباس و الزينة، وفيه الشرح اللفظي للمصطلح من الناحيتين اللغوية و الشرعية، العمل مرتب على حروف المعجم العربي تسهيلاً لعملية البحث عن المفردة، كما أننا نعرض رأي جميع المذاهب في هذا اللفظ.

18) سيكولوجية الصورة في المسرح والسينما والتلفزيون، د . شذى العاملي ، ضياء محمد تقي الامارة، 2015م.

تتبع الحركة البطيئة في الفيلم سلسلة من اللقطات الطبيعية وتنفرد بخصوصيتها النفسية والجمالية لدى المتفرج، لذا تمثلت مشكلة في محاولة للإجابة عن التساؤل الاتي : ماهية الدلالات السيكولوجية والجمالية للحركة البطيئة ؟ تتجلى الأمية والحاجة إليه في كونه يتصدى لموضوع الحركة البطيئة من خلال ارتكازها على أهم الأفكار والنظريات المنطلقة من ميدان علم النفس وعلم الجمال.

19) توظيف الخيال الصوري الموجه للطفل، د.شذى العاملي، 2015م.

على الرغم من ولوجنا ما يسمى عصر ما بعد ثقافة التلفزيون الذي طبعت سماته القرن الحادي والعشرين، من خلال خلق ما يسمى بالحقيقة الافتراضية(**virtual Reality**)، كنتاج للتطور التكنولوجي الذي شهده هذا القرن، ولكن رغم ذلك فالفيلم يمثل قلب ما يسمى بهرم الخيال، ومن خلال مقدرة وسائل الخطاب الصوري على خلق وهم الحقيقة، فلها القدرة على دفع المشاهد تدريجيا لان يلج عالما من الخيال، عابرا حدود الحقيقة إلى ذلك العالم. وتتطلب عملية الولوج هذه إمكانيات حرفية وجمالية توظف من أجل رؤية عالمها الوهمي ذي الأبعاد الزمانية والمكانية على جدار مسطح . أن الرؤية الحدثية المكتوبة للأطفال فيها هامش كبير من الانفلات الذي يؤدي إلى خرق الحقيقة، ويصبح ذلك ممكنا من خلال ما تمتلكه وسائل الخطاب الصوري من إمكانيات تقنية وفكرية، تتسم بقوة الأقناع لدى مخاطبة الطفل فالزمن الفيلمي في أفلام الأطفال هو فسحة يسرح فيها الطفل بمخيلته التي هي بالتأكيد تدرك الحدود الفاصلة ما بين الحقيقة والخيال، " فقلب الأشياء رأسا على عقب ليس خطيرا بل على العكس فهو مسل ومثير بشرط أن تبقى الحقيقة معروفة ، لكن توظيف الخيال في الخطاب الصوري وكيفية تعامله مع الطفل هي الحقيقة التي ترغب الكاتبة الوصول اليها . ولكن ماهي الكيفية التي يتم من خلالها توظيف الخيال في الخطاب الصوري الموجه للطفل؟ وماهو دور الخيال في توسيع العملية الإدراكية للطفل ؟ وكيف يتم إنتاج الخيال على الشاشة سمعياً وبصرياً وبالآليات المتاحة ؟ هذا هو السؤال الذي يسعى هذا الكتاب للإجابة عنه.

20) **التشكيل البصري واشتغال الإضاءة الرقمية في العرض المسرحي، ضياء محمد تقي الإمارة، 2015م.**

أهمية الدراسة الحالية فيما يأتي :أ . إنه يمثل إسهاماً معرفياً في دائرة الحقل الجمالي البصري عن طريق التعرف على تحولات معرفية وفلسفية جديدة في التشكيل البصري لآلية اشتغال الإضاءة الرقمية في العرض المسرحي المعاصر .ب . التأثير الإيجابي لهذا الإسهام المعرفي في إيصال المضمن ، وتربية وتنمية الشعور الذائقي والوجداني لدى الجماعة سيما أنهم يشتركون في بقعة واحدة للعيش لتثبيت الهوية العامة والتحاور مع الجماعات الأخرى لتفاعل الخطاب ومفاهيمه . ج . أنه يغني في التعبير عن المضامين الأخرى التي تخص مثالاً التربية والعلوم ، أو أي اتجاه فكري تربوي لمختلف الأجيال ، في إيصال المضمن عن طريق تشكيله بصرياً في آلية اشتغال الإضاءة الرقمية للعرض المسرحي ، وتبقى جماليات العرض للمتعة البصرية . أما الحاجة إليه فتكمن في الوقوف على صلاحية وإمكانية اشتغال الإضاءة الرقمية في العرض المسرحي عن طريق دخولها في تشكيل كيان الخطاب الجمالي في أنها قادرة على بث المضامين الجمالية والفكرية الفلسفية بالشكل الذي يجب ، أم أنها تعمل على تشويش الرسالة للمستهلك أو تؤثر على مسارها لعدة أسباب تتعلق بالدراية الآلية والحس الذاتي . وكيف يجب أن توثق الأعمال التي تعتمد على تلك العناصر لإبقائها وثيقة تاريخية جمالية معاصرة تتحدث عن الحقبة . وتهدف دراسة هذا الكتاب إلى الكشف عن : أ . المرجعيات الفكرية والفلسفية الجمالية حصراً في التشكيل البصري وتأثيرها على آلية اشتغال الإضاءة الرقمية في العرض المسرحي المعاصر أو ما بعد الحداثة . ب . المرجعيات الآلية والعلمية القائمة على صناعة التشكيل البصري في آلية اشتغال الإضاءة الرقمية في العرض المسرحي ما بعد الحداثة .

ج . الوقوف على إمكانية التشكيل البصري وآلية اشتغال الإضاءة الرقمية في العرض المسرحي ما بعد الحداثة في المحافظة على الموروث والتاريخية للجماعة وخصائص وجودها في الخطاب الجمالي واستعاراته . د . الوقوف على إمكانية التفاعل والحوار مع الجماعات المختلفة في التشكيل البصري وآلية اشتغال الإضاءة الرقمية للعرض المسرحي ما بعد الحداثة .

21) **نشوار القراءة الفلسفية - الفلسفة اليونانية، محمد المبارك، 2015م.**

الفلسفة تفترق عن العلم وأساليبه ووسائله في أنها أولا ، تنظر إلى العالم من حيث هو وحدة مترابطة متماسكة وتتوفر عليه من حيث هو كذلك بحثاً ودراسة وتشخيصاً ؛ في حين يرى العلم العالم حقولاً وتخصصات معزولة عن بعضها مستقلة من بعضها ؛ وثانياً ، لا تسلم الفلسفة بصحة مبدأ أو فكرة أو فرض إلا اذا ثبت لديها ثبوتاً لا يدع مجالاً للشك ؛ في حين يعتمد العلم الفروض والأفكار نوافذ أو مداخل للدرس والإحاطة والفحص ولايستبعد فرضاً أو فكرة حتى تأتي التجربة أو المعاينة المباشرة بما يستبعده وينفيه منفذاً أو قيمة نافعة في البحث أو الكشف ؛ وأخيرا ، تميل الفلسفة إلى التجريد أي أنها تحاول باستمرار إلا تربط فكرة معينة إلى جرم بالذات محدود بزمان ومكان حقيقيين، وإنما تعوّل على الفكرة مجردة غير مشدودة إلى وضع أو جرم بالذات وان تموضعت في مفردات لا نهاية لتعددها وتفرقها آعيانا وتحققات . والفلسفة بعد هذا وقبل هذا إنما نشأت في بلاد الإغريق حصراً لم تسبقها اليها بلاد غيرها في شرقي الأرض ولا في غربيها .

22) **خديعة مخطوطات البحر الميت . مايكل بيجنت . ريتشارد لي - ترجمة وسيم حسن عبده - مراجعة وتقديم د.منذر الحايك، 2010م. ط2 - 2014**

جاء الكشف عن المخطوطات ليؤكد أن الدين اليهودي كان يشهد صراعاً حاداً مع بداية العهد المسيحي، يعكس المحاولة اليائسة لصياغته صياغة قومية، انتهت بالإخفاق، ومما لاشك فيه أن الصهيونية أدت دوراً كبيراً في تأخير نشر اللفائف، وحاولت إيهام الرأي العام بأن المخطوطات تحتوي على فخ يستهدف الأديان، وبالمقابل حاولت الصهيونية جاهدة التركيز على أن هذه المخطوطات جاءت لتؤكد أصالة اليهود في المنطقة من التوجه نحو فكرة أن اليهودية هي أصل الديانات السماوية، وهو ما تثبت الدراسة المتأنية للمخطوطات عكسه تماماً، ووضح الكتاب "بأن كشف لفائف البحر الميت جعلنا نتوقع إلقاء المزيد من الأضواء على التاريخ الإنجيلي، وعلى شخصيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وعلى جذور المسيحية وعلى نحو ما الإسلام. وبطبيعة الحال لا ينبغي التوقع من كشف، مهما بلغ حجمه، أن يسقط الكنيسة، وليس لنا أن نتوقع أي شيء مروع كهذا العمل، ويوضح الكتاب على نحو غير مسبوق أسرار تجارة الآثار غير المشروعة، وطرق تحرك القطع من مناطق اكتشافها في الشرق الأوسط نحو أوروبا، مع نماذج طريفة من طرق العرض وأساليب البيع قبل مهربي آثار مخضرمين، ومتورطين طامعين، والكثير من المدفوعين بسياسات وآيديولوجيات متناقضة، ونستطيع الآن أن نقول إن لفائف البحر الميت قدمت لنا رؤية جديدة عن الأديان السماوية، التي ولدت في الشرق العربي، فقد بينت مدى تداخل هذه الأديان وتشابهها، وأن كل الخلافات بينها لم تنجم عن اختلاف القيم الروحية أو سوء فهمها، بل نجمت عن حب السيطرة والتسلط، والجشع والأنانية وغطرسة سوء التفسير الوقحة، وأوضح أمثلتها في العصور الوسطى غزوات الفرنجة للأراضي المقدسة، وفي أيامنا الحركة الصهيونية التي دمرت سكان تلك الأرض وقتلتهم وهجرتهم، ولا تزال ترتكب المجازر، مدفوعة بتهيؤات، رفضها اليهود أنفسهم منذ قرون طويلة، فسعت الصهيونية لإقامة دولة اليهود الدينية من بوساطة حركة انبعاث أصولية، تقوم على التعصب الأعمى، وعدم التسامح، والتشدد الذي ولّد صحوة أصوليات أخرى، كانت هاجعة منذ فترة طويلة.

23) **الجسد صورة سرد، د.علاء مشذوب، 2014م.**

24) **جماليات الجسد بين الأداء والاستجابه، د. علاء مشذوب، 2014م.**

View publication stats